

حكاية عامل غرف

مختارات من أدب كرة القدم الأرجنتيني

اختيار وترجمة: محمد الفولي

حِكاية عامِل غرف

مختارات من أدب كرة القدم الأرجنتيني

اختيار وترجمة: محمد الفولي



الطبعة الأولى 2018

A TALE OF A PROP MAN

A SELECTION OF ARGENTINIAN FOOTBALL LITERATURE

TRANSLATED BY: MOHAMMED EL FOULY



حكاية عامل غرف

مختارات من أدب كرة القدم الأرجنتيني



حكاية عامل غرف: مختارات من أدب كرة القدم الأرجنتيني
اختيار وترجمة: **محمد الفولي**

A Tale of a Prop Man
Translated by: Mohammed El Fouly

الطبعة الأولى - 2018

ISBN 978-1-988483-75-7

مسعى للنشر والتوزيع
Masaa Publishing & Distribution
Ottawa, ON. Canada
info@masaapublishing.com
www.masaapublishing.com

تصميم الغلاف: محمد النبهان
Cover Photo: Shutterstock.com

إهداء

إلى عمرو فهمي..

أول من علّمني «المراوغة» بالكلمات

و«تمريرها» إلى عقل القارئ.

كلمة المترجم

أجاب الأديب الأرجنتيني خورخى لويس بورخيس ذات مرة على سؤال حول السبب وراء شعبية كرة القدم بقوله إنه لا يوجد ما هو أكثر انتشارًا من الغباء «فحينما يتصارع أحد عشر لاعبًا مع أحد عشر لاعبًا على الركض وراء كرة، فهذا الأمر ليس به شيء من الجمال».

لست الوحيد الذي يعارض هذا الرأي -ليس لأن عشرة لاعبين فقط هم من يركضون وراء الكرة من كل فريق بينما يبقى كل حارس في مرماه- بل لأن هناك أعلامًا أدبية عظيمة في العالم كله، وأمريكا اللاتينية على وجه الخصوص، ربما يعارضون رؤية بورخيس، فهناك الكولومبي العظيم غابرييل غارثيا ماركيز الذي تحدث بالحسنى عن الساحرة المستديرة في قصته «القسم»، أو الشاعر والكاتب الأوروغوائي الشهير ماريو بينديتي الذي ألف أكثر من قصة عن اللعبة، بل وأيضا قصيدة «وقتك اليوم حقيقة» التي أهداها لأسطورة الأرجنتين دييغو أرماندو مارادونا.

لست في حاجة للحديث أيضا عن أن أحد أبرز مؤلفات الأوروغوائي إدواردو غاليانو كان عن هذه اللعبة التي ينبذها بورخيس، وأقصد هنا كتاب «كرة القدم في الشمس والظل»، لكن كل ما يهم حقا هو الحديث عن المختارات التي سيطلع عليها القارئ في هذا الكتاب.

أظن أن هناك ثلاث فئات قد تهتم بقراءة مثل هذا العمل وأولهم جمهور الكرة وهم كثرة، هؤلاء الذين يراهم بورخيس كمجموعة من الحمقى وبكل تأكيد لا أشاطره رأيه. سيجد هذا النوع من القراء عناصر الحبكة الكروية التي يتمنونها وسيعثرون في سطور كل قصة على حماسة المدرجات وذكريات الطفولة وخيال الشباب، بينما يطلعون على أحداث كروية خيالية وحقيقية وتاريخية ليغوصوا فيها بمخيلتهم. ما سيعمق من أثر التجربة هو أن منبع هذا الإبداع هو الأرجنتين، تلك البقعة الكروية المباركة، التي يحلم كل محبي الكرة بزيارتها وحضور مباراة في أي من ملاعبها.

يستهدف هذا العمل -بنفس قدر استهدافه للفئة الأولى- فئة أخرى وأعني بها القراء الذين لا يهتمون بكرة القدم وبل وربما يشاطرون بورخيس رأيه، لكن ربما يساهم هذا العمل في تغيير طريقة نظرهم للأمور، ليس فقط لأن كل القصص المختارة صيغت بصورة مثالية وتتمتع بكل المقومات الأدبية المطلوبة، بل لأن الكرة ليست هي العنصر الأوحد فيها، بل هي مدخل يلج بالقارئ لعوالم أخرى أحيانًا، وإلى أحداث تاريخية، بل ويلمس بعضها جوانب موجودة في حياة أغلب البشر. ستداعب هذه المختارات ذكرياته أو ستعمق وجوده في حاضره، ربما تنتزع منه ضحكة وأحيانا دمعة، لكنها بشكل مؤكد قد تدفعه للتفكير والتمعن كأي قصة لا تدخل كرة القدم في مكوناتها.

أنتمي أنا نفسي لفئة ثالثة، تلك التي تعشق الكرة والأدب، لذا أعتقد أن محبي هذا الثنائي، الذي ربما يبدو للوهلة الأولى، متنافرًا سيستمتعون بتراقص الكلمات وكل مراوغة يقوم بها أي من الكتاب المختارين بعقول القراء، قبل أن يترك الكرة في ملعبهم، لفهم هذه القصة أو تلك الأخرى كيفما أحبوا. سيعثر هؤلاء على نهايات قصصية توازي جمال هدف في الدقيقة تسعين،

وأحيانًا مفاجآت صادمة كضربة جزاء في الدقيقة نفسها بمباراة نهائية.

تتنفس الأرجنتين كرة القدم، هذه ليست مبالغة، فآخر الإحصائيات تقول إن هناك أكثر من نصف مليون لاعب مسجل بالاتحاد المحلي للعبة بصورة رسمية، لهذا كان من الطبيعي أن تكون صاحبة أغزر إنتاج من القصص الكروية القصيرة، وهو الأمر الذي لم يأت من فراغ، فبلد لا تخلو تقريبًا قرية واحدة فيه من أكثر من ملعب، ويقدم مسابقة للدوري من ست درجات مختلفة بجانب الدوريات الإقليمية، كان ولا بد أن يكون للكرة دورها في حياة بعض أدبائه بشكل يدفعهم للكتابة عنها.

تستند هذه المجموعة المختارة بصورة كبيرة على أعمال ثلاثة أدباء: الراحل أوسبالدو سوريانو وله سبع روايات ومثلها من المجموعات القصصية، وتحمل جائزة أدبية في الأرجنتين اسمه، وإدواردو ساتشيري، الفائز بجائزة (ألفاجوارا) الروائية العريقة في عام 2016، والكاتب والرسام الساخر الراحل روبرتو فونتاناروسا الذي ألف خمس عشرة مجموعة قصصية بخلاف مشاركاته الكتابية في مجالي السينما والتليفزيون.

وتتنوع القصص التي يقدمها هذا الثلاثي، بين تجاربهم الشخصية مع الساحرة المستديرة، التي تعكس مشاهد وأفكارًا عن الحياة الأرجنتينية، أو قصصًا خيالية صرفة منغمسة في تجارب واقعية وحياتية ترتبط بالكرة، أو حكايات يبدو للوهلة الأولى أنها ترتبط بأرض الواقع، قبل أن تنقل القارئ بغتة إلى عالم الفانتازيا، وقد حاولت بقدر الإمكان في اختياراتي تحقيق التوازن المطلوب بين أفكار ومواضيع كل قصة، لكي يحظى القراء بمختلف أنواعهم على تجربة دسمة وممتعة ومختلفة.

محمد الفولي

فهرس القصص

الحبّ الأول
(أوسبالدو سوريانو)

أتذكّر دائما، قبل انطلاقي في أيّ رحلة طويلة، بعض الأشياء التي تخصّني، أشياء تعود إلى حقبةٍ لم أكن أحلم فيها بعد بكتابة الروايات فجرًا أو الصعود على متن طائرة أو النوم في فنادق بعيدة. تتمايل هذه المشاهد جيئة وذهابا مثل أرجوحة شبكيّة خاوية. كانت رفيقتي الأولى فتاة خجولة تمتلك شعرًا شديد السواد، أمّا الآن فلابدّ أنّها متزوّجة ولديها أبناء في سنّ الشباب. كانت هي من مارست معها الحب لأوّل مرة في أحد أيّام الإثنين عام 1958 في ساعة القيلولة على صفٍّ من المقاعد المكسورة في سينما خاوية.

قبل أن نبلغ هذا اليوم، فاجأتنا والدتها في أحد أيّام الشتاء، وكلّ منّا ملابسه مفتوحة الأزرار تحت الأضواء المرتعشة لغرفة شبّاك التذاكر، ووجّهتْ لها بدون تردّد صفعتين مازال صداهما يتردّد في أذني من بعيد وبكلّ ألم، صدى تلك السنوات المليئة بالصراع بين فكر فرونديزي وبيرون. كان والدها رجلًا سريع الغضب، أصلع الرأس يلتهم السجائر بنهم ويحيّيني بمزاج سيّئ ، فتكفيه مواجهة مشاكل ابنته الأخرى الّتي اعتادت العودة فجرًا في سيّارة أحد الغرباء.

كنّا، أنا ورفيقتي، في الخامسة عشر من العمر، حين جلسنا في الميدان في مساء أحد الأيّام الّتي لم تعرض فيها السينما شيئًا، كان كلّ منّا يداعب الآخر

حين يغفل عنّا عسكري الدرك. لم يكن هناك سبيل للاستمتاع في هذه القرية بشوارعها الترابيّة، وعليك أن تخرج إلى الطريق المستقيم كي ترى الإسفلت، بين حفر وبنايات ماتزال في طور التشييد، من خينيرال روكا حتّى نيوكين.

كان أيّ شيء يصل من بيونس آيرس يتحوّل إلى حدث كبير، فالأمر يتعلّق برحلة مدّتها ست وثلاثون ساعة على متن القطار أو رحلة أسبوعية باهظة وخطرة على متن الطائرة، لدرجة أنّني لا أتذكّر سوى زيارة ملاكم في آخر مشواره -كان قد ذهب إلى روكا وبانفيلد وعاد منهكا إلى نيوكين- وأخرى لمجموعة من الرجال أطلقوا على أنفسهم فرقة «لوس بونشوس» وكانوا يؤدّون نمرتهم في قاعة حفلات نادي ثيبوليتي.

كانت صحف العاصمة تتأخّر ثلاثة أيّام في الوصول، ولم توجد مكتبة واحدة، أو أيّ مكان يُتيح الاستماع للموسيقى أو تقديم المسرح. أتذكّر وجود نادٍ لهواة التصوير وقدوم فرقة عسكرية مرة واحدة شهريًا لعزف موسيقى وطنية. بهذه الطريقة كان كل ما يتبقّى هو الكرة وسباقات الدرّاجات النارية، في فترة تحوّلها إلى موضة.

حينما وجّهت والدة رفيقتي تلك الصفعة لها، كنت ما أزال في المدرسة الصناعية ولم يسبق لي تسجيل هدف. كنت ألعب في واحد من الملاعب الصغيرة التي يرتجلها فتية الحي بين الفينة والأخرى، أضع الكرة بالفعل في المرمى، لكن هذه الأهداف لم يكن لها قيمة، فكلّ منّا كان يفكّر في تسجيل ما هو أفضل منها في وجود جمهور، بينما ترتعش رفيقته من فرط الإعجاب.

بكلّ تأكيد، كنّا ذكوريّين بدرجة فظيعة؛ لأنّنا نضجنا في زمن وعالم بلا شك على هذه الشاكلة، عالم مليء بعسكر متمردين وقيادات مقدسة، ومليء أيضًا بذكور عاشقين للمواخير وفتيات خاضعات في المنزل، عالم ستسقط عليه سريعًا مثل السيل، تسالي الستينيّات الغاضبة.

لكن في حقبة الخمسينيات كنا نرغب في النضج سريعًا وتحقيق المجد في أي شيء ذكوري أحمق مثل سباقات الدراجات النارية ومباريات كرة القدم. أُصبت بكدمات كثيرة قبل اقتناعي بأنّني لا أمتلك أيّ موهبة على حلبات السباق. اعتاد والدي أن يصحبني لركوب الدراجة النارية، لكن والدتي كانت تعاني كثيرًا، بينما أصابتني المنحنيات وكل انحناء بالدراجة نفسها بالهلع، أما الكرة فهي شيء آخر: ففي كل مرة دخلت فيها المنطقة بين بائسين يتباهيان بكونهما جزارين سفاحين، تملكني شعور بأنني حظيت بعشر دقائق في الفردوس.

أتذكّر مدافعًا كبيرًا -بعمر ستة وعشرين عامًا تقريبًا- كان دائمًا يرتدي شريطًا فوق رأسه ويعلّق ميدالية تحمل صورة العذراء، اعتاد إخبار المهاجمين بأنه حُكم عليه بالموت في لابامبا لإرعابهم. أتذكّره بحنين خاص، على الرغم من أنّه دمّر ساقي، لأنّه راقبني في اليوم الذي سجلت فيه أول أهدافي. كان ذلك الرجل يضرب كثيرًا وبكل حماس، مثل الأسطوري روبن مارينو نافارو، فأطلقوا عليه لقب «الفأس الشجاع». كان عنصرًا أساسيًا في فريق ألتو فايي، وفي هذا المكان وتلك السنوات، حكام قلائل يمكنهم المخاطرة بحياتهم من أجل طرد لاعب.

لم تذهب رفيقتي للمباريات. كانت تدرس لتصبح معلمة. مازالت تتراءى لي بزيها المدرسي ونظراتها تبحث عني. طلبت منها في أحد الأيام أثناء سفر والديّ أن تأتي لمنزلي، لكن الأمر حينها تحول إلى فشل مليء بالنحيب والتأنيب والضيق. ربما ستقرأ هذه السطور وستتذكر رائحة تفاح مارس وخوفها وحماقتي المفجعة.

كانت، لمدة شهرين، وقبل أن أعرفها، رفيقة لقلب دفاعنا، وقال لي أحدهم إنه تفاخر دائما بوضع يده أسفل قميصها. لم أكن أطيقه لهذا السبب،

ولغيرتي من تصوارتي حول ذلك الماضي، توقفت عن تحيته. كان الفتى طويلًا ورفيعًا للغاية، يركل الكرة مثل الحصان. كنت أعض على فمي، هناك في الأعلى، في وحدة رأس الحربة الصريح، بعد كل خطأ يُرتكب ضدي، لأشاهده يحصل على كل المجد عبر ركلة حرة يسكن فيها قذيفته بالزاوية العلوية.

إذا كنت ذكرت اسمه اليوم -ومايزال الحقد بداخلي- فإن السبب وراء هذا هو أنه شارك في ذلك الانتصار الذي لا يمكن نسيانه، ولأنه بدون هدفه، لما وصل هدفي إلى مجده الحالي.

اعترفت رفيقتي بأنّه سبق وقبّلها، لكنّها نفت إقدام هذا الشخص الكريه على وضع يده أسفل قميصها. استسلمت أحيانًا لتصديقها، لكن في مرات أخرى شعرت كأن هناك إبرة تخترق أمعائي. كنا نستمع إلى بيلي كافارو وربما إيدي بيكينينو لكن لم أذهب معها بتاتًا للرقص لأن هذا بدا لي حينها شيئًا للمدللين. في الحقيقة، لم أتحمس أبدًا، وإذا كنت لاحقا، بعد أن أصبحت في تانديل، قد سقطت في حفل بنادي إندبنديتي، فإن السبب وراء هذا كان السُكر التام وملاحقتي لشقراء مثيرة للإعجاب.

كنّا نقضي أوقاتنا في السينما، يداعب كل منا الآخر سرًا من أسفل الغطاء الذي يخفي سيقاننا، واعتقدنا أن والدها لا يدري شيئا حول الأمر. ربما كان هذا الأمر حقيقة: كان يسير في غموض بينما يحني ظهره ويلتهم سيجارته المشتعلة متعصّبًا من الدخان وحرارة كابينة العرض، لكن والدتها لم تكن ترفع عينيها من علينا. وفي ذلك المساء الشتوي البائس اقتحمت غرفة التذاكر وبدأت في صفع رفيقتي. بعدها عرفت أننا سنمارس الحب كل يوم، لكنني افترضت حينها أنه لا توجد سوى طريقة واحدة ممكنة، وأنها إذا ما قبلت فإن أكثر لحظات الوجود مجدًا ستحدث في النهاية.

هذه اللحظة -في حياة سوقية- لا تُقارن سوى بلحظة أخرى، وهي تلك التي تدخل فيها الكرة المرمى حقًا للمرة الأولى. لا يوجد فيها شخص أسعد من ذلك الذي يحتفل بذراعين مفتوحتين نحو السماء شاكرًا الرب. كنت أنا هذا الشخص منذ ثلاثين عامًا. مازلت أسير، في إعادة بطيئة لا تنتهي، بحثًا عن عناق زملائي لأسمع صخب وضجيج الجمهور. أعلم أن هذه الاعترافات قد تنزع عني وقاري في البرج العالي للكتاب، لكني مازالت هناك، بين رقابة صاحب القميص رقم خمسة و(الفأس الشجاع) الذي يجذبني من قميصي بينما يتسيّد التعادل المباراة، يرسل الجناح طويل الشعر عرضية منخفضة تقليدية بلا جدوى. ينقطع نفسي لكن عقلي مازال يعمل. مازلت هادئًا مثل قاتل مأجور. قبلها بوقت بسيط كان قلب دفاعنا قد تمكن من التعادل بعد تسديدة من على بعد ثلاثين مترًا. احتفلت بهدفه دون عناقه، لكن في هذه الهجمة المرتدة قرب النهاية، شعرت بحدس سري يخبرني بأن حياتي ستتغير للأبد.

انتهى الخوف من ضياعي بين غابة من السيقان وجحيم الصراخ والكيعان. أخطأ صانع الألعاب صاحب الألف معركة في التسديد بعد وصوله من زاوية قطرية بساقه اليمنى الثابتة. تسبّب هذا الخطأ بصورة لا يمكن تفاديها في بعثرة الدفاع بأكمله، والتفّت الكرة من خلف صاحب القميص رقم خمسة، استدار بكل بؤس ساعيًا لتشتيتها إلى ركنية، لكن ظهرتُ حينها، مثل أبطال الأفلام، معدّلا من وضعية قدمي لكي لا ترتفع التسديدة، وأركلها بقوة في الناحية العكسية.

حتى ولو بدا الأمر كذبة، فإن هذه الصورة ماتزال تقيم في داخلي، في أي فندق أسكن فيه، مثل تلك الأخرى: على مقعد مكسور في سينما خاوية. نقبّل بعضنا بعضًا، دون مقدمات، لأن الصفعات ماتزال تُلهب وجهها،

ثمّ تسلّم رفيقتي نفسها أخيرًا وتستقبلني، بينما نهديها، بعد أن شعرَا يوما ما بمداعبة مدافعنا عديم القيمة، يهتزان ويرتعشان ويصارعان.. واليوم دون مقدمات أيضا، فإن حياة كل منا مع آخر، وفندقي بعيد عنها.

الحياة التي نظنها

(إدواردو ساتشيري)

أجبت على الهاتف، وكان الجدّ على الخطّ، لكنّي سمعته بالكاد في البداية لأن أسطوانة التأنيب المتبادل بين شقيقيّ ووالدتي كانت مستمرّة خلف ظهري: في هذا البيت، لا يجيب أحد على الهاتف، فهل يجب أن أفعل كل الأمور بمفردي؟ وإن هذا كان دور لاوتارو، أو إن ماريانو لم يكن منشغلًا، وإن إجابة أغوستينا هي أفضل شيء لأنها لم ترتب طاولة الطعام ولو لمرة واحدة في حياتها، أو أنتم الثلاثة ستدفعونني للجنون!

لم أسمع شيئًا من علوِّ صراخهم، لذا وضعت يدي على السمّاعة وصرخت أنا الأخرى مطالبة إيّاهم بالصمت، أمّا جدّي فلم يكن يسمع أحدًا. استجابوا قليلا. لا يعد الإنصات لما يقوله الجد سهلًا على أي حال، فهو يتحدّث بصوت خافت، لدرجة أنني طلبت منه تكرار ما قاله مرّتين. يتحدّث جدي دائمًا بصوت منخفض، فهو ليس مثل أولئك العجائز الذين يصرخون كأنّهم صُمّ، بل على النقيض. وقد عرفته على هذه الصورة منذ صغري، فهو يتحدّث معك دائمًا كأنّكما الوحيدان على كوكب الأرض، بعيدًا عن كلّ الخليقة.

لكن صوته في هذه المرة كان همسًا، ففهمت في النهاية أنّه يحدّثني سرًّا. تخيّلت أنّ الجدّة تتمشّى بالقرب منه وهو يرغب في الحفاظ على محادثتنا

محفوظة في بئر عميق. بدأت أنا الأخرى، بغبائي المعهود، في الهمس أيضًا. ذلك الانعكاس التلقائي الذي نمتلكه جميعًا: إذا رفع أحدهم صوته لأنه لا يسمعنا، نقوم بالمثل، وإذا ما وشوش أحدهم وشوشنا معه. يا لي من حمقاء! لم يعد فعل «وشوش» يُستخدم من خمسة وأربعين عامًا وأنا أدخلته فيما أكتبه الآن. «تشويه مهني». هذا ما ستقوله والدتي. فهي طبيبة نفسية وتحبّ استخدام كلمة «مهني» والحديث عن المهنيّين، وما يفعله المهنيون وما يقوله المهنيون، كما تحبّ تخيّل ابنتها أيضًا حينما تصبح مهنية. إنّ كلمة «Profesionales» هكذا في صيغة الجمع، تذكّرني باسم أحد أفلام الغرب الأمريكي في حقبة الستينيّات، وفي صيغة المفرد تعكس لي صورة شخص جادٍّ يرتدي مئزرًا أو يحمل حقيبة أوراق بينما يتفحّصني بعينين حكيمتين مهدّدتين. (حكيم؟) ها هي كلمة أخرى تخرج من صندوق الذكريات، أو النسيان. تتحدّث والدتي عن التشويه المهني لأني أدرس الصحافة، ووسط غيوم يقينها فإنّ معنى هذا الأمر يصبح «ترغب الفتاة في العمل بمجال الكتابة، لكنّها ستموت من الجوع بكلّ تأكيد إذا ما تخصّصت في الأدب، لذا فالصحافة هي الأفضل». تتمخّض دراسة ذهنها للأمر عن عبارة «بكلّ تأكيد. أغوستينا قرأت الكثير» بينما أتجاهل أنا المسألة تماما. فقد تكون أمّي طبيبة نفسية ماهرة مع مرضاها، لكنّها في المنزل فهي أمّ من الطراز القديم، أمّ من أولئك الأمّهات اللاتي يعشقن الثرثرة والأثواب الواسعة.

على أيّ حال، لو أطلع أي مدرس في الكلية على ما أكتبه الآن، فإنّ أكثرهم ارتجالًا، سيخبرني بأنه لم يعثر على الخط السردي وسيكون محقًّا. بدأت بالحديث عن مكالمة الجد (لأن هذا هو ما كنت أرغب في حكايته) وها أنا الآن أتحدث عن نفسي، عن بلبلة أفكار والدتي، وعن كلمات عتيقة.. ها هي كلمة أخرى أمامك (عتيقة).

لنعد الآن إلى حيث كنّا. حدّثني الجد في نبرة سرّية وقال لي: «أحتاج أن أسألك بخصوص أمر ما»، ثم أوضح «دعوتك لشيء ما»، قبل أن يسأل:

- ماذا ستفعلين مساء الجمعة في الساعة الثامنة؟

- ليس لدي ما أفعله.

لو كانت إحدى الصديقات هي صاحبة السؤال، لأجبتها بأنني أفكر في الخروج للرقص، لكن أن تخرج الواحدة للرقص في الواحدة صباحًا! (يا لقبح تكرار كلمة واحدة كاسم وصفة رقمية. أنا فاشلة). ليس لدى كبار السن مثل الجد أي فكرة حتى عن أن فتاة ما قد تبدأ خروجها فجرًا، وقع عبارة «أُصبح مُنشغلة مؤخّرًا بعد منتصف الليل» عليه؛ سيكون أشبه بقول «توجد حياة على كوكب الزهرة». هو الشيء نفسه، لهذا أخبرته بأنني لست منشغلة، وأيًا كان ما سيقترحه الجد، فهناك وقت كافٍ للخروج معه والعودة للمنزل والاغتسال وارتداء الملابس والتزيّن. سألته:

- إلى أين ستصحبني؟

- إلى الملعب.

في الحقيقة، تَمكن عبر هذه العبارة من إدهاشي. كنت سأسأله -وسط اندفاعي الأول- لماذا لم يقدم على دعوة التوأم أو أحدهما؟ فهما يحبّان الكرة ويشجّعان خيمناسيا مثله، لكن أوقفني كروموسومي النسوي في الوقت المناسب. كان هناك صوت خفي يوجّهني:

«آه يا أغوستينيتا. يا لسهولة الأمر معك. يدهشك أمر ما وتبحثين فورًا عن صورة الرجل لاستعادة اتّزانك».

هكذا كبحت اندفاعي نحو تمرير الدعوة لماريانو أو لاوتارو، لكنّ الجدّ لاحظ توتّري (أفترض أن كلمة «ماذاااااا؟» التي استمر فمي في نطقها لعدة

ثوان ساهمت في ملاحظته للأمر):

- لا تقلقي يا كرتي الصغيرة. إنّها مجرّد فكرة لا أكثر ولا أقل.

لا أعرف إذا ما كان هناك رجل سيتمكّن في يوم من الأيام من لمس أعماق روحي المكنونة كما يفعل جدّي في كل مرة يناديني فيها «كرتي الصغيرة». كبداية، لا يناديني أحد سواه بهذا المسمّى الّذي لا يعرفه أحد غيرنا لأنّه لم ينادني به بتاتًا أمام أي شخص، كما أنّه لا يناديني به أبدًا في المواقف التافهة. فهو أشبه بكلمة سرٍّ تجمعنا نحن الاثنين وحدنا وفي المواقف الهامّة فحسب، بل شديدة الأهمية. «كرتي الصغيرة» جسر يربط بيننا دون أن يعرف أحد بوجوده.

اعتاد أن يدعوني «كرتي الصغيرة» ونحن في ملاهي الأطفال، بينما أفضحه بصراخي وبكائي وتعلق يديّ بالقضبان، أو حينما قضيت أربعة أيام -وأنا في الخامسة من عمري- تحت الشمس على مشارف البحر، لاقتناعي بأنّ كتلة الماء هذه التي تزأر ليست سوى قذارة متوحّشة، أو في الرابعة عشر، حينما حبست نفسي داخل غرفتي، عازمة على ألّا يرى أحد بتاتًا أن ثديي بدآ ينموان، أو في العاشرة حينما قرّر والدي عيش حياته والبحث عن فرصة للسعادة وكل هذه الحماقات مع فلورنثيا والعاهرة التي ولدتها. ألاحظ، بقلق جليّ، أن هذا النص لا يبتعد فحسب عن هدفه الرئيسي في قصّ ما جرى الأسبوع الماضي، بداية من مكالمة الجدّ الهاتفيّة، بل إنّه مليء أيضًا بالتعبيرات السوقية، مثل ذلك الذي نعتُّ به فلورنثيا المسكينة التي تخصّص حياتها لإسعاد والدي. على أي حال، فليذهبا الاثنان معًا إلى المكان نفسه حيث توجد العاهرة التي ولدتها.

تمالكي نفسك يا أغوستينا. تمالكي نفسك ولنستأنف خطّ السرد. حينما سمعت الجد ينطق كلمة «كرتي الصغيرة» شعرت كأن كل شيء اختفى، كل

شيء، حتى حماقات شقيقيّ أثناء شجارهما على جهاز التحكم. طالبتهما مجدّدًا بالصمت وأخذت الهاتف لأبعد نقطة ممكنة. سمح لي طول السلك بالوصول لباب الرواق، وجلست في الجانب الآخر. لا يوجد هاتف لا سلكي في منزلنا، فأنا أحب الكلمات العتيقة وأمي من عشّاق مخلّفات التكنولوجيا. حسنا.. لنعد إلى ما كنت أقوله. على أي حال. تمكنت من الحديث باطمئنان أكبر من حصني الواقع خلف باب الرواق. قلت له حينها إنني أوافق وهي فكرة جيّدة وكل ما حدث أن الدعوة أدهشتني، لاعتقادي بأنه كان ليفضل صحبة التوأم، فهما مطّلعان على كرة القدم ويتابعان «الذئاب»[1] مثله. واصلت وصفي المرتبك لتسلسل شكوكي الذي استمع له الجد بصبر ودون مقاطعة. أنهيت حديثي وأنا أكرر موافقتي وتأكيد إعجابي الكبير بالفكرة وأخبرته بأن يعتمد عليّ. سمعته يتحدث مع الجدة بينما كنّا نستعدّ لإنهاء المكالمة:

- مع أغوستينا.. ليس شيئا مهمّا. أمر طلبته مني وكنت قد نسيته.

أدركت أن الجدة لم تكن مطلعة جيدًا على خططه وأن الجد كان يسعى لإبقائها على جهلها، ثم ودّع كل منا الآخر. تعجّبت والدتي حينما أنهيت المكالمة، تعجّبت من أن الجد لم يطلب مني تمرير السماعة لها، بل إن شقيقيّ الأحمقين توقّفا عن نقاشهما الأحمق بخصوص برنامج (الحلم بالرقص)؟ (الرقص بالحلم)؟ أو (الحلم بالحلم)؟ أو أيا كان اسمه ونظرا لي. قطّبت وجهي بتكشيرة جاسوسة روسية في الولايات المتحدة إبان الحقبة المكارثيّة، لكن بدا لي أمرًا مبالغًا بل ومثيرًا للشبهات، حتى تحجّجت بأن المسألة تتعلق ببعض الكتب التي يمتلكها وأنا في حاجة لها من أجل الكلية، وهذا هو كل شيء، لكن ظلّت نبرة التكتم التي صبغ بها الجد مكالمته تتواثب داخلي.

---

1. الذئاب هو اللقب الذي يعرف به فريق خيمناسيا، نظرًا لأن مقر النادي يقع بالقرب من الغابة ولكون الفريق قد اشتهر تاريخًا بالسرعة والمكر الكروي.

بدأت في الأيام اللاحقة بالتنقيب بعناية شديدة، عمّا قد تكون والدتي تعرفه بخصوص الأمر. استقصاء والدتي أسهل من جدول ضرب الرقم واحد. يوجد شيئان من مشاغلها يهيئانها للتفوه بما يدور في مخيلتها: غسيل الأطباق والتفاعل مع الحاسب. لا أعرف السبب ولم أتوصل لمعرفة ماهية الصلات الغريبة التي قد تترابط داخل هذه الأمور، يظهر مدى تباينها بمجرد النظر، لكن بينما تدعك الصينيّة وهي تغرق الإسفنجة في المنظّف أو تعض على شفتها السفلية ونور الشاشة يفترش وجهها، تبدو أمي مستعدة للإجابة على كلّ ما قد تسألها عنه وما لا تسألها عنه أيضا.

كانت واحدة من تلك المرات التي تحمل عنوان «لا أعرف أين يجب أن أنقر لكي يستجيب الجهاز» حينما تركت تلك القصة مسارها الكوميدي الضيّق لتتحوّل إلى أمر آخر. بدأت حديثي من حيث ارتأيت مدخلًا سهلًا. نطقت اسم الجد لسبب لم أعد أتذكّره وانساب الحديث من أمي كأنها حُقنت بمصل الحقيقة الذي يظهر في أفلام الجاسوسية.

تحدّثت عن الصحّة، صحّة والديها، أو بالأصح تدهورها. فصحّة الجد والجدة بالنسبة إليها شأن يومي، هي في حالة تأهّب معتدلة، لكنّها دائمة. ليست شيئًا لتتشاركه معنا، كما تفعل دائمًا في أمورها الطارئة. يدخل فخذ الجدة وحالات نسيانها المتكررة ضمن الأشياء التي تعتني بها بمفردها، بمعزل عنّا نحن الثلاثة. وينطبق الأمر نفسه على عدم انتظام دقات قلب الجد، ومشاكله مع الضغط العالي ومستوى الكولسترول الواصل للسماء وتحدّي طبيب القلب والتشخيصات المقلقة.

استغرقت وقتًا أطول في هذا الوصف، كأنّ مشاكل الجدة اكتسبت طابعًا روتينيًا أكبر، ربما لم تعد مُلِحّة كما كانت أو أنها أصبحت أكثر قدمًا، وبالتالي لا تحتاج إلى شرح مفصّل. لكن على النقيض، حينما تحدثّت عن الجدّ، تركت

الفأرة دون أن تدري، أبعدت المقعد واتّكأت بكوعها على المكتب وشردت ببصرها في الأرض، فهي تفعل هذه الأشياء حينما يوجد شيء لا تتحمّله.

لا أعلم إذا ما كانت المسألة تتعلّق بغدّة نمتلكها نحن معشر النساء في مكان خفيٍّ وتنشط مع أقل تحفيز مباشر أو غير مباشر، أو أنّ بعض النساء لديهنّ هذه الغدّة على عكس أخريات، لكنّي أمتلك ميزة يمكن التشكيك فيها بوجودي ضمن زمرة من يمتلكنها، لأن هذه المحادثة -بخلاف إثارتها لقلقي وإحباطي- ملأتني بالذنب. أين كنت طوال الشهور الأخيرة؟ تذكّرت لاحقًا لكن في النهاية تذكّرت -ربما في الوقت الضائع- تلك المحادثات الطويلة منذ عدة شهور بين والدتي والجدة، حينما كانت تحتمي هي الأخرى خلف باب الرواق، والهاتف في يدها بينما يتدلّى سلكه. وتوصّلت إلى أنني لم أقدر مطلقًا على سؤالها، حتى ولو بمواربة وترقّب، عن ماهية ما يحدث. أنا الواهمة، فكرت في استقصاء والدتي والتبجح أمام شقيقيّ بعبارة شائعة مثل «الجدّ يحبّني أكثر منكما»، لكن بمجرد تفهّمي، أو اعتقادي بأنني أفهم، بدأ الغمّ يكتسحني.

ملعونة هي الساقطة التي أنجبتني -مع الاعتذار لأمي المباركة-، فبينما كانت هي تتنقّل من طبيب إلى آخر، لإيجاد حلّ لهذا التشخيص السيّئ، والمزيد من الاحتياطيات والمحاذير والوصايا وهذا هو ما عليه الوضع؛ لم أدرك أنا شيئًا طوال الشهور الفائتة وانشغلتُ بالعدم. اهتممت بشؤوني، وانغمست في ذاتي، بين علوم اللغويات وأساليب تحليل الخطاب والأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية والورش الاختيارية. أنهت أمي حديثها قبل أن ترفع عينيها وتكمل: «ونظام غذائي صارم وصندوق من الأدوية ورسم قلب متكرّر وجراحة لا تُصلح»، لتضيف هذا التعليق النهائي:

- إذا ما كان بإمكانك، هاتفيه سيُحبّ الأمر.

توجّهتُ إلى غرفتي، يتملكني إحساس بكوني حمقاء عاجزة عن الرؤية. لا وجود للحدس الأنثوي، على الإطلاق، إنه أمر فظيع، أرغب في الموت!

كان هذا يوم الثلاثاء. تناول أربعتنا العشاء في المنزل يوم الأربعاء، وتجنّبت إصدار أي تعليق، خشية أن تبدو عليّ أمارات إخفاء سرّ، ليس بسبب التوأم بأسنانهما البارزة والذين لا يملكان أي فكرة عن موقعهما في الحياة وعن هدفهما فيها، بل بسبب والدتي. لم أرغب في الإخلال بوعد الإبقاء على الأمر في طي الكتمان المطلق.

افترضت أن الساحة أصبحت ملائمة، حين خرجت والدتي يوم الخميس لتناول الغداء مع صديقاتها، وعلى عكس عاداتي ومبادئي، تصرّفت كفتاة منزلية صغيرة، وبدلا من الشجار مع التوأم بخصوص من سيطبخ أو سيعد الطاولة أو يغسل الأطباق، طهوت في الفرن بعض قطع البوفتيك مع إضافة البيوريه الجاهز وناديت عليهما حين أصبحت كل الأمور جاهزة ومرصوصة فوق الطاولة، كفتاة «جيشا» ربما. لم يوجها لي كلمة شكر واحدة، كأن وجود حمقاء في المنزل تهتم بكل شيء جزء من حقهم الذكوري في حكم الخليقة، لكن هذه مسألة أخرى. هو موضوع آخر، لكن هناك صلة في الحقيقة، لأنني كنت أشعر بضيق غريزي، ومستعدة لغرس نظراتي المسعورة (بدلا من السكين لأن هذه الأشياء ليست معتادة في المنزل) فيهما مع أول فرصة.

طرحت عليهما موضوع كرة القدم ومن سيلعب مع خيمناسيا. نجح هذا الجزء من خطتي بشكل مثالي، وكحصانين تقليديين ينطلقان في طريقهما مع أول حركة للزمام، انطلقا يتحدثان عن خيمناسيا بلغة الخبراء. أعتقد أن هذا هو الأمر الوحيد الذي يكتسبان عنه خبرة. عرفت بهذه الطريقة أن «الذئاب» سيلعبون يوم الجمعة في الثامنة -كنت أعلم هذا بالفعل- وأن المباراة ستكون ضد دفينسا إي خوستيثيا -وهو ما كنت أجهله- وأن آخر

مباراتين للفريق انتهتا بالفوز -لم يكن لدي أي فكرة- بخماسية نظيفة على كروثيرو ديل نورتي وبهدف وحيد خارج الديار على فيرو، وبالمثل لم أكن أعلم شيئا عن هذا الأمر.

سألتهما بنبرة من لا تستهويه هذه المواضيع، إذا ما كانا سيذهبان لمباراة الجمعة، فأكّد لاوتارو هذا ونفى ماريانو، وما حدث بعدها مثال تقليدي على بطء فهمي وانعدام ثقتي، لأن الجد قال لي بكل وضوح إن الدعوة موجّهة لي وحدي، ويفترض أن نبرته المكتومة بيّنت المسألة كما يجب، لكن لأنني مهووسة كُتب، رغبت في التأكّد وسألت لاوتارو إذا ما كان سيذهب للملعب مع الجد. لم يكن عليَّ أن أسأله بتاتًا، بل كان ينبغي عليّ الرضا بما أعرفه وكفى، لكن كان يجب أن أذهب إلى اللغم وأضع يدي على لسانه، إلى الأسد لأدخل رأسي إلى فمه، ولن أضع استعارة واضحة أخرى لأنه حاليًا لم يخطر ببالي سواهما، فما حدث أنهما نظرا إلى بعضهما، ثم نحوي، ثم تبادلا النظرات، ثم نظرا نحوي مجدّدًا كما لو كنت من المرّيخ أو حمقاء قبل أن يقولا:

- لا يا مُتخلّفة. لا يمكن للجدّ الذهاب للملعب. ألا تعرفين هذا؟

كان يجب أن أعرفه. يالي من غبية! عدت لأشعر بكوني امرأة فاشلة لعدم علمي بمدى تدهور صحة الجدّ. إذا كان هذان المجنونان يعرفان المسألة، فالأمر ينطبق على البشرية قاطبة، البشرية بأكملها باستثنائي أنا، التلميذة الصحفية -صحفية أمها- لم أكن قادرة على رؤية ما يحدث أمام عينيّ!

هذا أنا: أنثوية لغاية الشعور بالذنب، وليس لدي شيء من الأنوثة لتفهم ما قد قِيل. انتفضت من داخلي، لأنه بعد ما أخبرتني به والدتي المباركة، كان يجب أن أدرك أن الجد، في حياته الجديدة المليئة بالعناية والمحاذير والوصايا والصعوبات، ممنوع من الذهاب للموت سواء من الحرّ أو البرد أو الأمطار أو الهتاف أو التوتّر في ملعب خيمناسيا، بينما هذان المعتوهان، الأميّان أخلاقيًا

ينظران إلي كطبيبين وعلى محيّا كل منهما تعبير يقول «من الواضح جدًا» أن الجد لا يمكنه الذهاب إلى الملعب. شعرت بعدها بأنّي قمامة.

أخبراني، بسلاسة ليست معتادة منهما، أن المرة الأخيرة للجد في الملعب تزامنت مع مباراة هامّة للغاية من أجل الترقية، حيث سجّل خيمناسيا فيها هدفين في آخر خمس دقائق لتفادي الهبوط. يقولون عن هذه الأشياء إنها «مباراة قد تسبّب أزمة قلبية». حسنا يبدو أن الجد تعامل مع الأمر بجدية شديدة، لأن جسده ظل هناك ممدًا في المدرجات وبقاؤه حيًا كان صدفة. أنا غبيّة، لكن ليس بصورة كبيرة، لهذا تذكّرت حينها الموضوع، لكن لأنها لم تكن سكتة قلبية كما يجب (الآن أفكر في الأمر ولا أعرف ماهية «السكتة القلبية كما يجب»)، ولأنّه كان قد مر عامان أو أكثر، فلم أضعها في بالي تقريبًا.

- مثل «العجوز كاسالي»[1].

قالا هذه العبارة ولم أفهم عن ماذا يتحدّثان.

- قصّة فونتاناروسا[2].

حاولا التوضيح بهذه العبارة، لكن ظللت على عماي كما كنت. فاض الكيل، فآخر شيء يفترض أنّهما قرآه هو دليل تشغيل الـ(بلاي ستيشن) ويسعيان الآن لإعطائي درسًا في الآداب.

لم أذق طعم النوم مساء الخميس، أو أنني خلدت للنوم في وقت متأخر مهزومة من الغمّ الّذي أنهكني، بعد التفكير مرارًا وتكرارًا طوال ساعات

1. واحدة من أشهر قصص الأدب الكروي الأرجنتيني والتي يخطف فيها عدد من الأشخاص مشجعًا يدعى كاسالي لكنه يلفظ أنفاسه الأخيرة بسكتة قلبية.

2. أحد رواد أدب كرة القدم الأرجنتيني ومؤلف قصة (العجوز كاسالي). تتضمن المختارات الموجودة في هذا الكتاب عددًا من قصصه.

وأنا على فراشي. كان الحديث مع أمّي سيكون تصرّفًا منطقيًا، أو مع أمي والجدة وتحذيرهما. لم أتمكن من التحجج بعذر للجد لإلغاء موعد الجمعة. لم يكن إبلاغه رفضي بعدما طرأ أمر ما يمنعني من الذهاب ليصبح كافيًا، لأنه إذا لم يذهب معي، سيتوجه للملعب على أي حال، إذا لم يكن لمشاهدة هذه المباراة، فلمشاهدة المباراة التالية. كان يجب التأكد من أنّه لن يقدم على هذا الأمر، بالسيطرة عليه ومتابعته. لا أعرف، شيء من هذا القبيل. كانت مساعدة أمي وأم أمي واجبة لهذا السبب، بل وحتى التوأم عديمي الفائدة إذا ما استدعى الأمر، لكن في التاسعة صباحًا من يوم الجمعة رنّ هاتفي الخلوي وفشلت كلّ مخططاتي. حيّاني الجدّ:

- أهلا أغوستينيتا.

تجمّدت في مكاني، ولم أستطع أن أنبس بكلمة لأنّ خطّتي لم تكن رادعة بصورة مباشرة. لا، بل ارتكزت خطّتي الشجاعة الخيّرة على العمل من ورائه وإعلام والدتي والجدّة بالأمر، لكي يشرعا في تحويل مشروعه إلى رماد، لكنّه كان معي الآن بصوته الهادئ، بينما تملؤني رغبة في البكاء لم تتحمّلها روحي. قال لي بعد سلسلة من الأسئلة الاعتيادية:

- أنا في حاجة إليك اليوم.

لم يضف شيئًا. لم يقل لحسن الحظّ «كرتي الصغيرة». أعتقد أنّه لو دعاني «كرتي الصغيرة» لانهرت وبدأت في الصراخ لطلب الشرطة أو قسّ اعترافاتي (على أساس أنّه لدي)، لكن من كثرة التفكير في أنّه «سيقول (كرتي الصغيرة الآن). سيقولها»، كان الأمر كأنّه نطقها بالفعل، ولأنّه لم ينطقها فإن الكلمة بدت داخلي أكثر قوّة وتردّدًا.

التقينا في السابعة، قبل أن يحلّ الظلام وسرنا دون عجلة في الشارع رقم

117. تحدّثنا في الطريق عن أمور من هنا وهناك، عن الكليّة وأمّي، وعن التوأم والعطلة المقبلة وانفصالي عن لوكاس. لكنّنا لم نتحدّث عنه كثيرًا لأنّه كان يمتصّ أثر أسئلتي ويوجّهها نحو مناطق عديمة الضرر، ضيّع فيها الأمور ببراعة. لحظة: لست عادلة. تحدّثنا عنّي على وجه الخصوص لأن الجد امتلك كل إحداثيات توجيه الأسئلة، بينما لم يكن لدي أيٌّ منها. كان يعرف كل عنصر يُشكّل عالمي، ليس لأنّه سأل الجدّة عن الأمر فحسب كمن يقوم بواجب، بل لأنّ مثل هذه الأمور ملحوظة. أعني بدلًا من أن يكون السؤال على هيئة ريبورتاج صحفي سطحي، كما هو الحال في تلك الأماكن الشائعة التي يجلس فيها البالغون غصبًا، كان الجدّ -على النقيض تمامًا- يوجّه أسئلة عميقة وطبيعيّة. ورغم أنّها ليست حميمة جدًّا كأسئلة إحدى الصديقات بكلّ تأكيد، إلّا أنّها كانت واثقة وواضحة، لا يوجّهها إلّا من يعرف أعماق أعماقنا.

حاولت في البداية أن تسير الأمور بصورة متناسقة، أعني سؤالًا مقابل سؤال، لكن لعجزي عن سؤاله بخصوص صحّته ولعدم علمي بأي شيء آخر يمكنني السؤال عنه (أن تكون شاباً داخل هذا الإطار فهي مشكلة)، انتهى الأمر بالحديث عنّي. سأستوقفكم مرّة أخرى: أنا ظالمة. لم ينته الأمر بحديثنا عني فحسب، بسبب عجزي عن توجيه السؤال الصحيح، بل استمرّت المسألة بسبب استمتاعي بها.

هذا العجوز القصير ذو البطن المنتفخ كان يستمع لي بكل اهتمام، ببعد نظر، يتيح لي الحديث بحريّة ويقاطعني بدقة حينما أبتعد عن الموضوع. لقد جعلني أتحدّث... بعمق. لا أجد تعبيرًا أفضل من هذا. هناك أشخاص حينما تحاورهم يجعلونك تتحدّث مع ذاتك. أعيد قراءة الأمر فيبدو لي غبيًا. حينما أصحح النص، سأغير هذه الفقرة، لأنها تبدو واضحة، لكنها ليست مفهومة، لكن هذه كانت مشاعري طوال سيرنا على رصيف الشارع 117

وحتى عبورنا للجادة رقم 60.

اعتذر الجد عن جلبي معه للملعب. كان هذا هو تلميحه الوحيد لحالته الصحية. أشار لركبتيه معتذرًا، ثم قال إنه يفضل أن نجلس في أكثر مكان مريح بالملعب. أسعدني قراره، فأنا أخشى التجمعات بعض الشيء من ناحية، وهكذا سنبتعد عن احتمالية مقابلة لاوتارو في المدرّجات المزدحمة.

صعدنا وعثرنا على مقاعدنا. حيّا الجد مجموعة من العجائز الجالسين بعيدًا. تحدّثنا عن حجم الجمهور الموجود. كان اللونان الأزرق والأبيض يغطّيان الأمكنة كلّها، والهتافات والطبول تملأ الأرجاء. اجتهدت كي لا أبدو كمختصة في علوم الإنسان أثناء زيارتها لعشيرة من العصر الحجري القديم وهي توجّه أسئلة غبية وتخرج بنتائج مغلوطة. فحقًا كم مرة حضرت فيها مباراة داخل ملعب؟ يمكن عدّها على أصابع يد واحدة. لا أتذكّر، ولكن أعتقد أنهم اصطحبوني عام 1995 حينما كان «الذئاب» قريبين من التتويج باللقب، وفي عمر الرابعة عشر حينما كنّا قريبين من الأمر نفسه، لكنّ كرة القدم لم تكن أبدًا من اهتماماتي. قال الجدّ:

- يأتي كثير من الجمهور لأنّ «الذئاب» في الصدارة.

أعجبتني نبرة التواضع هذه التي قال بها الأمر، فهو لم يتفوّه بعبارات مُختَرَعة حول أنّ الملعب دائمًا ما يكون بهذه الصورة، كما اعتاد أن يقول لي لوكاس عديم الفائدة أثناء حديثه عن بوكا جونيورز (ليس عديم الفائدة بسبب هذا، بل بسبب كل شيء آخر). ثمّ كرّر لي ما سبق وعرفته من شقيقيّ. الفريق فاز في آخر مباراتين أمام كروثيرو ديل نورتى وفيرو. كانت الملامح التي ارتسمت على وجهه تقول «ونتمنّى استمرار الأمر هكذا». عضضت على شفتي وأغلقت عينيّ متمنّية هذا، متمنّية استمرار الحفل، فجدّي وأنا نستحقّ مباراة لا تنسى، لكنّي كنت قلقة جدًّا أن يتوتّر الجدّ.

لاحت فرصة تهديفية لخيمناسيا بعد مرور خمس دقائق لكنها انتهت بشكل سيّئ . شاهدته يتكوّم في مجلسه قبل أن يعتدل مجدّدًا بعد أن ضرب بيده على فخذه. سألته:

- أنت بخير؟

- نعم. أنا في حال أفضل من ذلك الحمار الذي أهدر الفرصة.

لست ممّن يذهبون للكنيسة، لكنّي أصلّي، فأنا أؤمن أنّ الصلاة هي علاقة خاصّة بيني وبين ربّي. بدأت في الصلاة للربّ في صمت، دون ملاحظة جدّي، كي يمنحنا ليلة مجيدة لا تنسى، انتصارًا ساحقًا، ذكرى مليئة بنشوة سعادة تدوم معي للأبد، وتصبح جوهرة يكتنزها جدّي في ذكرياته.

حسنا، يبدو أنّ الربّ لم يكن متّفقًا معي، فبعد مرور عشرين دقيقة تقريبا من الشوط الأوّل، ركل أحد مهاجمي ديفينسا إي خوستيثيا الكرة من الخارج. كانت مجرّد ركلة تقليدية، قويّة لكنّها موجّهة نحو يدي الحارس. لم تكن خطيرة، بل لم تكن خطيرة بتاتًا، إلّا أنّها حفت بأحد المدافعين وذهبت في زاوية معاكسة للحارس نحو الأسفل. ملعون هو شكلك يا مهاجم الفريق الأخضر والأصفر. استمعنا، وسط الصمت الذي خيّم علينا، بكلّ وضوح لهتافات المشجّعين في الجهة المقابلة. نظرت إلى جدي، خشية أن يؤثّر استياؤه على علاماته الحيوية، لكن لم يحدث شيء. نظر هو إلى ساعته وتمتم بشيء ما ليهدّئ نفسه، كأنّ المباراة بدأت للتوِّ وما يزال وقت كبير متبقّيًا، وفعلا لم يمرّ وقت طويل حتّى تعادل خيمناسيا، بهدف جميل عبر تسديدة من خارج المنطقة. جميل هو الآخر، بل رائع، ما حدث بعده: القفز من على المقعد واحتضان الجد والضحك مع من حولي والتعليق على «الصاروخ» -دون امتلاكي أدنى فكرة عن كيفيّة ركل الكرة- والتحمّس مع الهتافات الصادرة وسط هذه الضوضاء، والأجمل هو قلب الموقف، أن تبدأ بخسارة وحزن

ومعاناة، ثمّ تتغيّر الأمور وتتبدل إلى كلمات تتعلّق بالبطولات والملاحم والمعجزات وأشياء من هذا القبيل، بعد لي ذراع القدر.

كنت أتفقّد الجدّ بين الفينة والأخرى للتحقّق من أنّه في حالة جيّدة. لو كان لدي مقياس الضغط، لتفقدته كل خمس دقائق أو مع كل هجمة مُجهضة لصالح خيمناسيا، لكن ملامحه كانت مطمئنة وكان يسبّ ويثني على هذا وذاك بين لحظة وأخرى.

عرضت عليه في الاستراحة تناول بعض المرطّبات، شربناها في الخلف، مستندين بكيعاننا على (الدرابزين) بينما ننظر للغابة. دردشنا مجددًا وعاد إحساس القدرة على الحديث لألف عام دون توقّف مع هذا العجوز. عدنا في الوقت المناسب وبمجرّد جلوسنا نظر لي وأخبرني وهو يصغر من حجم عينيه الضئيلتين:

- اطمئنّي. أضمن لك من واقع معرفتي بكرة القدم أننا سنفوز.

إمّا أنّه شعر بأنّ كلماته لم تكن كافية أو أنّ تعبير الانتشاء المرسوم على وجهي شجّعه على أن يرفع من سقف توقعاتي، لذا أضاف:

- وبحفل من الأهداف.

كان مخطئًا. لعب خيمناسيا شوطًا ثانيًا فظيعًا وبعد مرور ثلاثين دقيقة، سجّل ديفينسا الهدف الثاني عبر مرتدّة. كانت هناك فرصة لعمل بطولي آخر، لهذا راهنت بآخر ما تبقّى من إيماني على تعادل بشق الأنفس، تعادل من تلك الفئة التي اعتاد الفريق عليها، كما افترضت، فلا تزال هناك فرصة زمنيّة للتعويض. قلت لنفسي -متفلسفة- إنّه أحيانًا تحدث مثل هذه الأمور في كرة القدم. تحدث مثل هذه الأمور فعلًا في كرة القدم، ففي الدقيقة السابعة والثلاثين ومن مرتدّة أخرى سجّل ديفينسا إي خوستيثيا هدفًا جديدًا.

توقّف الجد عن السباب حينما تبقّت ثلاث دقائق. أسند ذقنه على قبضتيه وعدّل من وضع قبّعته وظل يهز رأسه يمينًا ويسارًا بين الفينة والأخرى، كما لو أن ما يراه زائد عن الحد. رغبت في أن أفنى بعدما شعرت أن كل الأمور تسبح في بحر من الخراء. لم أعد أبالي إذا ما امتلأ هذا الخبر الأدبي بالمصطلحات السوقية مثل كلمة خراء، لأنه هنا انهارت كل الأمور. خطة الجد، الليلة، حفل الوداع. هكذا كان الأمر. أعرف أنني على صواب. هذا كان حفلًا للوداع خُطّط له بعمق وعناية، وكل ما هو رائع، كل ما هو جميل بصورة حزينة وتضمّنته هذه البادرة من الجد، ضاع بسبب هذه المباراة العفنة والأهداف الثلاثة التي سجّلها ديفينسا إي خوستيثيا. لتشقّه صاعقة إلى نصفين؟ فأين في العالم يوجد نادٍ يسمى هكذا؟

اقترح جدّي عقب انتهاء المباراة الانتظار لرحيل الجمهور. خشيت من أن يكون متوعكًا، أو أنه ربما يحاول ضبط تنفسه ودقات قلبه. انتظرنا حتّى غادر جمهور الفريق الضيف، وفُتحت الأبواب لمشجّعي «الذئاب» وخلت المدرّجات وابتعد باقي العجائز الجالسين بالقرب منّا بعد أن تمتموا بتمنّي ليلة سعيدة لنا، انتظرنا حتّى نُزعت الشباك من على المرميين ورفعت اللافتات الإعلانية.

- أحبّ الملعب على هذه الشاكلة.

قالها الجدّ وهو يشير إلى البساط الأخضر المضيء، النجيل الصناعي المنتزع من موضعه، أشرطة الزينة الملونة خلف المرمى المطل على الجادة رقم 60 وسحابة الحشرات الطائرة حول عمود الإضاءة، فانعقد حلقي. سلّمت له يدي واستندت برأسي على كتفه دون أن أنبس ببنت شفة. لم يكن لدي رغبة في شيء سوى أن يتوقّف الزمن.

- لقد انتهينا.

لم أعرف كم مرّ من الوقت بعدما قالها. اعتدلتُ في مجلسي ومسحت دموعي. ابتسم ونهض وقال شيئا عن ركبتيه البائستين وألقى نظرة أخيرة، ثمّ التفّ نحو طريق الخروج دون إضافة شيء آخر. هبطنا الدرج. لم يلتف ولو لمرة واحدة للنظر مجدّدًا إلى الملعب. اقترحت توقيف سيّارة أجرة ونظر إليَّ متعجّبًا قبل أن يسأل:

- أنت في حاجة فعلًا للرحيل؟

أجبته بالنفي. اجتزنا عدّة مربّعات سكنيّة، لكن ليس باتجاه المنزل، بل نحو شارعيْ 55 و7 وما حولهما. توقّفنا عند حانة قديمة شبه خاوية وجلسنا على مائدة في نهايتها بعيدًا عن الواجهات الزجاجية. اهتمّ بنا المالك بعد أن خرج من وراء المشرب. حيّا كلٌّ منهما الآخر بلقبه وقدّمني الجدّ كأكبر أحفاده. تحدّثنا بالكاد عن المباراة. أدركت ممّا قاله الرجل الآخر أنه من أنصار أستوديانتيس. سألت الجد عن المسألة وأكّدها لي. وبيّنتُ له أنه لم يهزأ من هزيمة خيمناسيا وعاد الجد لهزّ رأسه بالموافقة.

- هو رجل يفهم كرة القدم، لهذا لم يقل شيئًا.

عاد المالك حاملا صينية كبيرة لدرجة أنها احتلت المنضدة بأكملها. التقت نظرة الزبائن مع جدي الذي أومأ لهم برأسه بسرور. كان أكبر طبق «بيكادا»[1] رأيته في حياتي. جهّزه له بشكل مُسبق. هذا أمر مؤكّد. ربّما استغرق إعداده ساعة.

- جعة؟

سألني الجدّ ووافقت. ذهب المالك نحو المشرب وعاد بزجاجة مثلّجة

---

1. طبق تقليدي في الأرجنتين وأوروغواي وباراغواي ويتكون من عدة أطعمة كثيرة بكميات قليلة.

وكوبين كبيرين. نظرت بتمعّن لما جلبه لنا: الجزء الرابع من طبق الـ«بيكادا» عبارة عن قنبلة قادرة على إسقاط أيٍّ شخص. تذكّرت محاذير والدتي، التفاصيل المقتضبة عن أمراض جدّي. تجرأّت على الحديث:

- ستتعب هكذا.

- 3 - 1 أتعبتني بصورة أكبر وها أنا هنا.

ردّ الجد بتهكّم لذيذ والتقط بعود أسنان شريحة من السالامي كأحد أشكال الإعلان عن تدشين الوليمة.

كم من أشياء التهمها هذا الرجل، بل في الحقيقة كم من أشياء التهمناها وشربناها. لو كنت أعمل كممرّضة لُمتّ من الجوع، خاصّة مع فرضية أنني كنت سأعتني به وأجنبه المبالغات، ومع زجاجة الجعة الثانية بدأت ألج لحالة السِكيرة السعيدة. ردّدنا هتافات كروية بناء على إصراري، لأنني كنت أرغب في هذا الأمر من ناحية، وأحاول استفزاز المالك الّذي ظل جامدًا من ناحية أخرى. تحدّثنا طويلًا لدرجة أنني لا أتذكّر عن ماذا تحدّثنا. أتذكر الشعور فحسب، الشعور برغبة في ألّا ينتهي الأمر، أن تظل الأمور هكذا دائمًا، وأيضا الشعور بامتلاك كلمات هامّة يُمكن قولها والصمت تمامًا قبل نطقها، ليس بسبب الخجل، بل لأنّها ليس لها محلّ من الإعراب. لم يكن ينقص أي شيء في هذه الليلة وداخل هذه الحانة.

أنزل المالك الباب الصاجي لحانته وجاء ليجلس معنا بعدما رحل بقية الزبائن. عبرت إلى ما خلف المشرب، بتوجيهات منه، كما لو كنت أعبر منزلي، وجلبت زجاجة من نبيذ (جانشا)، وبمزاج قضينا عليها نحن الثلاثة مع الليمون والثلج. تحدّثا عن كرة القدم، لاعبين قدامى ومباريات كلاسيكية لا تُنسى. كانا يتوقّفان بين الحين والآخر، كي لا يتركاني خارج إطار الأماكن

التي تقودهما إليها الذاكرة، ليشرحا لي بعض التفاصيل.

قمنا قبل منتصف الليل. ابتسم لنا المالك ومدّ جدّي يده نحوه وودّعه بطريقة احتفالية. حيّيته أنا الأخرى أيضًا. حينما خرجنا لليل المنعش، اكتسحني غمّ مفاجئ، وبعدما تمالكت نفسي، شعرت بأنّنا دخلنا في حارة مسدودة من كل النواحي.

- هيا بنا نسير نحو المنزل.

قالها جدّي كطريقة لإخراجي من وضعيّتي المتجمّدة.

-جدّي..

بدأت العبارة ولم أقل شيئا بعدها، لكن أفترض أنّ صوتي كان مكتسيًا بنبرة متأهّبة، لأنه وضع أحد أصابعه فوق شفاهي كي أفهم أنه عليَّ أصمت. أحاط كتفي بذراعه وسرنا في منتصف ليل المدينة حتى منزله.

قبّلني واحتضني حينما وصلنا لباب منزله وطلب مني الرحيل. عانقته بقوة. استسلمت وبدأت في البكاء كطفلة. أخبرته بأنني أحبه وطلبت منه ألّا أرحل، بل وعرضت عليه البقاء معه حتى الصباح. قلت له إنني لم أتحدث مع أحد مسبقًا بهذه الصورة، وأنني في حاجة إليه. لم يجبني، بل ظلّ يربّت على رأسي ويتمتم باسمي، كأنّه يعرف أنني لم أكن أنتظر أيّ كلمة.

لكنّ الأمور كانت حزينة للغاية لدرجة أشعرتني بالضيق. ملعونة هذه الليلة وملعون هو خيمناسيا أي اسجريما لا بلاتا وملعونون هم اللاعبون العاجزون عن إهدائنا النصر. لماذا لم يفوزوا في المباراة الوحيدة التي ذهبت فيها للملعب مع جدّي؟ ملعونة أنا وانشغالي بالكليّة ولوكاس الأحمق وصديقاتي والخروج للرقص وكلّ مآسيّ، وملعونة هي الحياة التي يُسيء المرء التصرّف في كلّ ما فيها ولا يدرك الأمور إلّا متأخّرًا.

تأخّر الجدّ في الردّ عليّ قبل أن يقول:

- لا تشعري بالضيق يا كرتي الصغيرة. لا تستائي، الحياة التي نظنّها شيئًا، تتغير بعد ذلك، تنقلب وتستحيل لشيء آخر، وفي النهاية تفعل الحياة ما يحلو لها.

فتح الباب وابتسم وصنع تحيّة كسولة بيده ودخل إلى منزله.

قضيت الليلة أبكي دون أن يغمض لي جفن. بدأت أسمع حركة بالمطبخ في حوالي التاسعة. يفترض أن والدتي كانت تتناول الإفطار. لم أرغب في الخروج من غرفتي. كنت أنتظر، كمريضة، مرّة تلو الأخرى رنين الهاتف. كنت واثقة أنّ الأمر سيحدث: تَعَجُّب أمّي من اتصال في صباح السبت، صوت جدّتي الحزين وتفسيراتها غير الواضحة، جلوس والدتي وهي تغطّي وجهها بيديها بعد أن اكتسى باللون الأحمر وهي تبكي، جهل التوأم لما يحدث، وقوفي على عتبة الباب وأنا أعرف كل شيء، كل الألم، كل الذنب، لأن الأمور كان لها معنى بالأمس، الليلة، المباراة، الدردشة، الحانة، النهاية المرجوة، المختارة والكريمة لكآبته، ولكن في يوم السبت ذاك، وبعد أن أشرقت الشمس، كلّ ما يتبقّى كان الألم المتجسّد، كل ما ليس له فائدة في الحياة، الرغبة المسعورة في ألّا تصبح الحياة قطعة الخراء التي هي عليها.

رنّ الهاتف، كأنّ أفكاري كانت تُسَيّر الأحداث. قفزت من فراشي وبعد خطوتين كنت على عتبة المطبخ. رفع شقيقاي نظراتهما نحوي. كانت والدتي بدأت في النهوض. أوقفتها صارخة. نظرت لي بين اندهاش وخوف جديد. عبرت الغرفة. حين أقول «أهلًا» ستختلط الأمور على جدّتي بيني أنا وأمي، وحينما أوضح لها إنّي أغوستينا، فإنها لتقي نفسها من آلام قاسية ستخبرني بأن أمرر السماعة لوالدتي. لا تزال جدتي تعاملنا كأطفال. لن ترغب في إبلاغي بخبر مثل هذا.

- هل ستردّين أم ماذا؟

أيقظني صوت أمّي بنبرة تحذير. أدركت أنني توقفت أمام الهاتف، عاجزة عن رفع السماعة.

أحيانًا لا تفعل الحياة معنا سوى ما ترغب فيه. كُنت مستعدة لسماع صوت الجدة، ألمها وحزنها وحاجتها لأن تخبر والدتي بالأمر أوّلًا، لكن ما لم أكن مستعدّة له -وأقسم على هذا- هو صوت هذا الرجل، الهادئ، المنخفض، المكتوم، الذي سألني:

- أهلا يا كرتي الصغيرة. تحقّقي مع من سنلعب في المباراة المقبلة على أرضنا.



مذكّرات جناح أيمن
(روبرتو فونتاناروسا)

وها أنا هنا. كما كان الحال دائمًا، أتمركز جيّدًا بجوار خطّ التماس لأفتح الملعب. لم يُعلّمني أحد المسألة. إنّها أمور يعرفها المرء وحده، بجانب إرسال العرضيات أو إسكان الكرة فِي المرمى بأيّ شكل. هذه هي مهمّة الأجنحة. لا تأتوا لي بهذه الترّهات عن الجناح «المتأخّر» أو الجناح «الوهمي» أو أيّ شيء ملعون. فالأمر يتعلّق فحسب بالتمركز في الأمام على امتداد خطّ التماس.

أفتح الملعب كي لا يتراكم المهاجمون في قلبه. لا يوجد شيء مثل التراجع لمساعدة الظهير. إذا كان الظهير لا يقدر على مراقبة جناح الخصم، فلأيٍّ سبب داعر يلعب كظهير؟ ما يحدث الآن هو أنّ أيَّ طفل يتساقط مخاطه يخرج بنظريات وأشكال جديدة عن اللعب ويحدّثك عن «الطريقة الهولندية» أو «الطريقة البرازيلية» أو أيّ حماقات أخرى.

من فضلكم! الكرة هي شيء واحد، وبالنسبة إليّ لا أقتنع سوى بالتشكيل الكلاسيكي: يقف الحارس متمركزًا ومنتبهًا في مكانه أمام المرمى. أسمع أحدهم هناك يقول إن الحارس جاتي يلعب في كلّ منطقته بل ويخرج لمنتصف الملعب... حسنًا. هذا الأمر يسري معه، ولكن أنا أرغب في أن يبقى الحارس أسفل مرماه ولا شيء آخر لأنّه في الأساس يدعى حارس مرمى. بعده يأتي خطّ مكوّن من ثلاثة لاعبين ثم آخر من خمسة، وفي المقدّمة يتركوننا

نحن الثلاثة. منذ أكثر من عشرين عاما ونحن نلعب بهذه الطريقة وتَعَفنّا من كثرة تسجيل الأهداف.

نسجل أهدافًا كثيرة. أعتقد أنني سجلت بالفعل لوحدي 6800 هدف وبعدها يحدّثونني عن بيليه! أو يديرون نقاشات فارغة لأنّ مارادونا سجل مائة هدف. هذه المئة أنا أسجلها في موسم واحد. صيفًا حينما يمكث الفتية في النادي حتّى الثانية صباحًا، أتجرّأ على تسجيل أربعين أو ربّما خمسين هدفًا في الأسبوع الواحد. أربعين وخمسين لوحدي.. مارادونا؟ كفى هراء من فضلكم! كل هذا وأنا لم أحدثكم عن مهاجمنا الصريح. ربما يكون سجل أكثر من اثني عشر ألف هدف بساقيه، و.. ها هو الرجل هناك! حيث يجب أن يتواجد رؤوس الحربة. في فم المرمى.. تلك المنطقة الصغيرة. يتلقّى الكرة، و... بوم! هدف صحيح 100٪. واعلموا أيضًا أنّ صاحب الرقم 9 عند بوكا ليس سيّئًا هو الآخر. هو يعتمد أسلوبنا نفسه. دائما ما يتمركز هناك: في ملحمة طروادة. لقد أفسد لنا أكثر من مباراة! لم أشاهد الأهداف التي سجّلها في مرمانا، لكن سمعت الهتافات وصوت الكرة وهي تدخل المرمى.

يضعها بقوّة رعاة البقر القدامى، ولكن حسنًا.. هو يلعب مع جناحين بائسين، لكنّه إذا ما لعب هنا بجواري، كان ليسجّل اثني عشر ألف هدف. نعم.. لصنعت له مزيدًا من الأهداف! نعم كنت لأفعل هذا! أتذكّر يوم مباراتي الأولى. أُحدّثك عن شيء حدث منذ خمسة وعشرين عامًا، أي ربع قرن. أزالوا قطعة الخيش التي غطّت الملعب وأقسم لك أن الإضاءة كادت أن تعمينا. شمس كبيرة متوحشة. تمكّنت من الرؤية بالكاد عبر لمعان القمصان، بالأخص قمصاننا نحن، لأنها بكل تأكيد كانت باللون الأبيض. الخطوط الحمراء كانت تبدو كأنّها من نار. الأمر ليس مثل الآن بعدما سقط أغلب الدهان وظهر لون الحديد والأمر نفسه يسري على الأرضية التي لم

يعد يتبقّى شيء من خُضرتها.

كيف أصبح هذا الملعب هكذا! يا للأسف! يا لقلّة الاهتمام! ولكن حسنا.. ذلك اليوم كان شيئًا لا يُنسى. كانت منتصف ظهيرة أحد أيام الأحد وجاء عدد كبير من الفتية لأنّ ريفر وبوكا[1] سيلعبان ذلك المساء في المونومنتال[2] واتّفقوا جميعًا على الذهاب في شاحنة لمشاهدة المباراة. نعم هذا كان هو اليوم! حينما وصلوا إلى هناك وجدوا أن اللجنة الإدارية أقدمت على شراء طاولة فوسبول[3]. بالطبع!

كنت قد سمعت من أسفل الغطاء أنّهم يفكّرون في تدشينها هذه الليلة حينما يجتمع الأعضاء في المقرّ الاجتماعي للتعليق على المباراة أو لتناول كأسين قبل العشاء، لكن.. بمجرّد رؤية الفتية للطاولة بجانب ملعب كرة السلة، لم يترددوا في وضعها بالداخل. أتعلم؟ هذه الطاولة ثقيلة. لا أعرف وزنها بالكيلو ولكنها ثقيلة ومصنوعة من الحديد النقي، مثل كل الأشياء التي كانت تصنع سابقًا. وضعوها هناك ونزعوا الغطاء وبدأت المباراة. أعتقد.. أعتقد أنّه كان هناك بين عشرين أو خمسة وعشرين شخصًا يشاهدون المباراة. ليس أقلّ من هذا! إنّه جمع كبير، وكان هناك رهانات وكلّ شيء. أعتقد أنني لم أتجرأ النظر للأعلى بسبب الرعب الّذي شعرت به. أقسم لك: حينما يسمع المرء ضجيج هذا الجمهور يرتعش.

يا له من شيء لا يُنسى! وقف الحظّ بجانبنا نحن الثلاثة في الأمام لأن من

---

1. ريفر بليت وبوكا جونيورز هما الناديان الأكثر شعبية وشهرة في الأرجنتين بل وربما أمريكا اللاتينية.

2. ملعب ريفر بليت والملعب الرئيسي القومي في الأرجنتين.

3. الفوسبول أو طاولة كرة القدم عبارة عن لعبة على شكل ملعب كرة قدم يتحكم فيها اللاعبون عبر أذرع معدنية.

تحكّم بنا، أظهر أنه يعرف كيف يتعامل مع الأمور جيّدًا. لم أشعر تقريبا بأنّه يحرّكني وقلت «اليوم ستكون الأمور جيّدة»، لأنّ الشخص الذي سيضعه القدر ليتحكّم بك أمر مهمٌّ للغاية. ربّما تكون جيّدًا وربما تكون ظاهرة ولكن إذا ما كان من يوجد في الخارج أحمق، فقل على الدنيا السلام!

أخبرك بهذا الأمر بناء على خبرة، فأنا بمجرد ملاحظتي لكيفية تحريكي، أعلم إذا كان الموجود في الخارج جيدًا أم لا. الأمر يتعلق بالخبرة ولا شيء أكثر من هذا، ليس بالحكمة على سبيل المثال. اسمعني.. أنت حينما ترى كيف يقف هذا أو ذاك في الملعب تعرف كيف يلعب كرة القدم. ليست هناك حاجة حتى لرؤيته وهو يركض. من فضلك! علم الفتى في هذا اليوم كيف تسير الأمور. لم يكن يرتجل أو مجرد شخص قرر الإمساك بالعصي لشعوره بالملل ولرغبته في قتل الوقت عبر لعب الفوسبول، لم يكن واحدًا من أولئك الذين قد تفكر في مساعدتهم ومد يد العون لهم ليجعلك في النهاية تبدو كلاعب أحمق. أتحدّث عن تلك المرّات التي يقع فيها الذنب على المتحكّم، لكنك تسمع أحدهم يصرخ في الخارج «يا لغباء هذا الجناح!» أو «يا له من حيوان!».

يجب أن تتحمّل كل شيء. لكن كفى هراء! في ذلك اليوم اختلفت الأمور. في ذلك اليوم وقف التوفيق بجانبي، وهو الأمر المهمّ في أيّ مباراة أولى، وتزداد أهمّيته حينما تكون مواجهة ريفر وبوكا. أنت تعرف جيدا كيف تكون هذه المباريات. الكلاسيكو هو الكلاسيكو[1]، أيًّا كان ما سيُقال. لعبت حوالي ثلاثين ألف كلاسيكو وعلى الرغم من كل هذا حينما أسمع صوت ضربة البداية في وسط الملعب يصيبني التوتّر، حتى ولو بدا ما أقوله مجرد كذبة.

---

1. مصطلح إسباني جرى تعميمه لغويًا وبات يستخدم كما هو في أغلب لغات العالم للإشارة لأي مباراة تجمع بين غريمين أو ندين تقليدين تجمع بينهما عداوة كروية، مثل ريال مدريد وبرشلونة في إسبانيا، وريفر بليت وبوكا جونيورز في الأرجنتين، وبايرن ميونخ وبروسيا دورتموند في ألمانيا.

إنّها مباريات ندّية للغاية. فنحن فريقان نعرف بعضنا بعضنا جيدًا، لكن في ذلك اليوم وقف التوفيق بجانبنا، خاصّة نحن المهاجمين. كنّا ننطلق من منتصف الملعب للأمام ونفعل كل شيء. «تاتشولا».. أتذكّر أن هذا هو اسم من تحكّم في العصي. أتذكّر لأنّهم كانوا يهتفون باسمه ولأنه أيضًا طوال أربع سنوات تردّد كثيرًا على النادي. يا لمهارة هذا الفتى! هدم الخمر مستقبله. حينما يأتي ثملًا كنت أدرك الأمر، لأنه جعلنا نفعل أمورًا بلهاء وأخطاء لا يمكنني حتّى قصّها عليك. في يوم من الأيّام دفعني لارتكاب حماقة سدّدت على إثرها كرة خرجت من الطاولة وكسرت كوبًا. كان يرغب في أن أسدّد أنا ثمنه.. هذا التعيس.

لكن بدون أثر الخمر، كان مثل الأسد وفي ذلك اليوم قمت بها عليّ. لم تكن الأمور جيّدة للغاية في الدفاع لأنّ من كان يتحكّم به كان بائسا. مجرّد شخص بارد، ولكن مع وجودنا في الأمام كانت الأمور كافية. الهجوم خير وسيلة للدفاع يا صديقي.. هذا أمر يعرفه الكل. ولكن اللعنة! في الوقت الحالي يدافع الكل. هم مجانين. سجّلت ثلاثة أهداف في ذلك اليوم وصنعت ثلاثة مثلها لرأس الحربة الوسيم. سقط الآن الدهان لكنّه لا يزال وسيمًا. لم يكن لديه شارب، لكن ما حدث أن أحد الحمقى رسمه له في أحد الأيام ليبدو مثل لوكي.

هناك هدف لا يُمحى من ذاكرتي! وهو عبارة عن مرتدّة بدأت من إحدى زوايا الملعب. كنا نخسر بهدف نظيف، بدأنا متأخرين وكانت هناك غضبة بين الجماهير. وضعت الكرة أسفل حذائي حتّى كادت تنفجر. بدأت في السير وذهبت ببطء نحو العمق فيما اتّجه رأس الحربة لليسار والجناح الأيسر أيضا لفتح الملعب. تحرّكت بالكرة وأنا ألامسها بباطن قدمي، تظاهرت بالتسديد مرّتين، لكن قلب دفاعهم حجب الرؤية ولم أر زاوية

لإطلاق الصاروخ. ولتعلم أنني لا أسدّد عشوائيّا، بل حينما أرى الأمر مناسبًا فحسب. إنّ الحماقات لا تخصّني. كان الأشقر المسؤول عن تغطيتي يراقبني جيّدا، لهذا سحبته معي للخارج، نحو رواقي، كأنّني سأسدّد يمينيّة عكسية على القائم الثاني. لقد سجّلت أهدافًا بهذه الطريقة بالفعل! إلا أنه حينما تبعني لحجب الرؤية وغطّى الحارس القائم الأول، أرسلتها عكسية قصيرة إلى داخل المنطقة ومن مرة واحدة وضعها المهاجم كأنّها لسان من لهب سيحرق شباك المرمى!

يا له من هدف رائع! من أين أتى هذا؟! سمعت قبلها صوت «نيغرو»، سمعته بالفعل بينما كنت أتحرّك يمينا وشاهدت المدافع يتقدّم نحوي، سمعته يهتف «آآآآه» ومررتها له ليطلق رصاصته كالسفاحين. فعلنا هذه الخدعة كثيرًا. قُل إننا اشتهرنا بها. يا لها من مباراة. في هذه الليلة كان معنا شخص جميل.

مايزال الفتية يأتون، سمعتهم يقولون إنهم سيذهبون للعب بآلات الفيديو. دائما ما يتحدثون عنها. تمنيت أن أعرف ما هي. أحضروا واحدة ذات مرة في النادي. كنت أسمع ضوضاء غريبة. أشياء مثل «بلوك»، «بلينك»، «كلون»، وبعض الاهتزازات. كانت هناك أضواء أيضًا، لكن بعد فترة لم أشعر بوجودها. يقولون إن هناك شيئًا فسد داخل الآلة. يتعلق الأمر بوصلة لا توجد أموال كافية لشرائها. إنها آلات حساسة، من تلك التي يصنعها الأمريكيون، ولهذا يعود الفتية دائمًا، لأن كرة القدم هي كرة القدم. هي الحقيقة الوحيدة. لا تأتوا لي بمثل هذه الأشياء. إنها موضات تصبح موضات ثم تنتهي. كرة القدم هي كرة القدم يا صديقي. كرة القدم هي الحقيقة الوحيدة وكفى هراء!

نعم لمارادونا.. لا لغالتييري[1]!

(أوسبالدو سوريانو)

حينما قفز دييغو مارادونا أمام الحارس شيلتون ومرّر الكرة بيده من فوق رأسه، تعرّض رئيس المجلس لويس كليفتون لإغماءته الأولى في لاس مالبيناس[2]، أمّا الثانية فجاءت حينما راوغ دييغو نصف دستة من الإنجليز ليسجّل الهدف الثاني للأرجنتين. في الخارج، كانت رياح باردة تهبّ في شوارع بورت ستانلي الخاوية بينما تستمع القوات البريطانية الموجودة في القاعدة، بذعر، كيف كان لشيطان نابولي الصغير أن يفسد احتفالاتهم بالذكرى الرابعة لاستيلائهم على ما يسمّونه فوكلاند.

كان كليفتون قد اتّصل يوم السبت بالصحفي الوحيد الذي حُكم عليه بالعيش في هذا المكان لإبلاغه بأن كل سكان الأرخبيل ينتظرون فوزًا بريطانيًا «مثلما حدث في 1982»[3]. لم تفز إنجلترا في ذلك العام بالحرب

1. ليوبولدو فورتوناتو جالتييري هو ديكتاتور أرجنتيني لم يدم طويلًا في سدة الحكم. أمر في أبريل 1982 باستعادة جزر مالبيناس (فوكلاند) عسكريًا من بريطانيا العظمى لكنه تعرض للهزيمة ثم أُطيح به من الحكم عقب انقلاب داخلي بعد الهزيمة.

2. لاس مالبيناس كما يعرفها الأرجنتينيون أو «فوكلاند» كما يسميها البريطانيون هي مجموعة من الجزر المتنازع عليها بين بوينوس آيرس والتاج البريطاني.

3. إشارة للحرب التي نشبت بين الأرجنتين وبريطانيا في 1982 بسبب الجزر.

فحسب، بل بمباراة كأس العالم في إسبانيا أيضا. هذه المرة اختلفت الأمور لأن مارادونا كان ملهمًا، سواء بيديه أو ساقيه، فيما لم يميز الحكم التونسي علي بن ناصر القادم من العالم الثالث الفارق بين طرف علوي وآخر سفلي في جسم الإنسان، لدرجة أن رئيس المجلس كليفتون شك في وجود مؤامرة وحاول الاتصال بوزارة الخارجية، فيما سعيت أنا من منزلي في لابوكا الاتصال به لإخباره بأنه حينما كنا فتية فإن الأهداف التي تأتي بعد مراوغات كثيرة كانت تحتسب باثنين، بشكل يجعل هدف دييغو الثاني يعوض ذلك الذي سجله بقبضته، لكن الاتصال بلاس مالبيناس من بوينوس آيرس لم يكن سهلًا.

اندهشوا في (إنتل)[1] حينما أطلعتهم على رغبتي في الاتصال بكليفتون، منحوني رقمًا وقالوا لي بعد نصف ساعة من الانتظار إن الطريقة الوحيدة هي الحديث عبر اللاسلكي، عبر الموجات القصيرة. مالبيناس هي أرض في أعالي البحار، لذا فإن خدمة الاتصال هي ذاتها المستخدمة للاتصال بسفينة في وسط الأطلسي. كانت الأمور كالتالي: إذا كنت مستعدًا للانتظار، فإن اللاسلكي سيطلق إشارة بائسة وطويلة لا أكثر ولا أقل حتى يلتقطها مدير ميناء ستانلي الناعس ويخرج من سباته ويركض -إذا لم يكن الجليد كثيفًا- ليعثر على السيد لويس كليفتون، فاقدًا لوعيه من شدة الذعر. سيحدث هذا بينما تتصارع بلجيكا وإسبانيا لتحديد هوية خصم الأرجنتين في نصف النهائي. حينما بدأت ركلات الجزاء، تنازلت عن مهاتفة رئيس المجلس كليفتون، تخوفًا من التسبب في أزمة دولية.

اصطفّت في شوارع بوينوس آيرس مئات السيارات وهي ترفع رايات تطالب بإعادة جزر مالبيناس التي خسرها الجنرال غالتييري بالكامل في 1982، ومن أعلى الشاحنات المليئة بفتية أحياء المدينة تردّد الهتاف باسم

---

1. اسم الشركة القومية للاتصالات في الأرجنتين.

مارادونا، بل إن الإذاعات بدأت في استعادة نبرتها الشوفينية التي كانت قد تخلّت عنها منذ استسلام بويرتو أرخنتينو[1].

- نحن بين أفضل أربعة فرق في العالم.

هكذا كان يصرخ خوسيه ماريو مونيوث، الرجل نفسه الذي حث الجموع المحتفلة بلقب مونديال الشباب في 1979 على مهاجمة لجنة الأمريكتين لحقوق الإنسان أثناء زيارتها لبوينوس آيرس. لم يرغب جاري، دون سالفاتوري، الذي سقط من على مقعده مع الهدف الثاني لمارادونا، من أحد مساعدته على النهوض حتى نهاية المباراة. لم يتذوق دون سلفاتوري منذ إقصاء إيطاليا ولو لقمة واحدة واقتربت كل قطط الحي لالتهام ما يتركه. أبعدوه يوم السبت، مع الهوجة الجنونية لمباراة فرنسا والبرازيل، عن الرصيف ثلاث مرات لأن فرنسيّي الحي لم يقبلوا أن يغنّي لهم نشيد «لامارسييز»[2] بكلمات «لامارشا بيرونيستا»[3].

حينما أهدر بلاتيني ركلته الترجيحية، بصق دون سلفاتوري نحو التلفاز وتساءل صارخًا عن هوية المعتوه الذي قد يقارن بين هذا الأحمق ومارادونا العظيم. كان يتحدث عني، بعدما كتبت في صحيفة (المانيفستو)، مقالًا أشكك فيه في عبقرية دييغو. تمكنّا مساء من رفعه وإقناعه بتناول بضعة أكواب من الماتي[4] وبعض قطع البسكويت، لأنه كان من شدة هزاله يبدو كطيف. كان دون سلفاتوري قد أخذ بالفعل تشجيع المنتخب الأرجنتيني على عاتقه،

---

1. الاسم الذي يتمسك الأرجنتينيون بإطلاقه على بورت ستانلي عاصمة الجزر المتنازع عليها.

2. مسمى النشيد الوطني الفرنسي.

3. النشيد الرسمي للحركة البيرونية التي تقوم على فكر الرئيس الأرجنتيني السابق خوان دومينغو بيرون.

4. مشروب ساخن من فئة المنبهات ويعود منشأه لأمريكا الجنوبية ويوجد أيضًا في مناطق بسوريا ولبنان ويُعرف هناك باسم الـ«متة».

كأحد أبنائه، ولم يهتم بمعرفة هوية خصمنا في نصف النهائي من إسبانيا وبلجيكا. هو يشعر بالفعل أنه بطل وكل ما يطلبه في الأدوار المقبلة أن نجلب له تلفازًا ملونًا عوضًا عن خردة الأبيض والأسود التي تركها له أصهاره.

كان الوحيد الذي لم تخب توقعاته في الحي حتى هذه اللحظة هو لويس من (الوحدة المركزية)[1] والذي أعاد لصور مارادونا وإيفيتا رونقها وعلق راية العدالة الاجتماعية على بابه. يقول منذ حوالي شهر تقريبًا إن النهائي سيكون بين الأرجنتين وفرنسا، لدرجة أننا بدأنا في تصديقه. أقصد أنا وزوجتي. هي من ستراسبورغ، لذا تخشى أن تصبح منبوذة من الحي بأكمله إذا ما تفوق بلاتيني على مارادونا. اشتكى لويس يوم الأحد من أن كارلوس بيلاردو[2] أمر لاعبيه أثناء الاحتفال بالهدف الثاني، بتهدئة اللعب والعودة للدفاع، على الرغم من أن الإنجليز بدوا حينها مستعدين لاستقبال حفل من الأهداف، فيما أن دون سلفاتوري قال من هلوسة الجوع إن الـ«دوتشي» يجب أن يصدر مرسومًا يأمر بعودة الدنمارك والبرازيل للمونديال بدلا من بلجيكا وألمانيا البائستين.

خرج الحلاق، المُحب دائما لإفساد الأجواء الاحتفالية بأطروحة تركتنا جميعا في قلق حيث قال «بكل تأكيد سيشهد نصف النهائي مفاجأة أخرى؟»، قبل أن يتساءل «أي من هذين القتيلين -ألمانيا وبلجيكا- سيُبعث من مقبرته لتكدير حياة من يظنون أنفسهم في النهائي». عنفناه جميعًا بصيحات استهجان، بينما تساءل دون سلفاتوري، وسط هذيانه المنتشي، لماذا لم نتمكن حتى الآن في وجود لاعب مثل مارادونا من تسديد الدين المستحق لصندوق النقد الدولي؟

---

1. المسمى الذي يُطلق في الأرجنتين على المقار والمراكز الموجودة في أحياء المدن لأنصار وأعضاء الحركة البيرونية.

2. مدرب منتخب الأرجنتين في كأس العالم 1986 بالمكسيك.

حكاية عامل غرف

(روبرتو فونتاناروسا)

يقول البعض إنّ أفضل مركز في كرة القدم هو رأس الحربة، فيما يرى آخرون أنه صانع الألعاب. أتحدّث عن صانع الألعاب بصورته القديمة، حينما كان مسؤولًا عن قيادة الفريق، اللاعب الأكثر مهارة وصاحب أكبر موهبة، لكن أقول دائمًا إن الأفضل هو مركزي، مركز عامل الغرف، بكل ما تتضمنه المسألة من قمصان وسراويل قصيرة وأحذية، لأن العمل كمدير فني مصيبة، وصدقني فيما أقوله لأنني أعلم هذا.

رأيت عددًا لا نهائيًا من المدربين هنا، بعضهم بقوا لفترة وآخرين لم يستمرّوا، لكن كلهم كانوا يعيشون بقُرحة ضخمة من ضغط النتائج وحماقات الجمهور ومطالب الإداريين. شاهدت مدربين يبكون في غرفة المغسلة عقب خسارة مباراة مثل المسكين استيبان توربيو، الذي وصل للنادي كرجل سمين كثير المزاح بوجه نابض بالحياة، لكنه رحل بركلة في مؤخّرته عقب ثلاثة شهور، بعدما فقد ثمانية كيلوغرامات -وأقسم لك- بشحوب مؤسف يرتسم على وجهه.

على النقيض، فإن عامل الغرف، كما هي حالتي، دائما ما يتواجد هناك صامتًا ومجهولًا. يُجهز شراب الماتي للفتية ويرتب القمصان ويعد أزواج الجوارب ويرى إذا كان هناك سروال قصير ضائع. يتواجد مختبئًا أسفل

القاعدة الإسمنتية للمدرجات، كأنه في خندق. أتعرف؟ أحد هذه الخنادق المصنوعة بالكامل من الإسمنت التي تبرز بالكاد من الأرض وقد يراها المرء في الأفلام.

تبقى هناك طوال اليوم، ليلًا ونهارًا، تحت الأضواء الصناعية دائمًا، مدفونًا وأنت على قيد الحياة، لكن في الوقت نفسه مطمئنًّا. تستمع إلى الهدير العالي القادم من المدرجات الموجودة فوقك والصراخ والصافرات، بل وأحيانًا -أقسم لك أن الأمر مذهل- اهتزاز الطبقة الإسمنتية، رعشتها، كأنها زلزال، أو كأن تلك الكتلة الخرسانية المكونة من الطوب والإسمنت ستسقط وتنهار ومعها آلاف وآلاف الأشخاص، فوق رأسك.

أعترف أنه عمل مجهول، بل وربما مجهول للغاية. أحلم دائمًا بأنّ الاتّحاد الأرجنتيني سيقرّر يومًا ما إدراج أسماء عمال الغرف حينما يُعلن تشكيل الفرق، أو عرضها فحسب بأحرف صغيرة على اللوحة الإلكترونية، حسنًا بأحرف أصغر من تلك التي تُعرض بها أسماء اللاعبين والمدربين والبدلاء. كل ما يهم هو أن تُعرض فحسب.

تعنّفني زوجتي دائمًا. تقول لي باستمرار إنّني كنت مؤهّلًا لما هو أكثر من هذا، لأنّني أعمل في هذه الوظيفة منذ خمسة وعشرين عامًا مع النادي. أخبرني: كم مدرب بقي لمدة ربع قرن في ناد واحد في أي مكان بالعالم؟ هي مُدرّسة وتساعدني أحيانًا في مسألة ملابس الفتية، بكي قميص أو حياكة آخر. أعتقد أنك رأيت بالفعل في أيامنا هذه كيف تتعرض للجذب والشد. لم تكن الأمور في الماضي على هذه الشاكلة. دعني أخبرك -حتى لو لم تصدقني- بأن هذا العمل روحاني للغاية، حتى ولو لم يُبد الأمر كذلك، ليس فقط بسبب الثقافات المختلفة للفتية الذين يأتون من سانتياغو وتشاكو وكورينتيس[1]

1. أسماء مدن أرجنتينية.

بل وحتى من فنزويلا، بل بسبب وقت الفراغ الذي دائما ما أجده من أجل القراءة أيضًا.

صحيح أنّ المرء، إذا كان مسؤولًا، إذا كان جادًا، إذا كان يتعامل مع وظيفته بمهنية، فإنه يجب عليه دائمًا فعل شيء ما، مثل تلميع الأحذية أو تغيير بعض النعول المدببة أو خياطة رقم من جديد على أحد القمصان، لكن كل هذه الأشياء كانت في الماضي، حينما كانت الأرقام من المطاط وتأتي منسوجة على القمصان، وليست مثل تلك المطبوعة في هذه الأيام، لكن يتبقى وقت فراغ كبير للقيام بأشياء كثيرة، فليست كل الأمور مُلحة.

أكرّر هذا على مسامع زوجتي: إنه عمل مضمون مثلما كنتِ أنت نفسك تسعين سابقا للعمل في مصرف. هذه كانت النصيحة الدائمة لوالدي؛ إذا لم أكن أحمل لقب مهندس أو طبيب أو محام، فعلي محاولة العمل في مصرف، لأنّه عمل مستمر وله هيبته.

حسنًا لم أتمكن العمل في مصرف، لكن بدأت كعامل غرف بصورة مؤقتة وها أنا هنا بعد خمسة وعشرين عامًا أعيش من هذه الوظيفة، لأنه من ناحية أخرى.. ما الذي قد يفعله عامل غرف ليتعرض للطرد؟ إنه أمر صعب للغاية، لا يمكنهم تحميله أي ذنب إذا كان مستوى الفريق صعبًا، لا يمكنهم تحميله مسؤولية وجود الفريق في مركز سيّئ بجدول الترتيب. متى يمكنهم تعنيفه؟ ربما على سبيل المثال، إذا ما نسي في مباراة خارج الأرض أخذ مجموعة من القمصان، كما حدث مع مانسيبيا «الأطرش» عامل بلاتينسي في مواجهة الميرانتي براون، واضطروا حينها للعب بالقميص الاحتياطي. حدث هذا -وانظر لما سأقوله- على الرغم من أن مانسيا «الأطرش» كان له تجربة مع المنتخب كعامل للغرف! أو كما حدث مع هذا الفتى غريغوريني، عامل الغرف في باترووناتو دي ميندوثا، الذي كان يسرق القمصان، واكتشفوا

المسألة حينما فاجؤوا هذا الابن المسكين أثناء مشاركته في عظة مرتديا قميص باترو ناتو أسفل الملابس الكنسية.

هي حالات مثل هذه فحسب، ودعني أخبرك أيضا أن الأمر به الكثير من الأشياء المُرضية، مثل قيام أحد الفتية بإهدائي -وهذا حدث أكثر من مرة- الهدف الذي سجّله في تصريحاته الإذاعية عقب المباراة. لم يفعل الكثيرون هذا الأمر. أعترف بذلك، لكنهم كانوا أكثر من واحد. ألبيرو الاركون على سبيل المثال كي لا نذهب بعيدًا. أو غاريدو نفسه. أهداني غاريدو عدة أهداف، ليس في عيد ميلادي فحسب، بل في أي مباراة سجل فيها.

ما يحدث هو أن من يقضون أكبر وقت في النادي هم الفتية القادمون من الريف أو خارج البلاد لأنهم يشعرون بالوحدة في البداية. أتفهمني؟ يشعرون بوحدة كبيرة. يعيشون هنا في أحد مقار السكن الموجودة في النادي، بعيدًا عن العائلة، وبدون أصدقاء كُثر، لهذا يمكثون وقتا أطول بعد التدريبات، أو يصلون مبكرًا للتمرين.

كان غاريدو يفعل هذا الأمر كثيرًا وهذه هي المسألة الذي كنت أرغب في الوصول إليها، من هنا يأتي أصل الحوار، فغاريدو هو أكثر من جمعتني به علاقة أو صلة، لأنه كان مثقفًا ومطلعًا للغاية، بنفس الطريقة التي كان بها غريبًا بعض الشيء. أيضًا كان مقتصدًا في حديثه، بل قُل مقتصدًا للغاية، لكنه كان يتحدث معي بشكل كاف ويأتي لغرفة الأدوات ليشرب معي الماتي ولنتحدث عن أي شيء، عن الحياة، عن السياسة، عن الرسم.

لم يكن مثل هذا الباراغوائي إيغوسكيثا الذي جاء معه. وصل كلاهما من أوليمبيا دي أسونثيون. كان هو الآخر يصل مبكرًا للتدريبات ويمكث بعدها، لكن لم يكن إخراج كلمة واحدة منه ممكنا حتى ولو هددته بهراوة. كان هذا الباراغوائي مثل الصخرة.

كانا آخر من وصل في ذلك العام لأن النادي انطلق في بحث بائس عن تدعيم صفوفه. تعاقدوا مع أربعة عشر لاعبًا ولا أكذب عليك حينما أقول هذا. أربعة عشر لاعبًا بين جيدين وسيّئين وفظيعين ومتوسطين. على الرغم من الموسم الكبير كانت صفقات هشة في أغلبها، باستثناء داردو غاريدو الذي كان ظاهرة. ظاهرة من تلك التي تُرى مرة في كل فترة من الزمن، لدرجة أنني حينما شاهدته في الملعب -لأنني أرى بعض التدريبات ولن تصدقني أحب كرة القدم بل ولعبتها- قلت لنفسي:

- كيف لم يصل هذا الفتى إلى ما هو أعلى من هذا؟ كيف لم يأت بشهرة أكثر من هذه؟

حينما وصل إلى النادي لم يكن أحد يعرفه، ولا حتى المدرب. كان الأمر يتعلق بواحد من تلك الالتزامات الكثيرة التي تجمع الأندية بوسيط ما يُسهل انتقال أحد لاعبيك لفريق آخر، مقابل أن يترك لك لاعبًا قد لا يفيدك أو آخر بلا ناد بعد إغلاق سوق الانتقالات لكنه يرغب في أن يلعب بأي مكان. كان داردو غاريدو قادمًا من اللعب لعدة أندية. عُرف هذا لاحقا. لعب في المكسيك مع تولوكا وفي النمسا وأيضا في بلجيكا، لكن دائما مع فرق في الدرجة الثانية تسعى للصعود. لعب أيضا في أريس سالونيكا اليوناني واستوديانتيس ميريدا الفنزويلي، بينما كان آخر فريق مثله أوليمبيا الباراغوائي ومن هناك جاء مع ذلك الباراغوائي الآخر، الذي أخبرتك بأنه لم يكن يُمكن إخراج كلمة واحدة منه حتى ولو بهراوة.

وهل تعرف ما هو أول شيء جذبني في غاريدو؟ ستضحك مما أقوله. رأسه.! كانت رأسه مصقولة هكذا وصلبة ومتناسقة. أقسم لك أنها رأس تستحق الرسم. أخبرك بهذا لأني نصف هاو للرسم وسابقًا -وليس الآن- كنت أجلب معي لغرفة الأدوات دفتر الأوراق الناعمة لأرسم. أتدري؟

كنت أنسخ أشياء مثل الملصقات التي اعتدت على قصها من المجلات أو أحيانًا الصور الدينية للمسيح المصلوب بكل أشكاله أو القديسين. باستخدام القلم والمظللة. كنت أُكَبّر أحجامها أو أصغّرها هكذا بإصبعي، بإبهامي تحديدًا.

ورأس غاريدو كانت تقول: «ارسمني»، لأنها لم تكن كبيرة، ولا عنيدة. من كانت رأسه كبيرة وعنيدة هو الآخر، لويس ألمادا، المولود في كوريينتيس والذي انتقل إلينا قبلها بقليل من أولد بويز، لأن الدكتور فولتش، كما سبق وأخبرتك، عزم بمجرد توليه الرئاسة على تفادي الهبوط. فولتش رجل أعمال وشركات. هو شاب طموح للغاية. صدقني حينما أقول لك إنه طموح للغاية. كانت نيته في الحقيقة هي الوصول لعمودية المدينة. لنقل إن طموحه السياسي كان واضحًا للغاية، لكن على صعيد السياسة وليس الأندية. لم يكن النادي بالنسبة له سوى واجهة عرض زجاجية، بل قل منصة قفز نحو أشياء أخرى. فرصة لكي يظهر في الصحافة والتليفزيون. ألا ترى أنه يظهر كثيرًا في عدة برامج تشاهدها؟ يسعى الرجل وراء هذا. هذا هو هدفه. بمجرد فوزه بالانتخابات وعقب صرف الكثير من المال والتعهد بإنقاذنا من الهبوط بدأ في شراء هذه الكمية الهائلة من اللاعبين لتنفيذ وعده. حوالي أربعة عشر لاعبًا كما قلت سابقا. وبينهم كان لويس ألمادا العنيد هذا. كان الفتية يدعونه «صاحب الرأس الكبيرة». لم يكن سيئًا ويلعب كظهير أيسر.

لكن رأس داردو غاريدو كانت شيئا آخر لا يمكنني وصفه لأنه كان لديه ذلك الشعر الأشقر -الأشقر للغاية- والملتف. كان زملاؤه يدعونه «غاريدو الملفوف»، لأن شعره كان يبقى متوقفًا.. كيف يمكن وصف هذا؟ طافيا فوق رأسه لكن بمجرد تعرقه -وهذا الرجل كان يتعرق كثيرًا في قميصه- فإن لفائف الشعر كانت تلتصق في فروة رأسه وتظل هناك دون حركة كما لو كانت

نقشا منخفض البروز، كأنها منحوتة. هذا المظهر كان أشبه بـ... أشبه برأس تمثال أكثر من كونه رسمًا. كانت رأسه مثل الرؤوس المنحوتة بأنف مستقيمة ودقيقة تكمل جبهته وشفاه محددة للغاية. أتدري؟ مثل الدمى القديمة.

كان هناك شيء.. كيف يمكنني قوله؟ أنثوي في شفاه غاريدو ولا أرغب في أن يُفسر هذا الأمر بشكل سيّئ لأنه لا يمكن إنكار أنه داخل الملعب أثبت رجولته طوال العام. كان الأكثر رجولة بين كل الرجال، ولكن الفم والشفاه كان بهما شيء من البروز والامتلاء، ما أكسبهما تلك اللمحة الأنثوية. لا تسئ فهمي من فضلك. أقسم لك أنني عشت طوال حياتي متزوجًا ولدي ابنان ولكن أحيانًا -أعترف بهذا- لم أكن أقدر على إشاحة بصري من على غاريدو أثناء تواجدنا في غرفة الملابس، خاصة حينما كان يرقد على سرير المدلك «أبي منقار الصيني»[1].

لن أقول لك إن بنيته كانت ضخمة، لكن تناسقها كان ملحوظًا. غاريدو صاحب الجسد المنحوت. هل تفهمني؟ كان ظهره عريضًا، للغاية، بشكل يجعل ساقيه تبدوان نحيفتين، ولكنهما لم تكونا كذلك. ما يحدث هو أن اتساع ظهره وعضلات صدره كان كبيرًا، مثل عضلات بطنه التي تبدو كما لو كانت منحوتة بإزميل. تلك البطن كانت تبدو مثل لوح الغسيل. لم أكن أرغب في الإفراط بمراقبته لأنه -أو تعلم؟- يُصبح الفتية في بعض الأحيان أشرارًا وسيّئي النية في مزاحهم ونكاتهم. قد يبدو اللاعبون أحيانا صامتين

1. توجد عادة في كرة القدم الأرجنتينية لإطلاق مسميات على كل الأشخاص والأندية، لذا سيظهر في هذه المختارات الكثير من الأسماء المتبوعة بألقاب قد تبدو غريبة، لكن هذا أمر شائع، فعلى سبيل المثال لقب النجم الأرجنتيني ليونيل ميسي هو «البرغوث» ومارادونا هو «بيلوسا» أو «كثيف الشعر». الأمر لا يقتصر فقط على الأرجنتين بل هو موجود أيضًا في الكرة العربية، مثل بعض ألقاب الأندية المصرية الغريبة كـ«الشواكيش» في حالة الترسانة و«الدراويش» في حالة الإسماعيلي.

وخجولين يتحدثون بالكاد، ولكن أبطأهم قادر على الإمساك بأسرع نعامة من عنقها، مع الاعتذار للنعام. هم ماكرون للغاية. يراقبون كل شيء وفي حالة تأهب وترقب دائمًا. لا يهرب منهم أي شيء، مثل تلك الحيوانات التي تشتم الهواء من حولها لرصد أي تهديد أو أي خطر.. هؤلاء الملاعين دائمًا على استعداد لصيد أي سبب للتسلية أو للمزاح ببذاءة. فلتسأل المدلك «أبا منقار الصيني» عن الأمر. كانوا يتناقلون عنه أنه مِثلي الجنس. «أبو منقار الصيني»! إذا ما رأيته، ستجد رجلًا أسمر ضخم الجثة بشاربين على الطريقة المكسيكية تكسو البثرات وجهه. «أبو منقار الصيني» رجل طيب وتبدو يداه مثل أكياس المياه الساخنة، ولكن الفتية كانوا يتسلون دائما بهذه الأشياء. يبتكرون نكاتًا في كل مرة يذهب فيها أحدهم نحو سرير التدليك بعبارات مثل «احترس من الصيني الصغير» أو «فلتنظر أين سيدلكك» أو «لا تتركه يجعلك ترقد على بطنك». كانوا يقولون هذه الأمور -ولن تصدقني- للصيني بصورة مباشرة مثل «يا صيني. سنسلمك فتى جديد» أو «عامله بحنان. هو طري للغاية». كان الصيني يضحك. لا أكثر ولا أقل. يضحك فقط. لم أعرف أبدًا إذا كان ما يُقال حقيقيا أم لا. دائما ما تُحاك قصص قذرة بعض الشيء حول المدلكين.

بعد كل هذا قد يُقال -وبصراحة- إنه أحيانًا كان يُبقي على غاريدو في سرير التدليك لوقت أطول وكان يغطيه بالزيوت ويمرر يديه إلى الأعلى وبالقرب من الحوض. لا أعرف.. كنت ألاحظ هذا. أحدهم أيضًا فعل الأمر نفسه وعلق عليه ذات مرة. أعتقد أنه السيد أنيبال المدير الفني. قال له إنه يتأخر كثيرًا في جلسات التدليك، فكان تعليق «الصيني» أن داردو يجب أن يكون الأكثر استعدادًا لأنه دائما يبذل أكبر مجهود ويتعرض لأقوى الاحتكاكات من الخصوم ولضربات بلا رحمة، مثل تلك التي كانت في

النهائي وسأقصها عليك لاحقا. كان هناك شيئان آخران أذهلاني في غاريدو وهما رأسياته وتسديداته.

أخبرتك أنني كنت أشاهد التدريبات. في بعض الأحيان أظهر وأشاهدها. كان غاريدو يرتفع في الهواء بطريقة -كيف يمكنني قولها؟- أشبه بالمنطاد. يقفز ويبدو فجأة كأنه توقف للحظة في الهواء مُعلقا هناك في علو ليواصل بعدها الصعود. شيء لا يصدق. شيء أتذكره فقط في بيليه، الذي كان أحيانا يبدو كأنه عثر على درجة خفية في الهواء. نفس الأمر يسري على غاريدو. كان يعطي انطباعًا بأنه وصل لأعلى ارتفاع وأنه لم يتفوق على الآخرين ليتمكن من ضرب رأسيته، لكنه فجأة يواصل بعدها الصعود ليضعها بجبهته أو بجانب رأسه، بل أحيانًا كان يبدو كأنه توقف في الفراغ انتظارًا لوصول الكرة، مثل طائر الطنان، كأنه قفز قبل الزمن وخارج البعد ليضعها برأسه، مع هذا الشعر الملتف الذي أخبرتك عنه، لكي ترتطم أولًا في الأرض وهو أمر ملعون بالنسبة إلى الحراس. لا تنسَ أنني أعرف هذا الأمر لأنني لعبت كثيرًا في باحة مدرسة سان خوسيه، حينما كنت طفلًا.

وبعدها يأتي الدور على تسديداته. كان يركل الكرة بعنف ودقة لا يمكن تصديقها. من أي مكان. كان لديه رؤية بندقية في عينيه ويسدد بكلتا الساقين. أثبت هذا في البطولة. بدأ في التسجيل والتسجيل والتسجيل. في البداية، حينما كان مجهولًا، كان يجد المساحات أمامه و.. حتى بعدما عرفوه! كان يثابر ويلعب بمكر ودهاء ليودعها في الشباك، على الرغم من الرقابة والضرب والتدخلات الإجرامية من قبل المدافعين. كان الكل يعرف أنه هو الوحيد الذي يلعب! الوحيد! بقية الفتية كانوا يساعدونه. يكملونه بعض الشيء. يركضون ويظهرون رغبتهم ولا شيء أكثر من هذا. أكررها: ولا شيء أكثر من هذا.

لم أشاهد فريقًا يعتمد بهذه الصورة على لاعب كما اعتمد هذا الفريق على غاريدو. إنه شيء لا يصدق. لم يُر من قبل. نحن نتحدث عن فريق قدم موسمًا جيدًا للغاية بفضل رجل واحد.. رجل واحد! رجل دائم الصمت. لا يفتح فمه ويتحمل كل شيء: الضربات والسباب والحماقات، لدرجة أنه كان يبدو ساذجًا بعض الشيء من وجهة النظر هذه، لكنه كان يردّ الضربة بمثيلها على طريقته. كلما كان يتعرّض للضرب، كانت تزداد عظمته. إنه ظاهرة. ظاهرة حقيقية.

وبفضل غاريدو بدأ الفريق في الفوز، ثم الفوز والفوز فالفوز. حينها ما كان يبدو كفرقعة إعلامية من الدكتور فولتش، بدأ يكتسي بملامح الحقيقة. تفهّم الكل أنه في ظل وجود هذا اللاعب، فإن هذه الملحمة قد تكتمل، ودعني أخبرك أنه حسابيًا، فإن النجاة من الهبوط كانت شبه مستحيلة. نعم! شبه مستحيلة.

ودعني أعترف لك. لم تكن الرياضيات أبدًا هي نقطة قوتي. أحببت الرسم والجيولوجيا والتاريخ، لكن ليس الرياضيات. ومع كل يوم يمر تصبح كرة القدم مرتبطة بصورة أكبر بالرياضيات، مع كل ما يتعلق بالمعدلات وهذه الحماقات. سابقًا كان يهبط من ينهي أخيرًا وكانت الأمور بسيطة، أما الآن ومع مسألة مُعدلات السنوات الأخيرة، فيجب عليك أن تدرس دورة في حساب المثلثات لتخمن ما الذي قد يحدث، ولكن قصصت الأمر على زوجتي المدرسة وقالت لي في يوم من الأيام: «انظر يا عجوز، قمت بالحِسبة لكي تنجو من الهبوط، عليكم أن تحصلوا على أربع نقاط أكثر من تلك التي حصدها آخر بطلين في آخر بطولتين». تخيّل؟ أربع نقاط أكثر من البطلين الأخيرين! كان يجب علينا أن نتوج باللقب لننجو من الهبوط. إنه جنون، بل جنون حقيقي في ظل وجود فريق حديث التكوين ومليء

باللاعبين الجدد دون أيّ نجم والكثير من اللاعبين المتواضعين، مجرّد فريق من مغامري المرات الواحدة.

توصّل الدكتور فولتش، الذي سبق وأخبرتك بأنه رجل أعمال، للحل نفسه الذي قدمته لي زوجتي، لكن بأدوات أخرى؛ تلك التكنولوجية. أخبرني أحدهم، بشكل سري للغاية، أنه وضع في حاسوب البيانات الخاصة بآخر خمس عشرة بطولة وأن النتائج قالت إنه لا توجد فرصة لإنقاذ أنفسنا.

كان الدكتور يقول بكل ثقة قبل بداية البطولة إن تجنب الهبوط أمر واقع، لكنه داخله كان يعرف مثلنا جميعا أنه كان يتحدث عن خرافة. حسنا.. كل هذا الواقع المظلم وكل هذه التوقعات المؤسفة غيرها غاريدو بمستواه، ومع تقدم البطولة حافظنا على مسيرتنا وأصبحت المستويات التي يقدمها بطولية أكثر وأكثر. يمكن القول إنّها كانت ملحمية. كان يصارع أي شيء أمامه في الملعب ويقاتل على كل كرة كأنه يحاول إنقاذ أحد أبنائه من الغرق في مستنقع ليعود إلى غرفة الملابس بجسد محطم من الركلات والكيعان والخدش، مثل تلك الركلة التي كسرت ساقه في المباراة النهائية. كان شيئًا لا يصدق، لأننا وصلنا إلى النهائي كما تعرف بالفعل.

ضد كل التوقعات، ضد كل الآراء، ضد كل ضغوط الفرق الكبيرة وضد الحكام وصلنا إلى المباراة الأخيرة ضد ديفينسوريس، وكان الفوز سيعني تحقيق أكثر شيئين كنا نرغب بهما: النجاة من الهبوط واللقب في واحدة من عجائب كرتنا المثيرة للربكة. كان الملعب، كما أقص عليك، ممتلئا حتى رايات الركنيات، كما يقول الإسبان.

لم أر هذا القدر من الناس إلا في المونديال. وأنا في الأسفل، في خندقي الواقع تحت المدرجات، كنت أشعر باهتزاز الإسمنت وخفقان القلب الخرساني ورعشة -لا أكذب عليك في هذا- الأكواب وآنية الشاي والملاعق

الصغيرة على منضدة الغرفة، كلما كان الجمهور يردد هذا الهتاف «من لا يقفز فهو...» سباب ما! كان الكل يقفز. المئات بل قُل الآلاف من الرجال المتحمسين، كأنهم كانوا يختبرون صلابة البناء. سقط السكر على الأرض. أتدري معنى هذا؟

لم يكن الأمر سهلًا لأنه على الرغم من أن ديفينسوريس لم يكن لديه فرصة للتتويج أو مُهدد بالهبوط، إلا أنهم عرضوا عليه مكافأة قدرها مليون دولار لكي يفوز. هذا هو ما قاله لي المينجو كاروسو، عامل الغرف لديهم، والذي أجرينا معه تبادلًا للقمصان قبل بدء المباراة حينما جاء لتحيتي وتمنى حظًا سعيدًا لي داخل غرف الملابس. هذا الرجل كان ظاهرة. أفضل عامل غرف ملابس في رأيي. يجب أن يتواجد هو مع المنتخب وليس أثيفيدو! المينجو رجل جاد ومسؤول ومحب لعمله وأنيق. حينما ترى ديفينسوريس يخرج للملعب ترى شيئا مُفتخرًا: قمصانًا مفرودة وأكمامًا مثالية، مع تلك الكسرة في البناطيل القصيرة، وياقات مضبوطة وأحذية لامعة. شيئًا مُفتخرًا. دائما ما تكون فرق المينجو مُفتخرة.

أخبرني بأن الحوافز التي عُرضت على لاعبي ديفينسوريس كانت بكل تأكيد لا نهاية لها، لكن بعد ثلاثين دقيقة تمكن غاريدو من التسجيل. كان الأمر-دعني أخبرك- أشبه بانفجار نووي. جاء بغتة وشاهدته لاحقًا في التلفاز. لم تكن واحدة من تلك المرات التي قد تتوقع فيها أن تنتهي اللعبة بهدف. لا. خرج من حصار بين ثلاثة أو أربعة لاعبين، على بعد أربعين مترًا من المرمى، ونظر إلى المنطقة كأنه سيُرسل عرضية لكنه سددها بصورة مباشرة. قذيفة مذهلة مستقيمة وعلى ارتفاع متوسط بجوار القائم الأول لم يقدر الحارس سوى النظر إليها. هزت الشباك وبينما كنت هناك في الأسفل أنصت للراديو، ما سمعته كان كانفجار مضخة أعماق فوق رأسي. اعتقدت

أنني سأظل مدفونًا هناك للأبد وأنه بعد عدة سنوات لن تصبح ذكراي سوى مجرد صفيحة صغيرة فوق الأنقاض. حينما نزل الفتية في الاستراحة. كانت هناك حالة من النشوة. تبقت خطوة على إكمال الملحمة.

كان هناك شيء واحد فقط يُلطخ الأجواء الاحتفالية. غاريدو كان يعرج. تعرض لعرقلة بعد ركنية كادت تتسبب تقريبًا في كسر ساقه اليمنى. حدث هذا في البداية، بعد مرور خمس دقائق فقط، بعدما نفذ أحد مدافعيهم ذلك المبدأ الشهير: محاولة إقصاء أكثر لاعبي الخصم أهمية من المباراة. ظل غاريدو قرابة عشر دقائق في الخارج، أمام قلق الملعب بأكمله، بينما يقدم له الدكتور ميدينا العناية الطبية. غاريدو لم يكن ممثلًا، بل كان صاحب قوة وجسارة رهيبة، بخلاف أن حُبه لنفسه كان يمنعه من إظهار ألمه أمام الغير، لهذا عاد لاحقا ودخل الملعب وصارع وركض أكثر من أي وقت مضى ليصل للاستراحة وهو يعرج.

تركه الدكتور ميدينا بقلق يمدد جسده على الفراش. أنزل جوربه وأخرج الواقي البلاستيكي وأقسم لك أن ما شاهدناه كان مرعبًا. ساق غاريدو كانت مكسورة كسرًا ظاهرًا. أتذكر أن ما سُمع من في غرفة الملابس- أتذكره وأنا أشعر بقشعريرة في جسدي- كان مثل هبوب الرياح بقوة، حيث أقدم كل من كانوا هناك على أخذ نفس عميق هكذا إلى الداخل مع مط شفاههم وانقباض عضلات أعناقهم، من هول الصدمة.

«لقد كُسرت يا فتى». تمكن الطبيب من قولها بصوت منخفض سُمع في كل غرفة الملابس لأن أحدا لم يكن يتنفس من الأساس. كانت عظمة القصبة -كما أخبرتك- مكسورة من المنتصف كأنها قد قُطعت ببلطة. وهنا أدركنا أن الجورب الذي انخفض قرب الكاحل كان ملطخا بل مصبوغا بالدماء. برزت أحد أطراف العظم المكسور لمسافة سنتيمتر تقريبا فوق الجلد

المثقوب. هتف غاريدو، الذي كان يُقطب جبينه من الألم والغضب، بعد أن زالت هذه الملامح من على وجهه وهو يهز يده في الهواء «الحزام يا خوسيه. أعطني الحزام».

نزعت الحزام سريعا. كان حزامًا جميلًا من جلد الجدي أهدته لي ابنتي سارا. أعطيته إياه أمام نظرات الآخرين المترقبة ليجلس فوق السرير وبضربة قوية فوق قصبته المكسورة استقامت ساقه. صرخ من الألم، كحيوان، ولكن للحظة. بعدها عقد حزامي بقوة فوق مكان الكسر ليمنع دوران الدم وطالب صارخًا بجلب واق جديد لساقه، ثم رفع الجورب المصبوغ بالدم ونزل من على الفراش. تخيلت ألمه حينما اصطدم النعل المدبب بالأرضية وغُرست مليون إبرة باردة في عمودي الفقري. «حبّة أسبرين». طلب هذا الأمر مني بعدها. «حبّة أسبرين!». كنت قد أحضرتها له ليتناولها دون مياه.

«هيا». أصدر غاريدو أمره بصوت جهوري وانطلق نحو الملعب. كان الحكم يستعد حينها بالفعل للشوط الثاني. قال له الطبيب ميدينا، ذلك الرجل الطيب، محاولا إيقافه «لا يمكنك أن تلعب هكذا يا فتى»، ولكن غاريدو أجابه «إذا كنت قد لعبت هكذا طوال الشوط الأول، فيمكنني تكراره في الشوط الثاني»، وتوجّه نحو مخرج النفق بصحبة بقية الفتية.

كان الدكتور ميدينا يرغب في الإصرار على رأيه ولكن فولتش، الذي كان موجودًا في غرفة الملابس، أوقفه بذراعه. أنا متأكد من أنه، طالما كان سيحقق أهدافه، فإن الرئيس لم يُكن ليمانع أن يلعب غاريدو حتى وهو يعاني من كسر في الجمجمة. الأمر الوحيد الحقيقي هو أن الفتية خرجوا للشوط الثاني يقودهم غاريدو والألم يكسو ملامح وجهه بملابس مبقعة بالدماء وحزامي ملفوف حول ساقه لتجنب خروج العظم مجددا من مكانه.

أتذكر أنني نظرت لـ«أبي منقار الصيني» ووجدته يبكي.. يبكي من فرط التأثر لرؤية رجل في قمة رجولته. لم أندهش. كنت أنا أيضا أبكي.

بعدها وفي الشوط الثاني، جاء أفظع شيء، يصعب هضمه وفهمه وقبوله. لم نكن قادرين على تسجيل هدف جديد لضمان الحسم وأصبحت المباراة صعبة ومعقدة. أغلقت المذياع من فرط التوتر بعد مرور عشرين دقيقة، لكن الصمت القادم من أعلى كان بمثابة إعلان. لم نكن قادرين على عبور منتصف الملعب. كان غاريدو مراقبًا بين أربعة لاعبين يعون أنه الوحيد القادر على حسم المباراة بشكل نهائي.

في الدقيقة أربعين سمعت انفجارًا هائلًا. لا يمكن أن يكون هدفا لهم! لم يأت معهم جمهور كبير للصراخ بهذه الطريقة! عادت الأكواب للاهتزاز وشراب الماتي وآنية الشاي والملاعق وفناجين القهوة كأنها أصيبت جميعا بحمى المستنقعات. ركضت نحو الراديو وشغلته بضربة يد واحدة. كانت ركلة جزاء لصالحنا. قفزت في غرفة الملابس رافعًا قبضتي للأعلى في صمت ثم بكيت مجددًا. كانت هذه هي بوابة البطولة. معجزة اللقب وتجنب الهبوط.

سدّدها غاريدو وذهبت للخارج.

هكذا بكل بساطة. سددها للخارج، تماما كما سأقولها وسأحكيها الآن: بدأ في الركض وسددها عاليًا وذهبت للخارج. كانت عالية جدًا وبعيدة جدًا. شعرت بألم كبير في حلقي وخيم الصمت على المدرجات. بدا الأمر كما لو أنه فأل سيّئ يسبق مأساة. كان أول شيء فعلته هو النظر لساعتي. كانت تنقص ثلاث دقائق. ثلاث دقائق فقط لحصد المجد، بعد تلك الركلة الداعرة الضائعة، أول ركلة جزاء يهدرها غاريدو طوال البطولة. كان قد سدد ثماني ركلات جزاء ووضعها جميعًا في الشباك. لم يكن هناك أي صُدف ولا بعض

التوفيق. لم ترتطم أي من ركلات الجزاء التي سددها بالقائم لتدخل لاحقًا، لم يتصد لها الحارس قبل عبورها. لم يسددها بصورة سيّئة وغبية لتدخل في منتصف المرمى. لا شيء من هذه الأمور إطلاقًا. سجلها كلها بتسديدات رائعة وموجهة ومرتفعة بمحاذاة القائم دون أن يمنح الحراس فرصة للحركة، وها هو الآن يهدر هذه الركلة الحاسمة والأكثر أهمية..

كانت تتبقى ثلاث دقائق بالكاد، على الرغم من كل شيء. سمعت فجأة أن الجماهير بدأت تشجع بحماس، كأنها تُخرج القوة من الضعف، كأنها تحاول دفع فريق، قد يسقط بالكامل نتيجة لخطأ غير منتظر من أكبر نجومه نحو الأمام. ما يطلبونه لم يكن أكثر من جهد أخير وتضحية نهائية. وفي لحظة شجاعة، ربما بسبب عدوى الأجواء، شغلت الراديو. كنا نسيطر. تقدم غاريدو بالفريق بغضب وشجاعة وحاصرهم في نصف ملعبهم ليبعد أي خطر عن مرمانا، ولكن على الرغم من هذا -صدّقني حينما أقوله إنه يصعب عليَّ تذكر هذا- تمكنوا في الوقت بدل من الضائع من تنفيذ مرتدة والحصول على ركنية. أمسكت رأسي بيديّ وانهرت على المقعد بجوار الراديو. لم أعرف إذا ما كنت سأطفئه أم سأستمع. قررت الاستماع. ها هي الركنية.. قفز الكثيرون وفي ظل سعيهم لتشتيتها حفت برأس غاريدو ليضعها في مرماه، في الأسفل بجوار القائم الثاني.

اعذرني على التوقف.. تذكر هذا الأمر دون شعوري بالحزن أمر صعب.. صدقني.. ولكن في النهاية.. هذه هي كرة القدم. في دقيقة، بل في لحظة، بل في جزء على الألف من الثانية، تحطم حلم البطولة إلى قطع صغيرة.. لم نتوج باللقب وهبطنا في نفس التوقيت.

أعتقد أنه لم يعد أحد للنادي لمدة أسبوع. ولا أنا أيضًا. كانت الأمور أشبه بمراسم الاستعداد لدفن ميت. عرفت بعدها عبر الصحف أن أغلب

اللاعبين رحلوا، بِيعَ بعضهم لعدة أندية وأُعير آخرون وحُرر أغلبهم. كان الأمر محبطًا، أشبه بشتات أو هجرة جماعية أو هروب عام من الفشل. عُدت لغرفة الملابس بعدها بفترة. فكما تعرف، تلتئم الجراح بعدها بمرور الوقت وتنخفض حدة الألم وتزول المرارة. بدأت مجددًا في ترتيب الأشياء وتهيئة القمصان وإكمال بعض الأمور وفرد الجوارب. حينها مررت أمام خزانة داردو غاريدو. كنت أعرف أن داردو رحل عن النادي عقب ليلة الكوابيس تلك، بعدما محا بخطأين هائلين، بطولة مليئة بالنجاحات الاستثنائية.

كانت الخزانة مغلقة بقفل، ولكن كان لدي فضول لمعرفة إذا كان هناك شيء قد تبقى بداخلها. شيء قد نسيه وربما يصبح مفيدًا. على سبيل المثال، حزامي الذي احتوى كسره الظاهر لخمس وأربعين دقيقة تقريبًا.

بحثت عن سلسلة مفاتيح وظللت أجربها حتى تمكنت من فتح الخزانة. لم أجد شيئًا في الرف الأول، ذلك الأطول، مجرد مجموعة من الضمادات البيضاء الملفوفة بشكل سيّئ والمختفية تقريبًا في زاوية مظلمة، لكن وجدت كومة من الملابس في الجزء السفلي. أخرجت قميصًا رياضيًا أزرق اللون يحمل علامة تجارية غريبة، «أربيخيو». باراغوائية على ما أظن وكان غاريدو دائما يستخدمها في التدريبات. وجدت بعدها في الخلف مجلدًا ضخمًا. أخذته حينها. كان غلافه رماديًا ومليئًا بالتراب ومموجا بفعل الرطوبة التي تشبع بها طوال فترة طويلة، على الأغلب من الملابس. ضم مجموعة كبيرة من الأوراق المهملة بطول عشرة سنتيمترات تقريبًا. احتوت الأوراق الأولى، تلك الموجودة في القمة، على قصاصات من صحف وأخبار وعناوين وصور يظهر بها غاريدو وهو يلعب.

ابتسمت بلا شك. تجاهل صديقي الواضح للإعلام لم يكن كبيرًا كما ظننت، فعلى الرغم من أسلوبه المائل للهروب أو التواضع -كما يقولون

الآن- وتجنب الكاميرات والميكروفونات، إلا أن جزءًا من اعتزازه بنفسه كان يدفعه لقراءة المقالات التي تثني عليه أو للإطلاع على الصور التي يظهر فيها وهو يقفز لضرب الكرة برأسه، أو تلك التي يسدد فيها على المرمى أو يكافح بين المنافسين.

أكملت نحو الأسفل ووجدت أخبارًا بكل اللغات، بالإنجليزية والسويدية على سبيل المثال والألمانية والفلمنكية أيضا، وفي النهاية عند الصفحات الأكثر اصفرارًا وتجعيدًا وجدت مقالات مكتوبة باليونانية مذيلة بتوقيع «بنداروس». كان هذا هو الأمر الوحيد الذي تمكنت من التعرف عليه بفضل دراستي البسيطة لليونانية في المدرسة الثانوية، لكن هاجمني شعور بالشغف والرغبة في معرفة ما الذي تقوله هذه المقالات التي تبدو كأنها قادمة من أعماق تاريخ الرياضة نفسها.

لففت المجلد وذهبت به في نفس الليلة إلى السيد أريستو كونياليديس، أحد أعمام زوجتي والذي يعمل كمدرس لليونانية. ترجمها لي دون الشك في وجود أي صلة بينها والواقع لأن السيد كونياليديس ليس لديه أي معرفة عن وجود لعبة تدعى كرة القدم.

قال لي- أقسم أن هذا هو ما قاله لي- إن بنداروس كان واحدًا من أهم النقاد الرياضيين في أثينا القديمة وأن المقالات كانت تقول إن داردو غاريدو جاء من زواج كليستنيس، إله العليق وألكمينا ابنة عم أرجوس، وأنه قبل ولادة داردو فإن ألكميني سمعت من فم تيسيفون نبوءة تقول إن ابنها سيكون هو من يهيمن على العالم.

تسلّقت ألكميني قمة جبل ساموس، انطلاقا من خشيتها على فقدانه لقوته، ورجت ثاوماس، أب عباقرة العاصفة وإله التخصيب بالمساعدة، أن يجعلها تحمل أربعة أبناء آخرين، يجب أن يشاركهم غاريدو قوته. كان ثاوماس

ابن كولوفون يكره كليستنيس لأن الأخير كان قد التهم عيون والدته في نوبة جوع غير مبررة، لهذا قرر معاقبته بصورة أكبر. استدعى خنزير مينوسيا الجبلي المتجول في بساتين هكتيوس وأمره بالتهام كل أبناء الكميني، ولكن هناك وبمجرد ولادته أظهر غاريدو شجاعة بلا حدود بعدما بتر خصيتي خنزير مينوسيا الجبلي بقطعة مسنونة من جرة خالكيذيكي التي كُسرت بفعل ركلة من كويوس، عملاق النعال. استشاط ثاوماس غضبا من موت الخنزير الجبلي، وفرض على غاريدو مجموعة رهيبة من العقوبات.

كبداية، كان يجب عليه قطف الثمار السامة لأعلى أشجار نهر ستيكس المحاط بأقوى الطيور الجارحة -استنتجت حينها من هنا أن هذا كان سبب المعجزات التي صنعها غاريدو عبر ساقيه في كل مرة قفز فيها- بعدها أمره ثاوماس بإسقاط الأحجار التي تحيط بمصب نهر سرقوسة، حامي الكهف الذي يسكن به بيرسيفون، ملك الليل الأثيني وابن عم تايفوس، الأمر الذي يفسر القوة المذهلة لتسديداته.

في النهاية، فرض ثاوماس عقوبة أبدية على غاريدو: سيجب عليه أن يشيد وحده، دون مساعدة من أحد تقريبا، معبدا ضخما يذهل كل المخلوقات الحية والآلهة ذاتها من عظمته وجماله، ولكنه في كل مرة يوشك فيها على إنهاء عمله الرائع، سيدمره بضربة واحدة، ليبدأ في تشييده من جديد[1].

عدت مذهولًا إلى منزلي ودعني أؤكد لك، لم أقص شيئًا من هذا على أحد، لأنه... أعتقد أنه لن يصدقني أحد، ولكني -أقسم لك- أغتاظ حينما يشكك أحد في أمانة غاريدو بالمباراة الأخيرة. لم أتحدث مع أحد عن الموضوع وألقيت المجلد أيضًا في مكان لا أذكره، ولكن منذ عدة أيام قرأت،

---

1. يصنع الكاتب هنا محاكاته الخاصة لأسطورة سيزيف أو «المهمة السيزيفية» القادمة من الميثولوجيا الإغريقية.

في واحدة من مجلات كرة القدم التي وقعت بين يديّ أن داردو غاريدو وقع لفريق من كوستاريكا لا أعرف اسمه. عرفت أيضًا أن الأمور كانت تسير معهم بصورة جيدة. لقد فازوا بأول أربع مباريات.

عجوز ينهض واقفًا
(إدواردو ساتشيري)

تَسهُل رواية بعض القصص فيما يصعب علينا رواية بعضها الآخر، كما لو كانت شديدة التعقيد وتميل للمواربة، بل ويصعب احتواؤها. والقصّة التي أصرُّ على روايتها في هذه الصفحات تنتمي لفئة القصص التي يشقّ علينا أن نقصّها، وهي وُلِدت مثل كل القصص تقريبًا من صورة واحدة مليئة بالمعاني. هذه الصورة الأولى التي تُهيمن على كياني لدرجة تدفعني هي لروايتها كما يلي: في مدرج منخفض -مُدرج مصنوع من ألواح الخشب- ينهض واقفًا، بين مشجّعين مبعثرين هنا وهناك، رجل كبير في السنّ، رجل عجوز.

بكلّ تأكيد، لا تقول كتابة الأمر بهذه الطريقة أيّ شيء، فهي لا تُفسّر من هو العجوز وما الذي يدفعه للنهوض من على لوح الخشب الذي يجلس عليه، ولا السبب المهمّ الذي يقوده للنهوض بنظرات مندهشة مثبّتة على الملعب، بعينين مذهولتين دامعتين.

يجب أن تُفسّر القصّة كلّ هذا وإلّا فإنّها ستقود على النقيض نحو طريق مسدود لا يكشف شيئًا. وهذا أسوأ مصير لأيّ قصّة. تكمن المشكلة تحديدًا في طريقة تجميع هذه الصورة، صورة العجوز الذي ينتفض في المدرّجات مع بقيّة الصور الّتي يجب أن تتوالى معها لتشكيل حبكة تُظهر الحكاية؛ لا أكثر ولا أقلّ من هذا.

إنّ العقبة الأولى التي أتعثّر فيها هي اختيار من سيحكي القصة، أو بكلمات أخر، الإشكالية السعيدة لصوت الرواي. من سيقصّ الأحداث التي تنتهي عند العجوز وحركته الأخيرة؟ قد يقصها العجوز بنفسه، لأنه توجد أمور، بعضها مهم للغاية وتضيف معنى لهذه القصة، لا يعرفها أحد سواه، لكن نهاية القصة يجب أن ترتبط بالذهول، باندهاشه الذي لا نهاية له وحينها لا يُمكن لهذا الرجل أن يقص ذهوله. لأنّ الذهول لا تتماشي معه الكلمات. سأتجرّأ وأقول إنّ الكلمات هي التي لا تتماشى مع الذهول، فالأخير يظهر حينما تنسحب الكلمات، مثل المد والجزر، مثل انسحاب الأمواج التي لدى تراجعها تترك الرمال الناعمة كما هي دون مساس.

تعود الكلمات بكل تأكيد، في لحظة ما، عاجلًا أم آجلًا. وحينما يحدث هذا يكون الذهول قد انتهى. عندما نتمكن من العثور على تفسيرات -أو على الأقل البحث عنها بمساعدة الكلمات- فإن الذهول يكون قد رحل عنا بالفعل. ربما نكون قد تأثرنا؛ سعداء أو تعساء، لكن غير مذهولين.

لهذا فإن العجوز الذي ينهض واقفًا في المدرج -ولنُضِف أنّه فعل هذا أسفل سماء رمادية، سماء فترة القيلولة في أحد أيام السبت من شهر مايو- على الرغم من أنه يعرف بل وربما لأنه يعرف كيف يجد الكلمات لحكاية جانب كبير من القصة، لا يصح أن يكون مسؤولًا عن قص النهاية، لأن هذه الخاتمة تتركه مذهولًا، بلا كلمات.

لا يعرف أيٌّ من بقية الشخصيات الأخرى الكثير عن هذه القصة بنفس القدر الذي يعرفه العجوز، وإذا كانت هناك أشياء يتجاهلها العجوز بنفسه، فإنه لا يتبقى أمامي حل سوى اللجوء للراوي العليم، والذي وفقًا لسير الأحداث سيكون أنا. لا أحبذ عامة الرواة كُليي العلم، وبالأخص في القصص التي تحتفظ نهايتها بجرعة معقولة من المفاجأة. لا أحب أن يكون

شخصٌ مسؤولًا عن رواية الأحداث وإخفائها عني في نفس الوقت وأن يحدثني ويكتسب تعاطفي ليصارحني بالحقيقة في اللحظة الأخيرة. إنها خيبة أمل مشابهة للحيل السحريّة: إبحار فاشل بين نهري الحقيقة والبراءة.

إدارة الأزمنة مسألة شائكة هي الأخرى. يرهقني هذا الأمر كثيرًا. يفترض أن هذه القصة تحدث في فترة لا تمتد لوقت طويل. لا يصُبّ اتساع الحبكة لفترة طويلة في مصلحتها، وبالمثل الإفراط في استغلال القفزات الزمنية، لكن هذه القصة تحتاج لهذه الأساليب المتعلقة بالذهاب والمجيء والتوقف أمام أحداث معينة. لا يتعلق الأمر بأن الحبكة تخلو من الوقت الحاضر. لديها حاضرها، صحيح أنه عابر، ولكنه موجود. إنه حاضر العجوز، في تلك اللحظة التي ينهض فيها واقفًا، لكن أنواع الماضي التي تكشف أصل ومعنى هذا الحاضر القصير كثيرة. إذا لم يكن هذا الماضي موجودًا، فليس لدي أي فكرة عن كيفية استبداله. إذا لم أكن قادرًا على اللجوء له، فإن ما أكتبه الآن يفقد بمرور الوقت كونه قصة، ويتحول في داخله إلى شيء لا أعرف ماهيته.

لا تُعدّ الإشكالية مع الشخصيات خطيرة للغاية، وإذا كانت قوانين القصة الكلاسيكية تنص على أن الشخصيات يجب أن تكون قليلة فإن هذه القصة تقبل هذا الشرط. الشخصيات الرئيسية هما اثنان: عجوز المدرج وفتى يلعب كرة القدم، على الجانب الآخر من السياج الحديدي. هناك عدة غائبين، عدة ممن كانوا ولكنهم ليسوا موجودين. بعض الأشباح التي تجمع تلك الخلفيات المتفرقة والبعيدة والقريبة والضرورية مع حاضر مساء السبت في اللحظة التي نهض فيها العجوز واقفًا، من أجل إيجاد الحبكة.

يُمكن قول عدّة أشياء عن العجوز، وأزيد منها بقليل يُمكن قولها عن الفتى، لكن العجوز هو النواة التي يجب أن ترتاح القصة عليها، إذا ما

انفكت العقد الملتوية من فوق يديّ وأفكاري وتمكّنت في النهاية من كتابتها. العجوز هو الخرقة التي تحاك عليها خيوط المصائر المختلفة.

سنبدأ بقول إن هذا العجوز الذي يراقب الملعب يُقطب جبينه أسفل غيوم السماء -هي غيوم فاتحة اللون ومبعثرة، غيوم الشتاء وليست تلك المُنذرة بالأمطار، غيوم تُرهق البصر مع انعكاس الشمس- يحمل فوق كاهله قصة مؤلمة. كنت سأضيف بعد صفة «مؤلمة» فاصلة وتليها عبارة «مثل كل البشر، أو على الأقل مثل كل العجائز»، لكن لست متأكدًا في الوقت الحالي من هذه الجملة. لماذا كنت سأكتبها؟ لماذا ندمت؟ أعتقد أن افتراض أن الألم شيء يُوزع بمعيار متكافئ وأن كل إنسان يحصل على جرعة متساوية تقريبا يبدو نوعًا من الطمأنة الخرقاء. أقصد بحديثي الاعتقاد بأن البعض يعاني أولًا ولاحقًا يأتي الدور على آخرين، وأنه في نهاية المطاف فإننا جميعا مقدر لنا المعاناة بنفس الصورة تقريبًا. على الرغم من أنها فكرة حمقاء، أعتقد أنني أفضلها لأن نقيضتها مرعبة، فالاعتقاد بأننا مقدر لنا المعاناة بصورة أكبر بكثير من غيرنا -بل وأننا قد يضربنا أسوأ جانب من توزيع عشوائي وغير متكافئ للمآسي- يُعدّ فرضيّة مؤلمة. بالمثل يبدو افتراض أن هناك أشخاصًا نصيبهم فقط هو الألم كنوع من الظلم، كانتهاك، كنزوة، لكن يجب أن تكون الأمور هكذا، إلا إذا جاء أحدهم بخبر جديد يخبرني بأن العالم مكان عادل ومتّزن وحيادي.

على أي حال لا يرتبط هذياني بالأمر. يكفي هنا تأكيد أن هذا العجوز، الذي تتعلق به القصة، ذلك الجالس في الصف العشرين بمدرج من ثلاثين صفًّا على الأقل والذي مازال يجهل أن الأمر سينتهي بنهوضه فجأة، قد عاني كثيرًا، و«كثيرًا» هنا تعني أنه اضطر لتذوق ألم لا اسم له يتعلق بفقدان ابنه. يعيش الكثير من البشر ويموتون دون أن يمروا بهذا، أما هذا العجوز فلا.

مر هذا الألم الفظيع والاستثنائي عبره. مر أيضًا عبر آخرين، ولكن الأمر هنا يتعلق به بشكل أساسي.

يعني هذا أن العجوز يعيش متذكرًا ألمه، سواء ألمه هذا أو آلامه الأخرى. لديه ذكريات مظلمة، إلا أنها ليست الوحيدة، فهو يمتلك ذكريات جميلة ومبهجة وفي بعض الأحيان يستدعيها مبتعدًا عن تلك الأخرى، لكن أحيانًا لا يتذكر أي منها لأن عقله يكون منشغلًا بأمور بسيطة وتافهة، من تلك الأشياء التي تسكن عالمي الصحبة والوحدة.

من المحتمل جدًا أن ينتمي هذا السبت الذي وجدنا فيه العجوز يجلس في المدرج إلى فئة الأيام البسيطة العادية، وداخل البساطة يوجد دائما متسع للمُتع التي تحمل نفس الصفة، مثل هذه المباراة التي يستمتع بها العجوز من المدرج. هي مباراة بين فتية لم يصلوا بعد لعُمر المحترفين. ربما يفكر العجوز في أن ما ينقصهم ليس فقط عمر هؤلاء. هو يفهم كرة القدم جيدًا وقادر على رصد المواهب والشروط والجاهزية ويعرف أيضا كيف يُلاحظ عدم توافرها، لهذا ظهر للعجوز جليًا أن كثيرًا من هؤلاء الفتية، الذين يلعبون مباراة استعراضية بينما يصل الجمهور رويدًا رويدًا دون تسرع لمشاهدة مباراة الدوري الإقليمي، لن يصبحوا محترفين أبدًا. سينتهي الأمر بهم يعملون في المستنقعات أو في القرية، لكنهم لن يتمكنوا من العيش عبر الكرة. أفضلهم سيستمتعون باللعب في الدوري الإقليمي وسيكملون حلمهم باللعب على شيء ما، في ملعب بمدرجات وأمام جمهور ضئيل لكنه متحمس. هذا هو كل شيء.

سيهرب أحدهم كاستثناء من هذا الوسط وسيتمكن من دخول عالم الاحتراف. لن يحقق هذا الأمر هنا بكل تأكيد، ليس في القرية. لكي يتمكن منه سيتوجب عليه الذهاب لإحدى المدن للعب بكل ما لديه من قوة مع

فريق في دوري الدرجة الثانية أو الثالثة يطمح للارتقاء. سيغيب لعدة سنوات وسيبحث أهل القرية، أثناء غيابه، عن اسمه في الملحق الرياضي لصحيفة يوم الأحد، وسيعود في يوم من الأيام لمنزله، لينتهي به الحال وهو يعمل في المستنقعات أو القرية.

سيكون من الصعب للغاية أن يعمل في الكتيبة، لأنه على الرغم من مجاورتها للقرية، إلا أن الاختلاط بين الطرفين يصعب دائمًا. صحيح أن من يتواجدون في الكتيبة يتواجدون بشكل ما داخل القرية، لكنهم في نفس الوقت لا يتواجدون. هم بشكل ما داخلها وبطريقة أخرى خارجها. كبداية، لأن العسكريين الذين يسكنون الكتيبة في حركة تنقل دائم ولا يتوقفون عن كونهم غرباء. لا تتعلق المسألة فقط بعملية الإحلال والتجديد أو السياج الحديدي الذي يحيط بالقاعدة أو أكشاك المراقبة. هناك شيء يطفو في الهواء حينما يتواجدون وحينما لا يتواجدون. حينما يتواجدون توجه لهم التحية بدماثة وربما بود، ولكن حينما لا يتواجدون تختلف الأمور، كما لو أن الهواء يتحرك بصورة أفضل، ولسبب ما يشار إليهم في القرية بلقب «العسكر». لا يحدث هذا أمامهم أبدًا، بل حينما لا يبقون ويذهبون لأماكن أخرى.

يقدر العجوز من مجلسه -إذا رغب- أن يرى الكتيبة. إنها بعيدة بعض الشيء، لأن الملعب يقع غربي الميدان ومدخل البلدة، بينما تقع الكتيبة على الجانب الآخر من هذا الخط الإسفلتي المستقيم القادم من الطريق الرئيسي، لكن بالنظر إلى أبعاد هذه القرية فإن كلمة «بعيد» لا تعني شيئا كبيرًا، لهذا فإنه إذا ما رفع العجوز رأسه وحدق ببصره فإنه سيتمكن من رؤية الخطوط الرمادية والأفقية لأسقف الثكنات والبقع الواضحة التقليدية لمنازل صف الضباط وميدان الرماية الأخضر وبرج المياه. سيمكنه رؤية كل هذا لكنه لا يفعل. لا يسره النظر لهذا الجانب. لو كان هناك مدرج يعطي ظهره لهذا

الأفق، لاستخدمه العجوز، لكن على أي حال لا وجود له فالمدرج الموجود يعطي ظهره للغرب كي لا تُضايق شمس الظهيرة الجمهور. قد يقف العجوز بجوار السياج الحديدي على ارتفاع الملعب نفسه إلا أنه لا يفعل هذا. ربما كان ليفعله في أوقات سابقة، لكن هذا منذ سنوات طويلة. يشاهد العجوز الأمر الآن من المدرج والحقيقة أن رؤية المباراة من هناك أفضل، لهذا هو هناك في الأعلى وسط خليط من عشرين أو ثلاثين متفرج غيره أما البقية فهم من أقارب اللاعبين، لهذا فإن المدرج شبه خاو. حينما يحين موعد المباراة الرئيسية ستختلف الأمور، فالقرية شكلت هذا العام فريقًا جيدًا للبطولة الإقليمية يسير بشكل معقول، ولهذا يدعمه الجمهور.

يضع العجوز بين ساقيه زجاجة مياه صغيرة وملفوف من الورق يحتوي على شطيرة سلامي. يفكر في تناول هذه الوجبة الخفيفة في استراحة المباراة الاستعراضية. يجلب دائمًا معه الأشياء نفسها. هو يعشق طعم الخبز مع السلامي، أما المياه فهي للمساعدة على البلع، هذا بخلاف أن الطبيب أمره بضرورة شرب المزيد من السوائل والعجوز رجل مطيع وينفذ نصائحه.

في إحدى المرات، حينما كان يقطن في سانتا فيه، رغب رجل شرطة في حرمانه من زجاجة المياه عند مدخل ملعب كولون. ظل العجوز، الذي كان أصغر سنًا، ينظر إليه في تعجب، فيما أخبره شرطي آخر بشيء عن منع المقذوفات في الملعب، لكن لحسن الحظ تدخل ثالث كان يعرفه وأخبر الأول بأن يتركه يعبر، فمع هذا الرجل لا توجد خطورة. كانت تلك هي السنوات التي اضطر فيها، بسبب عيشه بعيدًا عن القرية، للتخلي عن هذا الملعب وهذه المباريات. حاول البحث عن أمر مشابه مع فريقي كولون وأونيون، لكن الأمر لم يكن مشابهًا. كان العجوز يحب هذا الملعب وهذه المباريات وهذا السلامي. كانت الحاجة للتبول مؤخرًا تدفعه لهبوط المدرج مرتين أو

ثلاث. البروستاتا الملعونة. لحسن الحظ أن المدرج كان صغيرًا للغاية، لأنه بهذه الطريقة يسهل عليه الذهاب والعودة سريعًا. كان لهذا الأمر أن يمثل مشكلة في ملعب أونيون أو كولون.

لهذا كانت العودة للقرية أحد أشكال السعادة، لأن هذه السنوات العشر التي قضاها العجوز في سانتا فيه كانت أشبه بالمنفى بالنسبة له. أصرت زوجته على الذهاب بعد ما حدث لليتو ووافق العجوز. كانت قد قالت في الحقيقة «أرغب في الرحيل عن هذه القرية القذرة»، وأجابها العجوز بالموافقة.

لهذا رحلا نحو سانتا فيه وعاشا هناك نحو عشر سنوات، لكن حينما فارقت زوجته الحياة قرر العودة، ليس لمعارضتها بل لتلبية حنينه. لم يكن يتفق مع وجهة نظرها. لم يلق اللوم على القرية فيما حدث لليتو. «ما حدث لليتو وجراثييلا». اعتاد أن يوضح الأمر هكذا لنفسه وداخل أعماقه. لم تكن زوجته تلفظ اسمها أبدًا، أما العجوز فكان يفعل هذا، لكن في أعماقه. زوجته لم تفعل هذا. لم تقدم مطلقا على نطق اسمها. كانت تلقي عليها -على جراثييلا- الذنب فيما حدث لليتو. كانت تلقيه على القرية وجراثييلا، أما العجوز فلا. لو كان الأمر هكذا، لم يكن ليعود.

كان لدى العجوز شكوكه حول المكان الذي ستدفن فيه زوجته، حتى وقع اختياره على سانتا فيه، على الرغم من تفضيله لمقابر القرية. لم يقدم على هذا خوفًا من أن يُمثل الأمر لها نوعًا من الخيانة. كان يأسف على عدم الحديث معها بخصوص المسألة في الوقت المناسب، لكنه كان يعرف في نفس الوقت صعوبة الحديث عن أشياء معينة، ومع زوجته كان يصعب الحديث عن كل الأشياء.. مثل ما حدث لليتو وجراثييلا، أو عن القرية. كانت تُفضّل إطباق فمها والكره في صمت وعن بعد. لهذا اختارت سانتا فيه.

إذا كان اختار في النهاية دفنها في سانتا فيه، فهذا لأنها قالت إنها لا ترغب في العودة لهذه القرية أبدًا واعتقد العجوز أن أمرًا كهذا يجب احترامه، لكن حينما مرت عدة أسابيع على وفاتها، توصل العجوز إلى أنه الآن قادر على اختيار معيشته دون الإخلال باحترامه لأحد، ليجهز حقيبته ويعود. عثر على كل شيء كما كان. مرت عشر سنوات لكن كانت هي نفس المتاجر في الشارع الرئيسي ونفس الألعاب في الميدان. كانت زوجته هي من تنقص. هي وليتو. كان لديه في الأيام الأولى انطباع قبيح يخبره بأن البقية كانوا يتهامسون بمجرد ابتعاده بخطوتين، لكنه تخطى الأمر لاحقًا. ربما لم يكن ذلك التهامس صحيحًا وربما كان يحدث بالفعل، وأن الأمر يتعلق بأن كل من كانوا يتبادلون قصة العجوز قد هدأوا. في بعض الأحيان يصبح من الجيد أن يمل الناس.

تأقلم العجوز سريعًا على العودة وساعدته على هذا عاداته البسيطة والقليلة: بعض المشتريات اليومية ورحلة كل خمسة عشر يومًا إلى سانتا فيه لزيارة المقبرة وملئها بالمزاهر والورود. يحب العجوز هذه الرحلة. تُدخل شيئًا مختلفًا على أسبوعه وتستغرق اليوم بأكمله. لا تشعره المقبرة بالحزن. هو يفتقد زوجته كثيرًا، لكن هذا لا يعني أنه يفتقدها أمام المقبرة أكثر من افتقاده لها وهو يجلس في ردهة منزله في ساعة تناول مشروب الماتي. الأمر كما يحدث مع ليتو، الذي يفتقده في أي لحظة وفي أي مكان. على أي حال لا مجال للمقارنة، لأنه لا توجد مقبرة لزيارة ليتو. لا في القرية أو أي مكان آخر. لا توجد مقبرة أيضًا لجراثييلا. لو كانت هناك مقبرة لها لزارها. يشعر العجوز بأن فضوله للتعرف عليها لم يكتمل. لم يعد الأمر ممكنًا. كان يظهر على ليتو بكل وضوح مدى حبه لها.

كتبت صفحات كثيرة وأخشى أن أكون قد أطلت. ربما لا. ربما ما يحدث بكل بساطة هو أن خوفي المبدئي كان مبررًا بصورة كاملة وما يحدث

في هذه القصة لا يمكن التوقف عن روايته بكل بساطة، لأن كل شيء مربك وقديم، لدرجة اضطراري للحديث عن العجوز وأحبائه الراحلين والقرية وحتى الكتيبة، ولا يزال العجوز جالسًا في المدرج وهو يشاهد مباراة الفتية الصغار، ولا شيء مما قلته يبدو أنه قربني بشكل كافٍ من تلك اللحظة التي ينهض فيها العجوز مرة واحدة وإلى الأبد.

ولكي تزيد الأمور سوءًا، لم أقل شيئا عن الفتى. هو واحد من ضمن اثنين وعشرين شخصًا يلعبون وينظر لهم العجوز من المدرج، ولأنه يدخل هذه القصة كلاعب، فربما يجب وصفه أولًا وفقا لهذه الكينونة. يلعب كارتكاز. ربما ينقصه بعض الطول وربما قليل من الوزن لكي يصل لهيئة لاعب الارتكاز التقليدي، ذلك القادر على إلقاء الأوامر وقطع الكرات والسيطرة على منتصف الملعب. صحيح أنه يوجد عدة أنواع من لاعبي الارتكاز، من يراقبون ومن يصنعون اللعب، لكن هذا الفتى يصعب تصنيفه لأنه خفيف ومهاري وقد يعتقد المرء أنه ممن يميلون لصناعة اللعب، لكنه بجانب هذا يلتحم ويلتحم بلا خوف، لهذا قد يضعه المرء في تصنيف المسؤول عن الرقابة، لذا يوليه العجوز قدرًا أكبر من الاهتمام عن البقية. شاهد العجوز ما يكفي من كرة القدم لملاحظة أن من يعرفون الإبداع يبدعون وأن من يلتحمون يلتحمون، لكن يبدو أن هذا الفتى ينتمي إلى تلك الفئة الغريبة، لأولئك الذين يُبدعون ويلتحمون. الذين يستغلون بقوة كل ما لديهم ويعوضون ما ينقصهم بالشجاعة.

بعد مرور ثلاث دقائق على اللعب كان الفتى قد جذب اهتمامه بالفعل، ففي الكرة الأولى أو الثانية التي لمسها واجه لاعب الارتكاز المنافس وراوغه، بدلا من أن يرسل تمريرة قصيرة نحو الخلف كما يفعل الجميع، وفي التالية حينما اضطر لقطع هجمة للخصم، لم يتردد في وضع ساقه واحتجاز الكرة،

على الرغم من معرفته أن المهاجم المنافس يأتي مندفعًا وسيسقطه. توقع العجوز الأمر وشاهده. شاهده أيضًا حينما نهض ونفض التراب من على مؤخرته ليمررها سريعًا نحو صانع الألعاب، بعدما احتسب الحكم مخالفة لصالحه. لم يشكُ أو يطالب حتى ببطاقة صفراء للخصم.

يمتن العجوز لما فعله ولهذا يتابعه بعدما رصد أنه مختلف، أو ربما كان قد بدأ متابعته لهذا السبب وبعدها ظل ينظر إليه لسبب آخر، لهذا يحدق بعينين نصف مغلقتين، ليس لأن انعكاس الشمس بين الضباب يضايقه، بل لأنه يشعر بفضول نحو التعرف على ملامحه بصورة أفضل. لم يسبق له رؤيته. هو يثق في هذا، لهذا يسأل أحد جيرانه الجالسين أسفل منه بدرجتين أو ثلاث عن هوية الفتى الذي يلعب كارتكاز في الفريق الأحمر. أجابه بعدما سأل آخر بأنه فتى جديد ويعتقد -بل وربّما يبدو- أنّه أحد أبناء «عسكر» القاعدة.

ها هو يظهر ما قلناه سابقًا، لأن العجوز من أبناء القرية ومن يتحدث معهم أيضا، فإنهم أخبروه بأنه ابن أحد «العسكر». لم يقولوا «صفّ الضبّاط» أو «قوّة الكتيبة». هذا هو كل شيء وكفى! لم يقدموا له بيانات أخرى لأنها ليست لديهم، لكنهم يضيفون أن به سمات نجومية، وأنه ليس من المعتاد رؤية لاعب بمواصفاته في مثل هذا العمر ويلعب مقابل تلك المبالغ القليلة. هم محقون، كما يفكر العجوز.

ولكن نحن عدنا للابتعاد عن محور الموضوع. من أين جاء هذا الحوار بين العجوز ومن جاوروه في المدرج؟ من وصف الفتى ومن تلخيص ما هو عليه. سيجب أيضًا وصفه جسديًا وقول شيء ما عن قصته، شيء يبرر بشكل نهائي دخوله في هذه الحكاية.

قلنا بالفعل إنه قصير بعض الشيء. هو أيضا ذو أنف صغير وعينين شديدتي السواد وشعر طويل وملتف. هذا شيء غريب على فتية القاعدة لكنه

يحدث في بعض الأحيان، وإن كان بشكل نادر للغاية. يُحدثونه في مسكنه عن شعره، خاصة وأنهم الآن يعيشون خلف مهاجع صف الضباط، تلك التي يُمكن للمرء رؤيتها من أعلى المدرج نحو الشرق. هو «عائد» لأنه ولد هنا لكنه عاش بعيدًا حتى عاد منذ عدة أشهر. إنها أمور تخص الأقدار العسكرية. ثلاث سنوات في كوريينتس وست في كامبو دي مايو وثلاث في لابامبا ومثلها في بيونس آيرس.

أخبروا الفتى بأن هذه هي قريته. أنه وُلد هنا في الكتيبة وهذه هي الحقيقة، لكن الفتى لا تروق له كثيرا الحياة هنا، ربما لأنه في كل مرة يضايقه أحدهم بخصوص ضرورة قص شعره ويُخبره بأن مظهره سيّئ، لكن الفتى يعتقد أنه ليس طويلًا للغاية. يعذبونه في منزله بهذا الأمر، وبأنه لكي يلتحق بـ«القوّات» فلا بديل عن قصه، لهذا يخبرونه بأنه من الأفضل أن يعتاد على المسألة. يستشيط الفتى غضبا لأنه لا يرغب في معرفة أي شيء عن أي من الأمرين: قص الشعر والالتحاق بـ«القوّات». لا يرغب الفتى في شيء أكثر من لعب كرة القدم وعلى محمل الجد. لا يتعلق الأمر بتفكيره في «أرغب أن أصبح لاعبا محترفا لأكسب الكثير من الأموال!»، لأنه يصعب أن يفكر فتى عمره خمسة عشر عامًا في الأشياء بهذه الطريقة، بالكثير من الكلمات وبهذا العمق في المفاهيم، هذا مع افتراض أن دخول عالم الاحتراف وكسب الكثير من الأموال يُعد من ضمن المفاهيم العميقة. الأمور ليست هكذا لأن الفتى يعرف ببساطة أن كل اللاعبين المحترفين يقضون كل أيامهم يلعبون الكرة وهو يرغب في أن تصبح حياته على هذه الشاكلة، لأن هذا أفضل شيء يفعله وأكثر شيء يحبه، كما أنه يرغب في التوقف عن الانتقال من جانب لآخر. تغيير المدرسة والحي -وبالأخص الأصدقاء أكثر من أي شيء آخر- كل عامين أو ثلاثة، أصبح مثيرًا للاشمئزاز.

هو لا يعرف ما يلي. لا يوجد أحد يعرف كل شيء. هذا الطابع المتبدل لتنشئته كان رائعًا لتطوير طريقة لعبه بشكل مثالي. بعد فترة من الزمن سيشرح له أحدهم السبب. سيشرح له أن اللعب بشكل دائم مع نفس الأشخاص يجعل المرء يتبلد ويتأقلم لأنه يفعل دائمًا الشيء نفسه ويحل كل مشاكل اللعب بالطريقة ذاتها. سيخبره بأن كل من يلعب وفقا لحاجته ويرواغ منافسيه حينما يكون الأمر مطلوبًا، ولا شيء آخر سوى ذلك، لا يتعلم المزيد، وأنه على النقيض فإنه حينما يلعب المرء مع رفقاء جدد، فإنه لا بديل أمامه سوى لفت الانتباه. في البداية، لأن البقية تظن أنه مجرد عنصر زائد لا أكثر ولا أقل، لكن إذا كان المرء يرغب في تأسيس مكانه، فعليه اكتسابه واستحقاقه، وثانيًا لأنهم لدى دخوله سيرونه سهل الانكسار، ليس لأنهم أناس سيّئون بل لأنهم سيرونه هكذا بكل بساطة، وثالثا لأنه في المواجهات المباشرة لن يتساهلوا معه. لن يتركوه يلعب بحرية ليتألق، بل على العكس من هذا تماما. سيواجهونه بكل ما لديهم وسيتوجب عليه الاجتهاد والاجتهاد واللعب ثم اللعب دون إبداء الغضب أو ادعاء الألم أو شعوره بالإهانة. سيضطر أيضًا للحركة، لأنه إذا بقي ثابتًا، سيظهر بكل تأكيد ذلك الضخم الذي سيطيح به مثل الشاحنة وسيسحق حتى ضروسه. لا يتعلق الأمر بكونهم أناس سيّئين. هم بكل بساطة لا يعرفونه. هذا هو كل شيء. وبعدها وبمرور الوقت سيصبحون أصدقاء، لكن ليس في البداية. الهدية عديمة القيمة التي يحملها المرء إذا عاش منتقلا من قرية لأخرى، هي أنه سيحمل دائمًا على ظهره مُزحة المستجد.

لم يعرف الفتى شيئًا عن الأمر في هذا المساء. لقد عاشه ولكنه لا يعرفه. أن تعيش شيئًا أمر وأن تعرفه أمر آخر. قد تبدو المسألة واحدة لكنها ليست كذلك. هناك فرق بين أن تحدث أشياء لك وأن تدرك أنها تحدث لك.

في كل حياة هناك أشياء لا يعرفها المرء. تمر دون إدراكها وبعدها تظل مجهولة حتى يتعرف عليها، سواء لأنه أدركها أو لأنها قِيلت له، بل وأحيانًا حينما تُقال هذه الأشياء للمرء فإنه يدرك أنه كان يعرفها أو بالأصح يعرفها تقريبًا، مثل فائدة الانتقال بين القرى وتغيير الأصدقاء لقولبة لاعب ارتكاز جيد. لا يعرف الفتى هذا الأمر لكنه سيفهمه حينما يخبرونه، ومن سيقول هذا الأمر له هو العجوز. ذلك العجوز الجالس في الصف العشرين بالمدرج والذي يحدق بعينين نصف مغلقتين لأن انعكاس الشمس بين الغيوم يضايقه. هذا العجوز الذي لا يعرفه الفتى حتى الآن. هذا العجوز الذي لا يعرف الفتى حتى الآن، بسبب فارق قليل، هامش ضيق للغاية، جدار نحيف يفصلهما عن تعرف ومعرفة كل منهما بالآخر.

ولنرجع للعجوز. العجوز الذي يشاهد المباراة ورصد الفتى مع أول كرة حينما راوغ بجرأة وراهن بعدها على الجانب البدني لاستخلاص كرة معقدة. يظن العجوز أنه موهوب، هذا الفتى الصغير صاحب القميص رقم 5 القادم من القاعدة. وكأنه يُؤَمن على حديث العجوز مع نفسه، فإن الفتى صاحب القميص الأحمر والشعر الملتف يتسلم تمريرة أطول من اللازم بنعومة ويصنع تبادلًا جميلا للكرة مع صانع الألعاب على الرواق الأيمن.

لو كان العجوز من عشاق التباهي، لتفاخر بسهولة تفهّمه لكرة القدم. أقصد بهذا قوة ملاحظته-عقب نظرة سريعة لا أكثر ولا أقل- أن الفتى صاحب الشعر الملتف موهوب، لكن العجوز ينتمي لهذا الصنف من الناس الذي يعرف دون حاجة لإظهار معرفته، أو دون معرفة كل شيء يعرفه. هذا لا يعني أن العجوز يعرف كل شيء، فهو يتجاهل أشياء مهمّة، ولا يترادف في قاموسه أيضا العيش والمعرفة.

أتوقّف مرة أخرى لأعيد قراءة ما كتبته وفجأة أشعر بذلك الشك الذي

يقول إنه لا توجد طريقة لحكاية هذه القصة بشكل كامل ومتكامل ونهائي، لأن كل ما قِيل حتى الآن، على الرغم من كونه مربكًا ومتنوعًا، يجب أن يدرج في هذه القصة، وفي نفس الوقت أظن أنه يوجد كم كبير من الأشياء يهرب مني.

كيف ستكون النهاية على سبيل المثال. ما هي الكلمات التي ستستخدم في النهاية؟ تحدثت في البداية عن ذهول العجوز. ذهول وُلد ونما إلى ما هو أبعد من الكلمات. ذهول يمنعه من الحديث. ذهول يسمح له فقط بالنهوض فجأة واقفًا في المدرج. ما هي كيفية الوصول لهذه اللحظة؟ صحيح أنه إذا ما كنت أرغب في التحلي بالتفاؤل فإن هناك بعض الأشياء التي قلناها بالفعل، فالعجوز يجلس في المدرج والفتى يتواجد في الملعب وربما هناك كرة بين قدميه. الاثنان متباعدان وكل منهما لا يعرف الآخر. أما ما يجمعهما -هناك بالفعل شيء يجمعهما- فهو تجاهلهما لبعض الأمور. يتجاهل الفانون كلهم أشياء، لكن هذين الاثنين يتجاهلان أشياء مهمة. يتجاهلانها بعض الشيء، فهما ليسا على بعد سنوات ضوئية من الحقيقة. سبق وقلنا إن ما يفصلهما عن هذه الحقيقة مجرّد جدران رفيعة.

وها هي الكرة الآن بين قدمي الفتى. ينظر له العجوز مدركا أنه سيقوم بشيء مختلف. لن يمررها بلا هدف. هذا الفتى ليس من هؤلاء. يثق العجوز في هذا الأمر وهو محقّ. حينما ينقضّ عليه أقرب خصومه، يضع الفتى حذاءه الأيمن فوق الكرة ويقدمها نحو ذلك القادم، معتنيًا بألا تهرب الكرة من تحت قدمه وفي نفس اللحظة التي ينقض فيها المنافس بقدمه لانتزاعها، يؤخّر الفتى صاحب الشعر الملتف ساقه ومعها الكرة. «أوليبه». سُمع هذا الهتاف في نقطة قريبة من السياج الحديدي. يلتف اللاعب المعني بمراقبة الفتى غاضبًا ويعدل من وضعه بحثًا عنه. يجده دون صعوبة لأنه لم يتحرك.

الفارق الوحيد هو أن الكرة ترتاح الآن أسفل قدمه. لا يرغب المنافس في تركه يُفكر. يتوصل إلى أنه لن يكرر ما فعله ولهذا ينقض عليها منزلقًا بكل قوته. يعرف الفتى أنه كان سيفعل هذا قبل حدوثه ويمرر الكرة من بين ساقيه ويتحرر من تدخله الغاضب بقفزة بسيطة. «أوليه». عاد هذا الهتاف للظهور بجانب بعض الضحكات في المدرج وبعض التصفيق أيضًا. يبدو الآن أن الفتى سيغير الجبهة لأنه ينظر إلى مكان الجناح الأيسر ويشير إلى زاوية الملعب كما لو كان يوجهه للركض نحو هذه الجهة لكي يرسلها نحوه بمقدمة قدمه اليمنى، لكن هذا لن يحدث، والوحيد الذي يعرف هذا بجانب الفتى صاحب الشعر الملتف، هو العجوز. يعرفه أو ربما يبدأ في معرفته.

من بين من لا يعرفون، أو من بين من يجهلون أنه سيحدث شيء آخر، يظهر اللاعب الغاضب المسؤول عن مراقبة الفتى صاحب الشعر الملتف، بعد أن أقسم في أعماقه أن هذا النحيف لن يفعل ما يريد، لهذا يهم بالانقضاض من الخلف بكل الغضب الذي يشعر به، وهو ليس قليلًا. تنقبض عضلات العجوز في هذه اللحظة. كل عضلاته، وعلى الرغم من أنه مازال جالسًا، إلا أنه لم يعد يحدق بعينين نصف مغلقتين، بل يفتحهما بكل اتساعهما لأنه يرغب في رؤية ما يلي. يحتاج العجوز لتحديد إذا كان ما شاهده مجرد صدفة أم لا. يعتمد هذا الأمر على حدوث شيء ما.

إذا كان الفتى راضيًا عن اللوحة الفنية التي رسمها منذ لحظات وقرر تمريرها لصاحب القميص رقم أحد عشر الذي ينطلق في المقدمة، إذا أرسلها كما يشير ذراعه الممتد، ستكون الأمور قد انتهت. سيكون ما حدث أن العجوز قد شاهد فقط مجرد صدفة رائعة، لكن قد يحدث شيء آخر: قد لا يغير الفتى الجبهة بتمريرة بمقدمة حذائه. قد يبقى هناك وظهره لمنافسه بينما ترتسم على وجهه ابتسامة مصارع ثيران، انتظارًا لاستجماع منافسه لنفسه

ولغضبه، ليمرّر الكرة مجددًا بين ساقيه دون أن ينظر إليه ويخطو في دوران خفيف بجسمه لاستعادتها مجددًا من الناحية الأخرى، ليرسلها حينها نحو الجانب الآخر.

ولكن إذا أقدم الفتى على الخيار الثاني، فلا يُمكن أن يظل العجوز جالسا، لأن هذا سيعني أن الأشياء ليست كما يفترضها. ربما بعضها كان صحيحًا أما البقية فلا، لأن هذه ليست المرة الأولى التي يرى فيها هذه اللعبة. نفس هذه اللعبة: مراوغة مكوّنة من خطوة واحدة يليها «كوبري» ثم تظاهر بإرسال تمريرة طويلة، يليه «كوبري» جديد، ولكن هذه المرة في وجود المنافس خلفه، لينتهي الأمر بتسلم الكرة مجددًا والدوران. شاهدها منذ عدة سنوات، منذ خمسة عشر عاما بالضبط، لكنه لم يشاهدها من المدرج أو من الصف العشرين والذي مازال حتى الآن يجلس عليه. منذ خمسة عشر عامًا شاهدها من خلف السياج الحديدي، لأن ليتو كان يقول له أن يتابعه من هناك، من على جانب الملعب، لأنه كان يُحبذ وجوده بقربه ليسمع نصائحه وهو الأمر الذي أحبه العجوز.

كان ليتو مهاريًا للغاية ومختلفًا. كم كان العجوز يُحبه! ليس فقط لأنه كان قادرًا على تنفيذ هذه الحركة الثلاثية المستحيلة، بل وربما أيضًا لأنه كان قادرا على فعلها. يظل الفتى صاحب الشعر الملتف منتظرًا، بكل تأكيد لبضعة ثوان. أتأخر كثيرًا في سرد الأمر عن وقع حدوثه. كم من الوقت قد يتأخر لاعب معني بمراقبة آخر في النهوض والانقضاض غاضبًا على هذا النحيل الذي أذله؟ لكن الوقت على الجانب الآخر يُعدّ تجربة شخصية. خمسة عشر عامًا قد تبدو كأبدية أو كثانية، وفقًا لما نعرفه أو ما لا نعرفه عن سمك الجدار الذي يفصل بين المعرفة والجهل حول ما عشناه. قد يرقد هويتنا وإرثنا مُلغزا في تتابع خاص لحمض خلايانا، لكنه في الوقت نفسه قد يظهر في صورة

فريدة لا تتكرر لثلاث مراوغات متتالية أمام نفس اللاعب في مساحة لا تتخطّى نصف متر مربع من النجيل.

أعتقد أن القصة تنتهي هنا، حينما يلمس الفتى صاحب الشعر الملتف، المولود في الكتيبة، الكرة بخطوة صغيرة نحو الخلف؛ تنتهي بالفتى ذي العينين المفعمتين بالحيوية وهو يلوي وسطه لتفادي الخصم الغاضب القادم مثل القاطرة والذي يفشل في تجنب مرور الكرة مجدّدًا بين ساقيه. تنتهي بهتاف «أوليبه» الأخير المعبر عن إعجاب عشرين أو ثلاثين فردًا من الأهالي المبعثرين في المدرج. تنتهي بالعجوز الذي -صامتًا من فرط يقينه- ينهض واقفًا.

الحكم غاياردو بيريث
(أوسبالدو سوريانو)

حينما اعتدت لعب الكرة في باتاغونيا منذ أكثر من عشرين عامًا، كان الحكم هو بطل المباريات الحقيقي. إذا فاز الفريق صاحب الأرض، يهدونه جرّة من نبيذ ريو نيغرو، وإذا خسر يحبسونه. كانت جرة النبيذ هي الأكثر شيوعًا بكل تأكيد، فلم تكن توجد ميول انتحارية لا عند الحكام أو اللاعبين الضيوف.

تواجد في تلك الفترة فريق لم يُهزم أبدًا على ملعبه (باردا ديل ميديو). لم يتعدّ سكّان القرية ثلاثمائة أو أربعمائة نسمة. كانت مدفونة بين الكثبان الرملية، بها شارع رئيسي واحد يبلغ طوله مئة متر مع عدة أكواخ طوبية متناثرة حوله على طراز الغرب الأمريكي. انتصب الملعب على ضفاف نهر ليماي، محاطًا بسلك شائك ومدرج خشبي يتسع لخمسين شخصًا. كان المدرج مخصّصًا للـ«صفوة»: التجار والموظفين والكهنة، بينما يشاهد البقية المباريات من فوق أسقف سيارات (فورد إيه)، أو صناديق شاحنات الشركة المنوطة بتشييد السدّ.

كنا جميعًا تحت تأثير أسلوب اللعب الرائع لمنتخب البرازيل، بطل العالم، إلّا أنّ أيًّا منّا لم يشاهده يلعب بتاتًا. لم يكن التلفاز قد وصل بعد لهذه المقاطعات، وعلمنا كل شيء عبر المذياع، هذه الأصوات البعيدة والمشوشة

لبثّ مجريات المباريات، وأيضًا عبر الصحف التي كانت تصل متأخّرة أربعة أيام عن وقت وقوع الحدث، لكن مُزينة بصورة بيليه والرسم التوضيحي لخطة 4-2-4 وأنباء الكارثة الأرجنتينية في السويد[1].

لعبت في كونفلوينثيا، أحد أندية ثيبوليتي، وهي قرية تأسّست في مطلع القرن على يد مهندس إيطالي ينتصب تمثاله في جادتها الرئيسية. لم تكن الشوارع مُهّدت بعد، وللعب الكرة في أيام الأحد، وجب العثور على شاحنات بإطارات خشنة. لم يتخط كونفلوينثيا المركز السادس بتاتًا، لكننا أحيانا كنا نفوز على البطل. لم يحدث هذا الأمر كثيرًا، إلا أننا كنا نصيبهم بالذعر.

كانت لدينا في ذلك اليوم مباراة على أرض (باردا ديل ميديو)، ذلك الملعب الذي لم يذق عليه خصومهم أبدًا طعم الفوز. اعتادت الفرق «الكبيرة» على خصم نقطتين من توقعاتها في المباريات التي لُعبت في هذا المكان الجهنمي. كان لاعبو (باردا ديل ميديو)، المنحدرون من سكان أصليين ومهاجرين تشيليين غير شرعيين، أشرارًا بنفس الطريقة التي افترضنا أن الهولنديين والسويديين عليها. هذا صحيح. اعتادوا ضرب خصومهم كأنها حرب، فتعرضهم للهزيمة على أرضهم، على الرغم من خسارتهم خارجها دائمًا وبحفل من الأهداف، كانت أمرًا لا يُمكن التفكير فيه.

كنا فزنا عليهم في العام السابق بملعبنا برباعية نظيفة وخسرنا على أرضهم بهدفين جاءا عبر ركلة جزاء وهدف أحمق سجله ظهيرنا الأيمن غوميث في شباكنا. لم يتجرأ أحد على مواجهتهم ندًا لند، لأنه كانت تشيع أساطير فظيعة عن مصير القلائل الذين تشجعوا على هز شباكهم في معقلهم.

---

1. تذيلت الأرجنتين مجموعتها في مونديال السويد 1958 بالخسارة من ألمانيا الفيدرالية بثلاثة أهداف لواحد والفوز على أيرلندا بنفس النتيجة قبل الخسارة المذلة من تشيكوسلوفاكيا بستة أهداف لواحد.

اعتادت كل الفرق في رحلتها لـ(باردا ديل ميديو) على استغلال الأمر لإراحة أفضل لاعبيها واستدعاء فتى واعد من الفئات العمرية الأصغر، لأن نقاط المباراة اعتبرت ضائعة بشكل مُسبق. يصل الحكم مبكرًا ويتناول غداء مجانيًا، ليطرد بعدها أفضل لاعبي الضيوف مع احتساب ركلة جزاء لأصحاب الأرض قبل مرور أول ساعة ليبدأ احتفال الجمهور. يذهب بعدها لتلقّي جرّة النبيذ، وفي مرات قليلة إذا انتهى الأمر بأهداف كثيرة، يمكث حتى موعد الحفل الراقص.

خرجنا مبكرًا في هذا اليوم الذي لا يُنسى وذهبنا بفريق واجهنا صعوبة كبيرة في تشكيل قوامه لأن أحدًا لم يكن يرغب في المخاطرة بساقيه من أجل العدم. كنت شابًا صعد للتو للفريق الأول ولدي رغبة في الاستحواذ على مركز رأس الحربة بحاستي التهديفية والبقية هم فتية مستسلمون سيمكثون حتى موعد الحفل الراقص للبحث عن مغامرة عاطفية مع فتيات المستنقعات.

جاء الحكم غاياردو بيريث، وهو رجل حاد الطباع ذو نظر ضعيف، لغرفة الملابس بعدما دلكنا أنفسنا بالزيت الأخضر وبينما كنا نرتدي قمصاننا السماوية الباهتة، ليتأكد من أن كل الأمور ستسير كما يجب وليخبرنا بالامتناع عن التبجح أمام أصحاب الأرض. كان قد فقد اثنتين من أسنانه ويتلعثم في الكلام، ليضيع ما يرغب في قوله وسط ما ينطقه فعلا.

قلنا له -وبكل صدق- إن الأمور جيدة، لكن في المقابل عليه العناية بألا يحطم الخصم سيقاننا. تعهد غاياردو بيريث بإيصال الرسالة لقائدهم سرخيو جيوفانيلي، قلب الدفاع المخضرم ذي المزاج السيّئ الذي يرفس كالحمار.

بمجرّد دخولنا وتحيّة الجمهور الذي استهجننا، اقترب منّي جيوفانيلي وقال:

- اثبت يا فتى. لا تغترّ وإلّا علّقتك على شجرة.

نظرت نحو الخلف حيث كانت تهتز بفعل الريح رؤوس أشجار الصفصاف المشؤومة التي سبق وعلقوا عليها أحد الحكام المثاليين. قلت له ألّا يقلق بل وناديته بلقب «سيّدي». أشار جيوفانيلي، ذو الجفن الساقط الذي عبرته ندبة، بالقبول وذهب لتكرار نفس التحذير مع بقيّة المهاجمين.

تسيّد الهدوء النصف ساعة الأولى من المباراة. كانت لهم السيطرة، لكنهم كانوا يسددون من بعيد، لذا لم يتركها حارسنا «تشاكو» أوسوريو تدخل، فالأمر كان ليصبح فضيحة، ولسحلونا أيضا لكوننا جبناء. ارتطمت تسديدة لاحقة لهم بالقائم، بل وأبعد رامايو «النحيف» الكرة أكثر من مرة إلى ركنية كي يسجلوا فينا بالرأس، لكن غاب عنهم التوفيق والدقّة في ذلك اليوم لسوء الحظ. فعلنا جميعًا كل ما يلزم كي تهتزّ شباكنا، إذا ما تركها «تشاكو» أسوريو تتواثب داخل المنطقة سددوها للخارج، إذا ما سقط مدافعو فريقنا، طوحوا هم الكرة نحو السماء أو أرسلوها بين يدي الحارس.

طرد غاياردو بيريث -بعدما ضاق من الانتظار وزاد توتّره- اثنين من لاعبينا ومنحهم ركلتيْ جزاء. طارت الأولى فوق القائم وارتدت الثانية من العارضة. كانوا عاجزين في هذا اليوم -كما قال الحكم نفسه بصوت مرتفع- عن التسجيل في مرمى بحجم قوس قزح.

بدت المشكلة بلا حلٍّ ودخل المدرج في حالة غليان. تعرّضنا لإهانات واتهمونا باللعب بقذارة وألقوا علينا الطوب مع انتصاف الشوط الثاني. تمخّضت أخر خمس أو ست دقائق في المباراة عن الفاجعة. فاض الكيل برامايو «النحيف» من كثرة المهانة وشتت كرة عالية ضايقت فيها جيوفانيلي أثناء تراجعه وهو يجر حذاءه. قفزنا معا ووسط رغبته في ضربي بالكوع أخطأ الكرة وسقط على الأرض. ساد الصمت المدرج. تمدد فراغ السكون داخل

عظامي بينما أتقدّم بالكرة نحو مرماهم، وحيدًا، كراهب إسباني يتعبّد.

لم يفهم حارس (باردا ديل ميديو) الصغير شيئا ممّا يحدث. لم يقتصر الأمر فقط على عجزهم عن هز الشباك، بل كان هناك فتى يأتي نحوه بميل نحو اليسار كأنه يفتح زاوية التسديد. حينها خرج لسد الطريق أمامي بكل بؤس، واعيًا أنه إذا لم يوقفني، فسيتوجب عليه نسيان الحفل الراقص وربما، بدلا منه، سيصحبني نحو الشجرة ذات الشهرة المشؤومة. فعل ما في استطاعته وأيضًا ما كان يجب ألا يفعله. كان طويلًا، ذا أنف ضخم وشعر خشن، يرتدي قميصًا أصفر اللون غسلته له والدته في الليلة الماضية. عدّل من وضعيّة خصره وفتح ذراعيه وانتفش مثل القنفذ لتغطية المرمى. شاهدت حينها، بحماقة المراهقين، أن ساقيه تقوستا كثمرتي موز. نسيت جيوفانيلي وغاياردو بيريث ولمحت المجد.

تظاهرت بأنّي أنوي مراوغته ولمست الكرة بيسراي، حركة قصيرة وناعمة، بطرف الحذاء لكي تمر من بين قوسيه المفتوحين أسفل الركبة. ذهل ذو الأنف الكبيرة من المراوغة وقفز بصورة آلية كأنه يغطس، واثقا من إنقاذ كرامته وأيضًا فرصة الحفل الراقص في قرية باردا ديل ميديو، لكن الكرة كانت مرّت من بين كاحليه كقطرة ماء تنساب من بين الأصابع، وقبل أن أتلقّاها من خلفه تراءى لي وجه الخوف. شعرت بما يجب أن يكون عليه صمت غرف الإعدام الباردة، لكن بعدها وكمن يتحدى العالم، سددتها بقوة وبمقدمة قدمي وانطلقت محتفلًا. ركضت أكثر من خمسين مترًا رافعا ذراعيّ ولم يأت أي من زملائي لتهنئتي. لم يقترب أحد مني وأنا أترك نفسي أسقط على ركبتيّ ناظرًا للسماء، كما شاهدت بيليه يفعل في صور مجلة (الغرافيكو)[1].

1. أشهر وأعرق مجلة كرة قدم في الأرجنتين.

لم أعرف إذا كان الحكم غاياردو بيريث احتسب الهدف، لأن حجم البشر الذي اكتسح الملعب وبدأ في ضربنا كان هائلًا. أصبحت كل الأمور مُربكة. ضربوني في رأسي بحقيبة المدلّك، المصنوعة من الخشب، وباتت كل عبواتها المفتوحة مبعثرة على الأرض بينما يرفعها الجمهور لتحطيم رؤوسنا.

وصل شرطيو وحدة (باردا ديل ميديو) الخمسة أو الستة بعد نصف ساعة، بعدما طُحنت عظامنا وبات غاياردو بيريث عاريًا، إلا من لباسه الداخلي، وملفوفًا بشبكة انتزعوها من أحد المرميين. اقتادونا نحو نقطة الشرطة. وجه المفوض، وهو رجل صلب العود ذو وجه ملون وشعر لامع وملامح هندية، لنا نحن والحكم غاياردو بيريث خطابًا عن النظام العام والروح الرياضية. عاملنا كحمقى عديمي المسؤولية بل وأمر باقتيادنا لقص الأعشاب الضارة من الملعب المجاور.

اضطررنا، والسماء تكتسي بظلمة المساء، لقص الأعشاب بأيدينا ونحن شبه عراة، بينما تجسس علينا أهالي باردا ديل ميديو من فوق السياج وهم يرجموننا بالحجارة، بل والزجاجات الفارغة. لا أتذكر إذا كانوا قد أطعمونا، لكنهم كدسونا في زنزانتين، فيما وجب إجراء إسعافات للحكم غاياردو بيريث -الذي كان يبدو كدجاجة منزوعة العظام- لعلاجه من كدماته وتشنجاته، بل وحتى نوبة ربو. كان يهذي، ووسط هذيانه المنافي للعقل خلط بين هذا الملعب وآخر، تلك المباراة وأخرى، هذا الهدف وذلك الذي كلفه سنيه العلويين.

صباحًا، وحينما رحلونا على متن حافلة متهالكة بلا نوافذ تحت أمطار من الحجارة، اقترب مني حارس فريقنا، «تشاكو» أوسوريو وأخبرني بأن مرماه لم يهتز أبدًا بهدف مثل هذا:

- الأحمق، انطلت عليه الخدعة!

قالها وظل لفترة يحرك ذراعيه بتباهٍ، ليصوّر لي كيف يُمكن تفادي مثل هذا الهدف.

حينها استيقظ غاياردو بيريث في منتصف الطريق تعرف عليّ وسألني عن اسمي. كان لا يزال عاريًا، إلا من لباسه الداخلي، بينما تتدلى صافرته من عنقه كوسام. قال لي ولعابه يخرج من بين شفتيه:

-لا تظهر مجدّدا في حياتي. إذا عثرت عليك مجددًا في أي ملعب، سأحطمك. أقسم بهذا.

سألته:

- هل احتسبت الهدف؟

أجابني غاضبًا وبدا كأنّه سيختنق:

- بكل تأكيد احتسبته. من تظنني؟ أنت مجرد ثرثار داعر، لكن هذا كان هدفا رائعًا وأنا رجل عادل.

شكرته ومددت يدي، لكنه لم يلق بالًا وأشار نحو سنتيه الناقصتين قائلا:

- أترى؟ هذا كان هدفا لسيفوري[1] من تسلل. فلتنظر الآن أين هو وأين أنا! الرب لا يحب كرة القدم يا فتى، لهذا فإن هذه البلاد تسير هكذا، مثل الخراء.

---

1. أومار سيفوري لاعب أرجنتيني لعب مع إيطاليا في مونديال 1962 وكان يلقب بـ«الرأس الكبير».



مقصيّة مزدوجة

(إدواردو ساتشيري)

قضت آنيتا وقتا طويلًا في توقيع كم كبير من الأوراق حينما اصطحبوها أمس. قالت لدى عودتها إنها لم تفهم الأمر جيدًا، فهي استمارات كثيرة كُتبت بحروف صغيرة متلاصقة. أعتقد أنها نظرت لي أكثر من مرة، باحثة عن إشارة قد تهدئ من روعها، لكن هيمنت العتمة على معنوياتي المفزوعة من رائحة الكارثة التي تخيم، ونجحت بشكل كبير في تجنب نظرات عينيها الفضوليتين.

يقول الأطباء، بشكل مِهني، إنه لا سبيل لك لتتخطى هذا. يقولون هذا الأمر بجدية وهدوء واقتناع. يقولونه ببرود وبُعد من اعتادوا على نقل الأخبار السيّئة. كان أكثرهم وضوحًا وصدقًا هو ريفاس حينما جاء في بداية المساء لفحصك. أغلق الباب بهدوء كي لا يُصدر أي ضوضاء. طلب من آنيتا أن ترافقه للغرفة الخلفية. أمسكها من ذراعها بتلك الطريقة التي تُنبئ بوجود خطر وحزن قريبين. نهضت على الفور وذهبت معهما حتّى لا تستمع آنيتا المسكينة وحدها لما سيقوله.

ريفاس شخص جيّد. من العدل قول هذا. دعانا للجلوس، قدم لنا الشاي وشرح لنا الأمر بروية، بل ورسم لنا توضيحًا على إحدى الروشتات. تقبلت آنيتا الأمر كأنها امرأة حديدية. دعني أخبرك بالحقيقة: لولاها لانهرت. كنت أفكر: كيف سأبكي إذا كانت هذه المرأة تبتلع المسألة بكل هذا الثبات؟

حينما أنهى ريفاس حديثه، متوجّسًا بعض الشيء -في اعتقادي من المصيبة التي كشف عنها النقاب- طلبت منه آنيتا، بكل جدية شرح الفرص المتاحة. كانت هادئة -تقريبًا- لأنها من شدة تشبث أصابعها بذراعي شعرت كأنها استحالت لمخالب. رفع الطبيب -الذي تحدث قبلها ناظرًا نحو مكتبه- رأسه ثم وضع عينيه في عينيها من خلف نظارته الصغيرة ليصارحها «الأمر شبه مستحيل» دون إضافة شيء آخر. قالها دون مواربة. شكرته آنيتا وصافحته وخرجت تهرول. كانت المسكينة ترغب الآن في التواجد بمفردها وإغلاق دورة مياه السيدات عليها لتبكي منتحبة لبعض الوقت. شعرت كأنني قد دُهست بقطار للبضائع. آلمني جسدي كله مع غصّة متوحشّة في حلقي، لكن آنيتا تصرّفت بأسلوب لبقٍ للغاية وشعرت أنني ملزم بالحفاظ على ثباتي. شكرته على شرحه وأيضًا على اختياره الإفصاح عن الحقيقة. حينها لان قليلًا. وارتسم على محياه شبح ابتسامة، أخبرني بأنه يأسف كثيرًا وأنه سيفعل كل ما في وسعه، بل أنه سيدير الجراحة بنفسه، لكنه بكل صدق يرى احتمالات نجاحها ضعيفة للغاية.

حينما حل المساء، كانت العائلة بأكملها في غرفتك كأنه اجتماع حزين للساحرات. ظلوا يسيرون في غرفتك جيئة وذهابًا. رفضوا الرحيل كأن مكوثهم سيلوي ذراع القدر ليستقيم نصيبك. كنت لا تزال في سباتك العميق لا تدري شيئًا، داخل هذا الرقاد الهادئ الذي بدأت تحصل عليه بمرور الأيام. لم ترغب حتى في تناول الطعام. كنت تنام طوال اليوم تقريبًا. تتبادل كلمتين بالكاد مع آنيتا ومعي، لا تتوقف عن النظر لي بثبات، كأنك تعلم، كأنك في انتظار انهياري لأبوح لك بكل ما قاله ريفاس وأخبرتك أنا بقشوره كي لا تفزع، وفي كل مرة غرست نظراتك فيّ، نظرت للجانب الآخر أو خرجت مهرولًا، متحججًا بحاجتي للتدخين في دورة المياه أو الرواق.

وفوق كل هذا، كان هناك ذلك الجمع العائلي الذي شكلناه دون قصد، ونحن عاجزون عن مساعدتك. تواجد الكل بالأمس: الوالد وميرتا وخوسيه والتشولو وحتى والدة آنيتا التي لم تطرأ لها فكرة أفضل من جلب الفتية لإلقاء التحية عليك. لحسن الحظ أنّني لحقت بدييغو وزوجته في الوقت المناسب أثناء خروجهما من المصعد لأصرفهما. كانت ملامح الذعر ترتسم على وجهيهما، كأنهما يرغبان في الانهيار فورًا، لهذا وجهت الشكر لهما على المرور وجنبتهما مرارة الحلق.

بعدها جاءت ساعة الغروب. لا يوجد ساعة في المستشفى أسوأ منها. يصطدم الضوء المحتضر بالزجاج الهش، بينما تتسلل رائحة طعام المرضى من أسفل الأبواب ويبتعد رنين كعوب النساء في الطرقة. تهدأ المدينة رويدًا رويدًا وتنخفض حدّة نباحها، لتترك المرضى بمفردهم حتى دون الصحبة الحمقاء لصخبها.

حينها بدت أجواء الغرفة أشبه بمراسم السهر على ميت. كانت تنقص فقط أضواء بعض الشموع والرائحة الذابلة للزهور الحزينة، إلا أن وجوه التعاسة وهمهمات الذنب ونظرات التعاطف نحوك زادت عن الحد. فتحت عينيك في تلك اللحظة. اعتقدت أنها مصيبة. كانت آنيتا تحاول إقناع الوالد بالعودة إلى كيلميس[1] لكنه أصر على أن هذا الأمر لن يحدث أبدًا. تصفحت ميرتا أوراق مجلة ما بوجه أبله، بينما نظر إليك خوسيه بنظرة تقول «لترقد في سلام»، المصيبة هي أنه إذا لم تكن أدركت شيئًا حتى هذه اللحظة، فإنه بداية مما يليها لن يساورك شك حول طبيعة الأمر. نظرت إلى كل الجوانب ورفعت رأسك وأنت تقبض عضلات عنقك لتتمكن من الأمر. كانت صعوبة حركتك جلية، تأخرت قليلًا حتى شاهدتنا جميعا وفي النهاية نظرت

1. مدينة أرجنتينية.

إليّ ولم أعرف ما الذي يجب أن أفعله مع كل هذا. خشيت أن تطلب مني المجيء نحوك لأقص عليك كل شيء، لكنك بدلًا من هذا أخبرتني بأن أمد يدي لرفع الدعامة بعض الشيء. وبينما كنت أمسك بعصا التحكم في أرجل الفراش الحديدي، أمرت أنت ميرتا بإشعال الضوء لأن الرؤية كانت معدومة. صمت الجميع بعد أن أضاءت الأنوار، كأنهم فُضحوا وسط فعل مخل لا يمكن غفرانه، كأنهم فقدوا راحتهم بعد مقاطعة هذهِ البروفة العامة لمراسم وشيكة للسهر على ميت.

وكأن كل هذا لا يكفي، كأنك تُثبت التهمة عليهم، وكأنك ترغب في ألا يُخطئ أحدهم قبل أوانه، بدأت في الصراخ وإعطاء الأوامر، مادًا ذراعك بالمحلول الذي تراقص مع كل واحدة من إشاراتك: فلتذهب يا أبي للمنزل ولتصحب ميرتا يا خوسيه لقراءة المجلات الموجودة بوفرة في غرفة معيشتكما، ليهتم أحدكم الآن بتقديم العشاء لآنيتا وإلا فإنها ستسقط مغشيًا عليها في أي لحظة ولتتوقفوا عن إزعاجي ولتخلوا الغرفة. تردد صدى صوتك عاكسًا السلطة، لدرجة أن الكل بدأ في الخروج في طابور خاضع وخانع، حينما تجهزت للحاق بهم دون النظر للخلف أوقفتني فجأة بعبارة «أنت ستبقى ولتغلق الباب». كطفل يحاول التفكير سريعًا في عذر واه، كسبت بعض الوقت بتحريك مقبض الباب بعناية وإغلاق الستائر لأقضي نهائيا على الضوء المحتضر للساعة السابعة. ركلت المبولة إلى مكانها أسفل الفراش، لكن في النهاية لم أجد مفرًا من الجلوس بجانبك لمقابلة تساؤلات عينيك.

قصصت عليك كل شيء. حاولت التحلي بالهدوء في البداية، لكني أفترض أنني لاحقا فقدت رباطة جأشي كأني في حاجة للحديث مع أحد دون لمسات تجميل حمقاء، والبحث بل التنقيب، عن عبارات مطمئنة مهدئة. دون الحاجة للارتجال وابتكار أمثلة قابلة للتصديق حول حالات تعافٍ

إعجازية. أخبرتك بكل نقطة في تشخيصاتك المتتالية، وكل حكايات متاهة المجانين التي خضناها في الشهرين الأخيرين، وتعازي الأخصائيين الدقيقة والمغمومة. أخذت وقتك وبكيت ورأيت تفاصيل كابوسنا ذي النغمة الواحدة. بكيت بدموع ممتلئة وقليلة، تلك التي تهرب من أعين الرجال. حينما صمت في النهاية، أغلقت عينيك وتنفست بعمق لفترة. بدأت أنا حينها في النهوض ببطء دون إصدار جلبة لكي تخلد للراحة، محاولًا إقناع نفسي بأنك قد نمت فعلًا.

وحدث ما حدث: عدلت من وضعك على الفراش بعنف لدرجة أنك أعدتني مجددًا إلى المقعد من شدة الفزع. جذبتني من أسفل رقبتي ليتجعد قميصي وربطة عنقي ونظرت في أعماق عينيّ كأنك تسعى لإيضاح ما ستقوله بصورة تامة. تبدل وجهك، وبات كقناع مليء بالعزة والحنق والغضب والغل. كان نابضًا بالحياة بصورة تبعث على الرعب. لم يعد هناك أثر للدموع على وجهك. لم يوجد مكان إلا للحنق. تذكرت حينها تلك اللحظة. أقسم لك أن هذه الذكرى لم تمر في رأسي منذ أكثر منذ عشرين عامًا. في بعض الأحيان، قد يبدو كذبًا أن نقول إنّ المرء لا ينسى الأشياء التي من المفترض أن ينساها، لأنه حينما نظرت لي بهذه الطريقة وجذبتني من ملابسي واعتصرتني وهززتني، انهار سدّ الزمان واكتستني فجأة ذكرى هذا المساء الأسطوري.

لم تقل شيئا في هذه اللحظة بالمستشفى، كأن الشرار الذي تطاير من بين عينيك كفى وزاد، تلك الحُمرة الغاضبة التي انبعثت من محياك الموشك على الانفجار. في تلك المرة، الأولى التي جذبتني فيها بهذه الطريقة، كان الليل أيضا قد حل تقريبًا، وأوشكت على التغوط في سروالي القصير من كثرة الرعب. نظرت إليَّ بثبات وصرخت في وجهي «لم نخسر بعد. هل تفهم. تصدَّ للكرة واترك الأمر لي».

كنا نلعب أمام إستوديانتيل على ملعبهم. يمثل الصراع مع إستوديانتيل واحدة من عُقد التاريخ، التي حينما يولد المرء، تكون مكتملة الأركان. ما يتبقى لمن يصل إلى هذا العالم، إذا ما كان ولد في حيهما هو اختيار فريقه: إما إستوديانتيل أو بيلغرانو. لا توجد حلول وسط أو فرصة للهرب، فمنذ هذه اللحظة يكون مصيرك محتومًا ولا يمكن بأي حال من الأحوال عبور الخط الفاصل.

كان الفريقان يلعبان في نفس الدوري ومباراتاهما السنويتان معًا كانتا تنتَجان دائمًا تبعات عاصفة، وكأن هذا الأمر لا يكفي، فحينها كان الأمر أكثر أهمية عن أي وقت مضى. كنا في مسار يختلف عن بقية مواسمنا الاعتيادية، على بعد نقطة وحيدة من لقب البطولة وشاء القدر أن تكون مواجهة إستوديانتيل في الجولة الأخيرة. ربما لو كانت المواجهة أمام أي فريق آخر لكانت الأمور أكثر سهولة. كان يكفينا التعادل بكل بساطة ولم يكن هناك أي مهاجم ليتجرأ على إفساد حفلنا لأن الثمن كان سيصبح تعرضه لكسر مفاجئ يُعذبه، خاصة في ظل قرب قدوم الصيف والحر الذي قد تسببه جبيرة تمتد من الكاحل وحتى أعلى الفخذ، لكن الأمور مع إستوديانتيل مختلفة.

يوجد بين الأرجنتينيين شيء أكثر لذة من سعادة الذات وهو تعاسة الآخرين، لذا فإنهم انطلاقًا من استعدادهم لتحقيق هذه الرغبة الفلكلورية استعدوا للمباراة بحماس مدهش، لا يمت بصلة للمركز العاشر البائس الذي كانوا سيودعون به الموسم. الأمور السيّئة لدينا في بيلغرانو كانت محدودة نوعا ما: لدينا جناحان سريعان ولاعب وسط قدير، لكنْ قلبا دفاع دمويان بالفطرة. كانت لديهما القدرة على شق والدة أي منهما إلى نصفين لو تجرأت على الاقتراب بالكرة بين ساقيها نحو المنطقة. وفوق كل هذا، عينوا بيريث «الأسمر»، عريف الشرطة الفيدرالية، حكمًا للمباراة. كان ينظر إلينا جميعا كمجرمين، إلا إذا ما ثبت وبصورة بينة عكس ذلك. كان وجود حكم

مثله ليس لديه أي استعداد للتغاضي عن أي ضربة قوية بالساق هو أسوأ شيء قد يحدث لنا. أقسمنا نحن أيضًا على أنه لا يوجد خيار غير النصر، فنحن في النهاية أرجنتينيون أيضًا وطواف الاحتفال في ملعبهم وأمام أنوفهم كان سيصبح شيئا لا ينسى.

بدأت المباراة مشتعلة. فقدنا أحد قلبي الدفاع بعد مرور خمس عشرة دقيقة من الشوط الأول، إذا كان يجب علي التحلي بالأمانة فإن بيريث تساهل بعض الشيء، لأنه بعد مرور عشر دقائق فعل لاعبنا ما قد يستحق بموجبه الذهاب للحبس، لكن تضحيته لم تذهب هباءً: هذه الربع ساعة آلمت بالفعل مهاجميهم، لأنهم بعدها دخلوا المنطقة مرات قليلة للغاية وفضلوا تجربة حظهم بالتسديد من بعيد.

كانت مقاعد الجماهير مثل برميل بارود وداخلها مثل ما يقرب من مئتي متطوع لإشعال الثقاب. انتصب مدرج وحيد على أحد جوانب الملعب واحتلته جماهيرهم، فيما تزاحم مشجعونا في باقي الأنحاء وهم شبه ملتصقين بالسياج الحديدي. كان العجوز نابولي، الذي لعب ابنه كلاعب وسط في فريقنا، يلتقط صورا للاعبي إستوديانتيل، وكلما سادت فترة صمت قصيرة، استغلها لشكرهم بسخرية بقوله بأنها ستفيده في سجل الحشرات الذي يُعده.

مرت المباراة كأن كل ثانية أشبه برصاصة والتفتت خلفي مع كل نصف دقيقة لأسأل عن الوقت المتبقي. كان دون ألبرتو يلتصق بالسياج ويأمرني صارخًا بالتوقف عن العبث والنظر للمباراة وإلا سكن شباكي هدف أحمق، لكن لم أكن أسأل بدافع الغباء، بل لاستشعاري وجود شيء غريب في الهواء، كأن أمرًا سيّئًا بات وشيكًا دون وجود سبيل ملعون لتجنبه. تحققت شكوكي بغتة قبل نهاية الشوط الأول، حينما سدد مهاجمهم الكرة في الزاوية من خارج المنطقة. لعبنا ضربة البداية وأطلق بيريث صافرته. تحول تشجيع جمهور

إستوديانتيل إلى حفل، وكانت لدي رغبة في البكاء حتى الموت.

أتذكر الأمر الآن كأنه قد حدث اليوم. لعبت كارتكاز وكنت دائمًا من أفضل لاعبينا، لكنك طوال الشوط الأول تعاملت مع الكرة كأبله. استخلصت كرات قليلة وفشلت في تسلم أخرى بل ومنحت بعضها للخصم. لم يصدق تشيتشي الأمر. صرخ فيك كالمجنون لكي تظهر ردة فعل. سعى لإحمائك، حتى ولو بدا ما فعله كأنها مباراة شوارع، لكنك ظللت هناك تنظر لكل الأنحاء بوجه متبلد. تتمركز في المكان الخاطئ وتمرر كرات بائسة وتقطع سيولة اللعب بمخالفات غير ضرورية.

أغلق العجوز نابولي الكاميرا بين الشوطين وارتجل محاضرة فنية عاجلة. تكلم جيدًا في الحقيقة، بأسلوبه الجهوري دون إسهاب في الحنان الزائف وذكرنا بما نعرفه: إذا ما خسرنا المباراة وكلفنا إستوديانتيل البطولة، فإننا لن نتمكن من دخول الحي لأننا سنظل منبوذين عن وجه حق من قبل القوى الحية لعشيرة بيلغرانو. كنت لا تزال جالسًا هناك، على أريكة القضبان الحديدية الرمادية، بساقين مفرودتين ورأس تنظر للأسفل، حينما استدعونا للشوط الثاني. اضطررت الذهاب لجلبك لأنك حينها لم تتمكن من استجماع شتات نفسك. لا أعرف إذا كان خوفًا أو وحيًا مفاجئًا، لكن وجدت نفسي فجأة أبكي أمامك وأطلب منك أن تعطني يدك وألا تتراجع وأخبرك بأننا في حاجة إليك، لأنك إذا لم تفعل هذا سنموت. يبدو أنني أدهشتك بحديثي وتفجري العاطفي (دائما كنت خجولًا للغاية) لأنك بعدها نهضت وأخبرتني بأن نذهب ولكن بنبرتك التي أعرفها.

كان الشوط الثاني بمثابة قصة أخرى. مر طائرًا. سرعة سير الحياة حينما تخسر قد تبدو كذبة. سألت عن الوقت، بينما يصرخ ألبرتو لنركض أكثر فقد شارفت المباراة على النهاية، لكن كنت قد استعدت توازنك وبت تروض

كل الكرات التي ضاعت منك في الشوط الأول وتوزعها باقتدار دون إهداء الكرة للخصم، شرعت ترسل تمريرات عميقة ومحسوبة، لكن الكرة رفضت الدخول. سددنا مرتين في العارضة، بينما أهدر ابن نابولي انفرادين أمام الحارس (الذي كان متألقًا)، وفوق كل هذا بعد مرور نصف ساعة بدأت أستشعر مجددًا إحساس الكارثة الوشيكة.

لم تكن الأمور تسير بشكل سيّئ ، لكن في ظل لعبنا من أجل التعادل استغلوا تمركزنا الخاطئ في هجمة مرتدة. صعد ثلاثة منهم أمامي أنا وقلب دفاعنا الوحيد (كان يدعى مونتانارو). تقدم مهاجمهم بالكرة بالقرب من المنطقة ليرسلها في اليسار عند صاحب القميص رقم أحد عشر. تحرك مونتانارو نحوه وعطله لعدة ثوان، لكن الأخير أرسل عرضية سقطت مجددا عند رأس الحربة. لم أجد حلًا سوى الخروج لعرقلته. قد يبدو الحديث عن انهيار المرء أمام ضآلة غروره كذبة شائعة، لأنه إذا ما مررها يمينا نحو صاحب القميص رقم تسعة لسجل الأخير هدفًا محققًا، لكن الإنسان ضعيف. هتاف الجماهير واتساع المرمى وحلم أن يصبح هو من يدفن آمالنا بشكل نهائي كان قائمًا. لذا فلماذا لا يتظاهر بالتسديد وينحني بوسطه ليراوغ الحارس ويصبح على بعد خطوة من الخلود بتسجيل هدف حاسم؟ لكن ما حدث أنه بدلًا من هذا تلقى ركلة قاتلة في الكاحل الأيسر أسقطته كما لو كان قد ضُرب ببلطة.

أطلق بيريث صافرته فورًا. سقط القصير أرضًا وظل ينتحب على الأرض كالمسكين من شدة الألم لكني لم أتعرض للطرد. ربما كانت الأجواء هي من أنقذتني، لكن الرائحة الكريهة التي تُنذر بأن الأمور أوشكت على الحسم كانت تخيم على الأجواء. تعانقوا للاحتفال بالفوز بشكل مسبق، بينما احتفل أيضا جمهورهم المتحمس باقتراب تحويل الحلم لحقيقة. بكى العجوز نابولي متشبثًا بالسياج الحديدي. بينما ظل دون ألبرتو يتفوه بالسباب. في

الحقيقة لو كانوا عرضوا عليّ الرحيل في تلك اللحظة لقبلت. استشعرت الصراخ المتوحش الذي سيطلقونه حينما تتحول ركلة الجزاء لهدف. كنت أرى نفسي ممدّدًا على النجيل بينما يقفز هؤلاء القذرون حولي وهم يتعانقون ويركلون الكرة مرة تلو الأخرى في الشباك. بحثت بنظري عن وجه دون ألبرتو بين الوجوه الحزينة. قال لي حينما تلاقت عينانا في النهاية «تتبقى ثلاث دقائق». كان الأمر أشبه بحكم غير قابل للاستئناف. حينها استسلمت بشكل نهائي. فهدفان دون رد يعني انتهاء كل شيء، خاصة حينما تتبقى ثلاث دقائق وأنت تلعب خارج أرضك. على ملعبك ربما تختلف الأمور ولكن.. كيف تُعدل موقفا مثل هذا؟

ذهبت لأقف على الخط كمن يتوجه إلى جنازة. الشيء الوحيد الذي رغبت فيه هو أن تمر الأمور سريعًا لأتخلص فورًا من هؤلاء المنتشين السكارى من غرور النصر، وحينها ظهرت أنت. لم أعرف ما الذي كنت تفعله طوال كل هذا الوقت، أو ربما كل هذه الثواني التي بدت لي كقرون من الزمن، لكن الأمر الوحيد الحقيقي هو أنني وجدتك أمامي حينما رفعت رأسي، جذبتني من عنق القميص وضممته وهززتني بأجمل شكل ممكن وأنت تهتف «استفق. اللعنة. استفق». كان وجهك يبعث على الرعب. هو خليط متفجر من الغضب والحنق والعزيمة والإيمان. التعبيرات نفسها التي ارتسمت على وجهك أمس في الفراش وذكرتني بكل هذا. نظرت إلى أعماق عينيّ كي لا يتشتّت انتباهي وسط ضجيج الهتافات والصواريخ والنصائح التي تقول اقفز لهذا الجانب أو طر نحو الآخر. حينما تأكدت من أنني أنظر إليك بالفعل وأستمع إليك وأنت تقبض على عنقي جيدا قلت لي «تصدَّ لها يا مانويل. تصدَّ لها من أجل أكثر شيء ترغب فيه. إذا ما تصديت لها، أقسم لك أنني سأتعادل. عدني بأنك ستتصدّى لها يا أخي. أقسم لك مجددًا بأنّي سأعدّل النتيجة».

وجدت نفسي أخبرك بأنني سأتصدى لها وبأن تهدأ، ليس لكي أسايرك أو شيء مثل هذا. كان الأمر كأن صوتك يأتي مصحوبًا بعطر ما، مثل رائحة شيء حقيقي يطمئنني أمام القدر ويخبرني بأنه سيُعدل مساره. وبداية من هذه اللحظة عدت لما أكونه. أكملت كل الشعائر التي يجب أن يتبعها أي حارس في هذه الحالات القصوى. كان خينارو، ظهيرهم الأيمن، هو من سيتقدم إليها. كان رجلًا قاسيًا وصلبًا وصاحب تسديدات مذهلة. اقتربت لتعديل وضعية كرته، متحججًا بأنها متقدمة عن الموضع الصحيح. أدرتها مرتين ووضعتها بطريقة شبه ناعمة في نفس المكان الذي رفعتها منه. ولكن تركت لدي خينارو ذلك الانطباع المقلق بأنني ألقيت عليها لعنة أو شيئًا من هذا القبيل. عاد ليتقدم وعدل من وضعها وفقا لرغبته. تركت مكاني مجددًا على الخط وكررت نفس الأمر، ولكن هذه المرة تأكدت من أن يكون الأمر من خلف ظهر الحكم، وأثريت الأمر بالبصق سريعًا على الكرة. ذهب خينارو، والاشمئزاز يكسو وجهه، نحوها ثم مسحها في العشب وأدان ما فعلته أكثر من مرة أمام الحكم.

كنت أعرف حدود التسامح وشعرت بأنه يحتضن رغبة كبيرة في قتلي، لكن عدت للاقتراب بإيماءات مستفزة وطالبت بصوت مرتفع بحقوقي المُهدرة، وبينما ألمس الكرة مجددًا قلت لخينارو بنبرة لم يسمعها أحد سواه إن أخي سيتعادل بعدما أتصدّى لركلة الجزاء، وأنه سيضطرّ للانتقال إلى مدينة لاكوياكا من شدة العار الذي سيلحق به، وبأنني كأحد أساليب الإمتنان سأتوقف عن مغازلة رفيقته. اختار خينارو بالطبع سبي بأعلى صوت كما كان سيفعل أي رجل أمين وجيد التربية، ولكن بيريث عنفه بقوة وأرسلني مجددًا نحو خط المرمى بطريقة توحي بأنه لن يقبل تجاوزات أخرى.

في تلك اللحظة بدأت عجلة المعجزة في الدوران. راهنت على أنه سيسددها على اليسار تقريبا لكن بقيت منتصبًا. اعتاد خينارو تسديد الكرة بقوة دون أي فنيات لتخرج في ارتفاع متوسط. سددها بغضب ورغبة في

سحقي وإذلالي حتى أعمق نقطة في روحي المذنبة. كانت هناك لحظة من الذعر حينما شعرت بالكرة على أطراف قفازي. كان العنف الذي سددها به كافيا لكي يهيّأ لي أنها ستعبر بين يديّ. كان ظني صحيحًا، لكن تمكنت من تغيير مسارها، فبعد لوي معصميّ اصطدمت الكرة بالقائم وارتدت على بعد حوالي عشرين سنتيمترًا من خط المرمى. استجمعت قواي في الوقت المناسب للإمساك بها وأيضا لكي يدهس خينارو بوزنه البالغ خمسة وتسعين كيلو عظامي ورأسي ومفاصلي. احتسب بيريث مخالفة وهتف: «العب».

لم أتوقف للاستماع لصيحات السعادة من جماهيرنا. استجمعت نفسي على قدر المستطاع وبحثت عنك بائسًا. كنت في منتصف الملعب خاليًا بصورة تامة من الرقابة. كانوا يعودون فاقدي التركيز، كأنهم عاجزين عن تصديق اضطرارهم لتأجيل صرخة النصر. أرسلتها لك بشكل سيّئ بالمناسبة، لكن لأنك كنت في حالة إلهام روضتها من لمستين، رفعت رأسك لتمررها لابن نابولي الذي ركض مثل السهم على اليسار وأرسل عرضية جميلة بالمقاس إلى المنطقة إلّا أن أحدهم تمكن من إبعادها لركنية.

هذه هي الفرصة الأخيرة. نظر بيريث بالفعل إلى ساعة يده وهو يرغب في إنهاء الأمر. ذهبنا جميعًا في انتظار العرضية. ذهابي كان رمزيًا. إذا اختارتني الكرة حينها لم أكن لأوجهها برأسي بالدقة الكافية، ففي مركزي يدافع المرمى عني، لكن بعيدًا عنه الأمر يتعلق بالأقدام. أرسل ابن نابولي مجددًا العرضية، لكنها هذه المرة كانت أطول وبدأت هبوطها تقريبًا عند منتصف المنطقة. كانت الشمس قد غابت وباتت رؤية الملعب والكرة صعبة، لكن لأنها مُعلّقة في الهواء كان الأمر أكثر وضوحا. شاهدتها تعبر فوقي دون أمل، حينما وصلت عندك أعتقد أنها لم تكن سوى شبح.. مجرّد صوت. قد يبدو نسياني للأمر طوال هذه السنوات كذبة، لأنني حينما أتقدم الآن في بحر الذاكرة تتراكم أمامي التفاصيل باستمرارية مذهلة، فهناك تحديدًا بينما ظننت أن الكرة ستمر

ويشتتها أحدهم ليطلق بيريث صافرته، أكملت المعجزة دائرتها الأسطورية.

ظهر القميص رقم خمسة وساقان تحلقان بتناسق: اليسرى فى علو وبعدها اليمنى لتأتي لاحقا المقصية المزدوجة وسط الفراغ والظلال البيضاء لتغير الطريق ومسار التاريخ للأبد، لتسافر وتدوي بغموض ساحر فوق رؤوس لا تصدق ما حدث وتتخطى بالكاد يد حارس مرعوب يشك في أنه لن يلحق بالكرة، يشك في أنها ستسقط للأبد داخل شبكة ستظل مهزومة حتى نهاية الزمان، لأن النتيجة ستصبح هدفًا لمثله، لأنها ستخلد في الذاكرة. لأن هذا كان المطلوب لتوليد الطاقة للركض وتسلق السياج الحديدي والارتماء على النجيل للبكاء من فرط السعادة، لكي أجدك وأحتضنك في عناق صامت ومنتحب، ولكي تدب روح الحياة من جديد في كاميرا العجوز نابولي ليكمل مجموعته من صور سجل الحشرات، وتنبعث تلك الإشارات البذيئة والهتافات المتكررة من مئة حنجرة وذلك الصخب السعيد في منتصف الملعب وطوافه لاحقًا بعيدا عن جماهير أصحاب الأرض لتجنب بصقهم.

في ليلة أمس، بذلك الوجه المجنون وتلك القبضة التي أفسدت ملابسي، أرجعتني عشرين عامًا للوراء حينما كان عمرك خمسة عشر عامًا وكنت أكبرك بعام. أرجعتني لإيمانك الأعمى ولنقطة مقصيتك المزدوجة الأسطورية، البطولية، المفاجئة، القادرة على تغيير مسارات القدر المحتوم. لم نرغب أمس في الحديث عن هذا الموضوع معًا، لكن استشعرت إدراكك أننا تذكرنا وفكرنا في نفس الأمر. شرعنا في البكاء وكل منا يحتضن الآخر كامرأتين، بل وسال المخاط من أنفينا لبرهة من الزمن حتى دفعتني لأسقط على الفراش قبل أن تأمرني بتركك وحدك والرحيل حتى لا يقلق البقية. أطعتك لأنه بين ظلال غرفتك، شاهدت عينيك تمتلآن بالحنق والغل وذلك الغضب الأعمى، وشعرت بالهدوء.

قضيت الليلة في كنيسة المستشفى أصلي ورأسي تتمايل من شدة النعاس لكن دون استسلام. بمجرد أن اصطحبوك لغرفة العمليات، توجهت للكافتيريا لتناول قهوة باللبن مع الكرواسون. أخذت معي آنيتا. كانت المسكينة مُحطمة. لم أخبرها بكل تأكيد عن أي شيء مما جرى ليلًا، لأنني ظننت أنه في ظل كل ما يدور داخل رأسها الآن، فإنها ستنفجر في وجهي لو بدأت في نفض التراب عن قصص قديمة. لم أخبر البقية أيضًا بأي شيء. تركتهم يعودون لمراسمهم الجنائزية المتنقلة التي ارتجلوها هذه المرة في قاعة الانتظار بجوار غرفة العملية. تركت الساعات تمر وأنا أواسي آنا والأولاد وأتمتم بتجارب عن تخطي الصعاب والصلابة.

لم أقل شيئًا حتى حينما خرج ريفاس مُنهكًا، حينما أخذ آنيتا من ذراعها وسمعته باكية ومذهولة وممتنة وغير قادرة على التصديق، ولا حتى حينما تحدث وحرك يديه وترك شعره المتناسق يتبعثر، ولا حتى حينما وصل صوته للحاضرين، ولا حتى حينما سمعت أصوات التعجب الخافتة أو الضحكات الصغيرة الخجولة التي تبحث عن ضحكات أخرى لتتواطأ معها وتتحول إلى قهقهة وصراخ سعيد، ولا حتى حينما أحضرت آنيتا ريفاس أمامي لكي أسمع الأمر من بين شفتيه.

حينها أيضًا لم أقل شيئًا ولكن بكيت من فرط الجمال. بكيت من شدة المشاعر بكل تأكيد، لكن ليس من هول المفاجأة السعيدة التي لم يكن يصدقها بعد أو يثق فيها خوسيه وميرتا والأولاد وآنيتا نفسها. لو كنت في مكانهم لتفاجأت، فهذه بالنسبة لهم هي المعجزة الأولى، وهم في النهاية لم يعيشوا تلك المباراة الملحمية. لم يطوفوا أمام إستوديانتيل على ملعبه بفضل مقصّيتك المزدوجة.

كانسينو المجنون

(روبرتو فونتاناروسا)

لتصبح لديك فكرة عن أي نوع من اللاعبين كان عليه هذه الفتى، يكفي فقط إخبارك أنه كان يلعب باكيًا. لا أقول باكيًا لأنه كثير الشكوى أو الاحتجاج أمام الحكام أو أي من هذه الأشياء التي منحت الأرجنتينيين شهرتهم كأطفال. «كانسينو المجنون» كان يبكي بشكل حقيقي، بحرقة، بينما تتساقط الدموع والكرة بين قدميه. لقد شاهدته. ربما يبدو أمرًا مثيرًا للضحك ولكن صدقني، كان أمرًا عجيبًا.. كيف يمكنني وصفه؟ كان شيئًا يدفع للحزن.

كان كانسينو يدخل للملعب في قمة الجدية، لا أعرف إذا كان في قمة التركيز أم لا، لكنك تراه صارمًا يقطب جبينه بنظرة تائهة فوق البساط الأخضر كأنه لا يبالي بمنافسيه أو حتى الجموع التي ذهبت للملعب. أقول لك إنه في ذلك الحين كانت جماهير كثيرة -بل كثيرة للغاية- تذهب لملعب سبارتا. كانوا يمتلكون فريقًا كبيرًا ضمّ كلًّا من تالاموني «الأمريكي» وأورونيو «الأسمر» وسباستيان درابو الذي انتقل لاحقًا لراسينغ والحارس أوليدو «البجعة» وآخرين ضاعوا من ذاكرتي، لكن سأتذكرهم لاحقًا، إلا أنّ الأبرز -بلا أدنى شك- كان كانسينو.. كانسينو «المجنون».

حينما تسير المباراة بصورة عادية، أو بكلمات أخرى دون تأخر في النتيجة، كان كانسينو يبدو طبيعيًا هادئًا ومطمئنًا. يقبع هناك في مركز رأس الحربة. يشارك في اللعب قليلًا ويُطالب بالحصول على الكرة بين الفينة والأخرى بأسلوب المهاجمين القدامى أصحاب القدم اليمنى. أولئك الذين لا يميلون للعب على الأطراف. يُعطي انطباعًا بأنه بارد بعض الشيء، أو كأن المباراة لا تعنيه كثيرًا، لكن إذا سجل المنافسون وتقدموا في النتيجة، فإن كانسينو كان يبدأ في البكاء.

لن أقول لك إنه كان يبدأ في البكاء بصورة مفاجئة أو بغتة، بل إن ملامح وجهه كانت تتبدل لتتسارع أنفاسه ويقطب جبينه وتتعلق أنظار الجماهير به أكثر من المباراة نفسها لأنهم يدركون أن كانسينو سينهار باكيًا. كان أمرا مأساويًا للغاية.. اسمح لي أن أكررها على مسامعك مجددًا.. مأساويًا للغاية!

«تحمل يا كانسينو. الأمر ليس كبيرًا يا مجنون. التعادل قادم. لا تبك». كانت هذه الهتافات تُوجه له من المدرجات لأن الجماهير لم تتحمل رؤيته بهذا الحزن، لكنه كان ينفجر باكيًا مثل الأطفال. اسمح لي أن أخبرك بأن كانسينو حينما لعب لسبارتا كان عمره قد اقترب من الثلاثين، ربما كان لديه ثمانية وعشرين أو تسعة وعشرين عامًا.

أقسم لك بأنه حينها -بعد التأخر بهدف- كان يتحرك لمنتصف الملعب كأنه لا يقوى على انتظار وصول الكرة للأمام. ينزل إلى هناك ويبدأ في قيادة دفة اللعب دون التوقف عن البكاء. كان يبكي بحرقة. رؤية هذا الفتى بهذه الشاكلة كانت مؤسفة. مشاهدته يركض بالكرة وهو يرفع رأسه محاولا العثور على زملائه، أو وهو يقفز متفاديًا تدخلات الخصوم، باكيًا، بمخاط سائل وفم مفتوح ووجه ملون من كثرة المجهود وعروق عنقه على وشك الانفجار كان أمرًا يفطر القلوب.

هناك أمر ملحوظ: لم يعرف الحكام كيفية التعامل معه! لا يوجد أي بند في اللائحة يمنع أحدًا من اللعب باكيا. عدم توجيه السباب؟ هذا أمر تتضمنه اللائحة وأيضًا الامتناع عن الصراخ في وجه الحكام أو تجاهل الإصابة (أو كما يحدث الآن بمنع مواصلة اللعب إذا ما كان أحدهم يدمي)، لكن اللائحة لم تقل شيئًا حول لاعب يبكي، لهذا كانوا يتركونه. أتذكر ذلك الحكم ضخم الجثة، الإنجليزي ماكينسون، الذي حينما شاهده للمرة الأولى حاول مواساته بعدما أصبحت مُقلتاه هو الآخر شديدتي الحمرة ومغرورقتين بالدموع -بالتأكيد سبق وشاهدت أناسًا تبكي عند رؤية آخرين ينتحبون- أوقف المباراة وتحدث معه بعدما جذبه من كتفه بصورة أبوية، لكن تصرفه لم يكن مجديًا. تمالك كانسينو نفسه للحظة. حاول التنفس بعمق وكبح نحيبه، لكن بمجرد استئناف اللعب بدأ مُحياه يكتسي بملامح العويل قبل الانفجار فورًا في البكاء. يمكن تخيل أن الأمر لم يرق كثيرًا لمشجعي سبارتا لأنهم باتوا مثار ضحك بقية الجماهير، بل ضحكهم وسخريّتهم، لدرجة أنهم أطلقوا على أنصار سبارتا لقب «البكّائين» بسبب كانسينو.

ولكن في هذه الأثناء -وعلى جانب آخر- كانت تلك اللحظات هي التي يتمكن فيها كانسينو، المُحبط من التأخر في النتيجة، من نسج أكثر المعجزات تفطيرًا للقلوب -أقصد الأمر من الناحية الكروية- فحينها كان يستحيلِ مالكًا للكرة ليعادل النتيجة ببساطة مدهشة. يراوغ أربعة أو خمسة منافسين. يقوم بحركات لم أر بعده أحدًا يفعلها. كان قادرًا على تعديل نتيجة مباراة بمفرده، حتى لو كان فريقه خاسرًا بثلاثة أو أربعة أهداف نظيفة. بعدها حينما يتعادل سبارتا كان يهدأ. أقول لك إنه لم يكن يصرخ حتى بعد تسجيل التعادل. حسنًا، كان يحتضن زملاءه بكل تأكيد ثم يمسح عينيه بكم قميصه أو بمنديل عفن يحتفظ به في جواربه. أحيانًا كان الحكام أنفسهم

يجلبون له منديلًا، بل وإنني شاهدته ذات مرة يمسح عينيه براية الركنية بعد رفع عرضيّة فرضت التعادل.

«مستوى مقاومة منخفض في مواجهة المِحَن».

هكذا عرّف الدكتور سواريث حالة كانسينو، حينما استفسرت منه بدافع القلق عن الأمر، لأن المسألة كانت بلا شك تهمني كصحفي رياضي في جريدة (الديمقراطية) الصباحية. استشرت سواريث بالمثل وربما بترتيب مختلف للأمور، حول إذا ما كان كانسينو يتفرد بحالة بدنية شاذة تولد قدرته على المراوغة. أتذكر تماما إجابة الدكتور سواريث طبيب سبارتا:

«أحيانًا يوجد عيب خلقي ينتج فارقًا كبيرًا بين فصي المخ، ما يولد إدراكًا مختلفًا لمفهومي الزمن والمكان وهذا يسبب -في بعض الحالات- علاقة مُغايرة في عملية التوازن، لهذا يقدر كانسينو على أداء بعض الألعاب الهوائية الخطرة واستعادة وضعه العمودي بصورة مستحيلة بالنسبة لبقية البشر الفانين».

كان لا بد من وجود تفسير من هذا النوع لأن ما يفعله الفتى لم يكن اعتياديًا. لم يكن قانون الجاذبية قائمًا بالنسبة له، وأحيانًا كان المرء ليشك في أنه يكتنز رادارًا مثل الوطاويط يجنبه الاصطدام ببقية الأغراض الصلبة. كان يمر بين غابة من السيقان في مسار متعرج دون لمسهم ويغير زاوية ركضه كلما حاولوا كبحه، بل ويعدل من حجم جسده كأنه سائل، كأنه مخلوق زئبقي، في سعيه لتجنب أي صدام.

بكل تأكيد، كان لا يمكن توقعه ولهذا أطلقوا عليه لقب «المجنون». قد ينطلق فجأة نحو مرماه كأنه فقد الإحساس بالاتّجاهات، مثل تلك السلاحف التي فقدت البوصلة الجينية التي تقودها نحو البحار عقب

الانفجارات الذرية. يصل أحيانًا بالقرب من خط المرمى ويرسل عرضية إلى الجانب الآخر من الملعب، أي خارجه، لتنفجر الكرة إثر اصطدامها بالسياج الحديدي. لن أقص عليك المرات التي كان بغتة يهمس فيها بأشياء أو يتحدث مع نفسه أثناء ذهابه للملعب وحتى دخوله للنفق. لم يتجرأ أحد على قول شيء له لأن كانسينو، فوق كل هذا، كان وديعًا للغاية. شديد الطيبة والالتزام. أقول هذا بعدما ذهبت مرتين لإجراء مقابلة معه في المران ولبى طلبي بكل حرارة، لكن ما كان أيضا واضحًا وملحوظًا هو أنه ليس طبيعيًا بصورة كاملة. أو لنقل أنّني بدأت في ملاحظة ما كان يتطور داخل كينونته والذي تمخض في النهاية عمّا آلت إليه الأمور.

كان أول تقرير مصور أجريه معه هنا في فندق «إيطاليا» بوسط المدينة حيث اعتاد أن يمر. أتذكر أننا جلسنا لتناول فنجانين من قهوة بينما يتهرب من نظراتي. من ضمن التفاصيل الأخرى التي أتذكرها تمامًا -لأنها أذهلتني بشدة- هو أنه كان يتعرق. يتعرق بغزارة على الرغم من كوننا في قلب الشتاء. وجهت له سؤالًا ولم يجبني. لم ينبس ببنت شفة. بدأ يُحدق فيّ بطريقة تبعث على الضيق. اعتقدت أنه لم يرغب في الإجابة على هذا السؤال الذي لا أذكره وكان بلا شك اعتياديًا وغبيًا، مثل أين ولدت أو شيء من هذا القبيل. حاولت حينها توجيه سؤال آخر، لكن تكرر الأمر. اخترت سؤالًا ثالثًا مباشرًا وخطرًا ومزعجًا: هل تعتقد أنّ سنّي يتجاوز العشرين عامًا؟ مع السؤال الخامس عدّل كانسينو من مجلسه على المقعد وأشار لي نحو أذنه اليسرى قائلًا:

- حدّثني من هذه الجهة، لأنني لا أسمع شيئا من الناحية الأخرى.

كنت أحاوره عبر أذنه الصماء! بعدها تمكنت من إجراء المقابلة وأذهلني بكونه رجلًا مثقفًا للغاية. حدثني عن الصعوبات التي يجب على شاب

ينتمي للطبقة العاملة تخطيها للولوج للمستويات الأولى في النظام الرياضي، والمجهود الاحترافي والدقيق الذي تتطلبه صناعة كرة قدم ونسبة اللاكتوز المرتفعة الموجودة في لتر من الحليب البقري، بل وإعادة بناء مدينة القسطنطينية عقب تدميرها على يد الحملة الصليبية الرابعة للأراضي المقدسة.

كان يشرد قليلًا أثناء الحوار. أعترف بهذا لكنه كان أمرًا شيقًا. أخبرت الطبيب سواريث لاحقًا بمسألة الأذن وأيد أن هذا النوع من العجز السمعي يؤثر بدرجة كبيرة على إحساس التوازن، ذلك الموضوع الذي تحدثنا مسبقًا عن علاقته بمسألة المراوغة. كان هناك شيء غير موصول داخله ولهذا السبب، وقع شرخ في توازنه أو قصوره الذاتي ليجعله شخصًا لا يمكن توقعه.

تمكن سبارتا في تلك البطولة الإقليمية عام 1937، بفضل كانسينو، من احتلال أحد المراكز الأولى وهو الأمر الذي لم يسبق له تحقيقه بتاتًا، لكن مع اقتراب المرحلة النهائية ازدادت تصرفات كانسينو غرابة. لم يبد مطلقًا عنيفًا أو عدائيًا، لكن دائمًا ما بدرت منه تفاصيل خارجة عن المألوف يشوبها العُجب. يخرج للملعب على سبيل المثال بمنشفة ملفوفة حول عنقه كأنه أنهى في التو واللحظة اغتساله. بعض الحكام كانوا يجبرونه على خلعها، فيما كان آخرون يتظاهرون بعدم ملاحظته. لم يكن أمرًا لا يمكن الانتباه إليه، على الرغم من أنني أحدثك عن حقبة أدار فيها الحكام المباريات وهم يرتدون البِدَل، بل إن الحراس كانوا أحيانًا يستخدمون قبعات «سومبريرو» مصنوعة من الجوخ على هيئة عيش الغراب. في تلك الفترة بدأ كانسينو يسمع أصواتًا. أكد استماعه لأصوات تُحدثه بلغات أخرى وأغرب شيء أنه كان يسمعها بأذنه الصماء. كانوا يعتنون به بشدة في سبارتا. يحتفظون به للمباراة النهائية. أتحدث عن المهندس ويرنيكي رئيس النادي على وجه الخصوص. أخبرني ذات مرة بكل قلق:

- أنا من أحضرته للنادي. حينما تعاقدت معه كانوا يُطلقون عليه لقب «المجنون». ذلك اللقب الذي دائمًا ما يخص لاعبي الجناح الأيمن، لكن لم أكن أعرف أنه مجنون حقيقي.

كان قلق ويرنيكي، الذي أحب كانسينو كثيرًا، في محله، ففي الأسبوع الذي يسبق المباراة النهائية أمام ديبورتيفو فيديرائيون، تدهورت حالة كانسينو. عثروا عليه ذات ليلة يسير عاريًا بين شرف المجمع السكني الذي يقطن به. قال إنه كان يتدرب. كان يسير في شارع كوردوبا وهو يشير بإبهامه نحو السماء بينما تتحرك شفتاه كأنه يتحدث لكن دون إخراج أي صوت. لم يقل أحد شيئًا لأنهم دائمًا ما تعرّفوا عليه، والسبب وراء هذا أنه كان يسير دائمًا مرتديًا قميص سبارتا أسفل البذلة وربطة العنق. أدركت قبل يومين من المباراة أنهم اصطحبوه لمستشفى المجانين. كانت مسألة محسوبة للغاية. فُعلت سرًّا حتّى لا يصل الأمر للعامّة. كانت النية هي علاجه وإعادته لرشده لكي يصبح في خير حال يوم الأحد. علاج سريع، سأصفه الآن بكل تأكيد كعلاج قائم على الصدمة. ذهبت لرؤيته يوم السبت بفضول إنساني أكثر من الصحفي. أُحدثك عن حقبة كانت شهية الصحافة لأكل لحوم البشر منخفضة. لم يكن هناك اندفاع نحو الفضائح والأنباء الرنانة. لو لم يكن الأمر هكذا.. كم من صحفي كان ليعطي ما لا يمتلكه مُطلقًا للحصول على هذا السبق الذي كشفه لي رئيس النادي بنفسه؟

توجهت حينها إلى أوليفيروس حيث يوجد مصح عقلي صغير. وجدت كانسينو هناك. أخضعوه لعلاج بالصدمات الكهربائية أشاط كل شعره تقريبًا. كان يمتلك شعرًا كثيفًا يضرب إلى السواد وحينما وصلت كانت الأبخرة لا تزال تتصاعد منه. يمكنك تخيل أنه، في تلك الفترة، لم يكن هناك معرفة كاملة بالتحكم في الطاقة الكهربائية وهذا النوع من العلاج كان

يُمارس بأسلوب بهائمي. يوصلون به بعض الأسلاك ويبللون ملابسه لنقل التيار بصورة أفضل ثم يبدأون في هزه. أربع أو خمس مرات كانت ضرورية. أخبرني الطبيب المسؤول عن المنشأة بأنهم حقنوه بصبغة الأفيون وخلاصة الزيزفون بل والزئبق لتهدئته. أخبرني أيضًا بشكل لا يقبل الشك أن ممارسة كرة القدم ساهمت في تدهور إعاقته الذهنية، أو التضارب بين فصي المخ، الذي حدثني عنه سواريث. قال لي الطبيب تحديدًا:

- في كل مرة يسعى هذا الفتى للعب رأسية وينفذها، فإن القشعريرة العصبية الناتجة عن الصدام تزحزح قليلا التناسق بين الفصين، ليزداد حجم الشرخ بينهما.

كان كانسينو يبدو هادئًا ووديعًا على أي حال. يتمشى مبتسمًا بين بقية المرضى في تلك الحديقة الصغيرة الموجودة بالمستشفى. تعرف عليّ فورًا وعاملني بود كبير. أخبرني بأنه سيلعب في اليوم التالي بل وأنه في خير حال. سألني إذا ما كنت أعرف لغات أجنبية، لأنه ظن أنه استمع إلى صوتي -داخل دائرة الأصوات التي كان يُنصت إليها- يحدثه بالبرتغالية. أجبته بالنفي فأنا للأسف لا أتحدث سوى الإسبانية. كأحد دلائل الرشد، سألني بخصوص تشكيل فريق ديبورتيفو فيديراثيون في اليوم التالي، وإذا كان وصل إلى البلاد على متن منطاد هيندنبورغ[1]. هذه كانت هفوة سيئة لأن فيديراثيون كان أحد الأندية المحلية، من رولدان. لكني تقبلتها داخل الإطار العام.

توجهت في اليوم التالي، الأحد، نحو الملعب. عدد الجمهور كان رهيبًا. هي المباراة النهائية. أعتقد أنني سبق وقلت هذا. خرج كانسينو «المجنون» مع باقي الفريق، ما أثار غبطة هائلة بين مشجعي سبارتا، لأن شيئًا ما حول مسألة

---

1. منطاد ألماني شهير لنقل الركاب تحطم عام 1939 أثناء هبوطه في مطار ليكهرست في نيوجيرسي بعد انطلاقه من فرانكفورت.

المستشفى قد تسرب مع شائعات حول احتمالية عدم مشاركته. كان بعض الدخان مايزال يتطاير منه -أو هكذا بدا لي- وإن كان من الممكن أن يتعلق الأمر بالبخار الذي يتطاير من اللاعبين لتعرقهم أثناء الإحماء وخروجهم لبرد الشتاء. على النقيض كان هناك شيء مؤكد. لاحظت نوعًا من عدم الاتساق في تحركاته. رسم إشارة الصليب -لم أعرف أنه كان كاثوليكيًا لهذه الدرجة- عبر لمس جبهته وكتفه وفخذه والركبة اليمنى والكتف الآخر. بعدها كانت هناك تلك الرعشة في وجهه، مثل ذلك الانقباض الذي يحدث لوجوه الأطفال حينما يشربون شيئًا شديد الحموضة، لكنه بخلاف هذا كان جيدًا.

المشكلة أنه بمجرد انطلاق المباراة، تمكن فيديراثيون سبورتيفو من التسجيل. هكذا وبكل بساطة بعد صافرة البداية. وبكل تأكيد، سواء كان قد تعافى أم لا أو تحت السيطرة أم خارجها، فإن «المجنون» بدأ في البكاء، ما تسبب في ضحك وسخرية وتهكم جمهور الخصم الذي وصل بأعداد كبيرة. كان شيئًا متناقضًا لأن كانسينو-كما سبق وقلت- حينما يبكي يركض أكثر من البقية ويحاول أن يصبح أقوى من الجميع كي يراوغ كل منافس يقف في طريقه، إلا أن كل مجهوده ذهب هباءً ومع اقتراب نهاية الشوط الأول، سجل فيديراثيون الهدف الثاني. كان الفريق الأقوى. البحث عن تفسير غير هذا يعد انتقاصًا من الحقيقة لأنه هكذا وبكل بساطة كان الفريق الأقوى. بدأ الشوط الثاني. «المجنون» منطلق. يبكي ويرسل عرضيات. يبكي وترتد كرته من القائم. يبكي ويراوغ الخصوم وفي الدقيقة العشرين نفّذ لعبة بربريّة ودخل المرمى بالكرة. أصبحت النتيجة الآن 2 - 1.

وسط كل هذا، بينما كنت أتشبث بالسياج الحديدي، بالقرب من منصة الصحافة والقيادات وبين هتافات الجموع، سمعت صافرة. التفت وشاهدت من خلف الملعب سيارة إسعاف تتقدم سريعًا وفورًا دخل ممرضان

للاستاد مع الطبيب الذي تعرفت عليه في مصح أوليفيروس وركضوا جميعا نحو منصة المهندس ويرنيكي. اقتربت حينها، على الرغم من خطورة اعتبار أنني أدس أنفي. سمعت الطبيب يقص على المهندس أن كانسينو قتل أحد المرضى في المستشفى. يفترض أنه ذبحه ليلًا بقطعة من الزجاج، إلا أنه أخفى جثته أسفل فراش غرفته حتى اكتشف المرضون الأمر في وقت الظهيرة، بعدما سُمح لكانسينو بالفعل بالعودة إلى روساريو للعب المباراة. كان يجب حبسه بصورة فورية لخطورته الكبرى. هذا هو ما قاله الطبيب. تأملت وجه الرئيس وتفهمت فورًا الصراع العاطفي الحاد الذي كان يكتسحه في تلك اللحظات. كان بقاء كانسينو عنصرًا جوهريًا لتحقيق التعادل وبالتالي الفوز بالبطولة. طلب حينها من الطبيب -بل ترجاه- أن يمنح كانسينو عشر دقائق أخرى من الحرية. وافق الطبيب لأنه، من ناحية يحب كرة القدم، ولأنه أيضًا على الصعيد الآخر ينتظر وصول الشرطة للسيطرة على كانسينو.

بعدها بعشر دقائق، بل عشر دقائق بالضبط، نفذ كانسينو لعبة استثنائية أخرى صنع بها هدفًا لباليخا مولينا. هو رأس حربة ضخم وفظ لكنه دائمًا ما تحلى بالقدرة على هز الشباك. سجل مولينا الهدف وبصورة آلية اقتحمت كل جماهير سبارتا الملعب من أجل الاحتفال. كان هذا هو التوقيت الذي استغلت فيه الشرطة والمرضان ونحن أيضًا الأمر للركض إلى حيث شكل لاعبو سبارتا كومة للاحتفال. أعتقد أن تصرفنا جاء بفعل العناية الإلهية. حينما وصلنا لجبل اللاعبين، وجدنا كانسينو، أسفل اثنين أو ثلاثة منهم، بوجه محمر، ممتقع، يخنق ستورام، ستورام القصير، الظهير الأيمن لفريقه بسلك غسيل معدني.

قفز المرضان فوقه ورجال الشرطة بل والرئيس نفسه من أجل احتوائه. اتهمت الصحافة، التي لم تكن تعرف شيئا، الشرطة بعدها بإظهار انحيازها

والانضمام لاحتفال التتويج باللقب. المهم أنه وسط كل هذا الزحام البشري، تمكنوا من إخراج كانسينو والتوجه به نحو النفق. لم تُستكمل المباراة. كان هناك جمع هائل من البشر داخل الملعب وكل ما تبقى كان مجرد دقيقتين. ووسط صخب الجمهور استمعت لصافرات الإسعاف والشرطة تبتعد. كانت هذه المرة الأخيرة التي أتمكن فيها من رؤية كانسينو. أعلن النادي لاحقا أنه بِيع إلى مونتفيديو، بل وكانت هناك شائعات أنه تقاعد عن ممارسة كرة القدم، ولكن الأمر الوحيد الحقيقي أن أحدًا لم يعرف شيئا عنه.

خُلد كبطل. هذا صحيح. اذهب بنفسك واسأل مشجعي سبارتا القدامى عن كانسينو «المجنون» وكل منهم سيملأ فمه بكلمات الثناء حينما يتحدث عنه. شعرت بإغراء أكثر من مرة للذهاب نحو أوليفيروس. كان يساورني شك بأنهم احتجزوه هناك، لكن أنت تعرف ما تستحيل إليه هذه الأشياء بمرور الزمن. ينشغل المرء بأمور أخرى وفي النهاية لا يذهب أبدًا.. يا لك من جناح أيمن يا «مجنون». يا لك من جناح أيمن!



أطول ركلة جزاء في العالم
(أوسبالدو سوريانو)

رُكلت أروع ضربة جزاء أعلم قصتها في مكان ضائع بوادي (ريو نيغرو) بالأرجنتين عام 1958 في مساء أحد أيام الأحد على ملعب بدون جمهور. إستريبا بولار كان ناديًا للبلياردو ولعب الأوراق، مجرد حانة للسكيرين في شارع غير ممهد ينتهي عند ضفة النهر، امتلك فريقًا لكرة القدم يلعب في بطولة الوادي لأن أيام الأحد خلت من أي شيء يمكن فعله، بينما تُزيح الرياح الأتربة من على الجدران وحبوب اللقاح من على البرك الصغيرة. اللاعبون هم دائمًا الأشخاص نفسهم أو أشقاء الأشخاص نفسهم. حينما كان عمري خمسة عشر عامًا، كانوا في الثلاثين من عمرهم تقريبًا إلا أنهم بدوا لي كعُجّز. دياث، الحارس، كان عمره أربعين عامًا تقريبا وتساقط شعره الأبيض على جبهته كأحد السكان الأصليين.

تتكون البطولة من ستة عشر فريقًا ودائمًا ما أنهاها إستريبا بولار متأخرًا عن المركز العاشر. أعتقد أنهم احتلوا المركز الثالث عشر في 1957 وعادوا إلى منازلهم فرحين، وقمصانهم الحمراء مثنية بصورة جيدة في حقائبهم. لم يكن لدى كل منهم سوى قميص واحد فقط. بدأوا موسم 1958 بالفوز على (إسكودو تشيلينو)، أحد الأندية البائسة الأخرى. لم يلفت هذا انتباه أحد، على نقيض ما حدث بعدها بشهر، بعدما فازوا بأربع مباريات متتالية

ليتصدروا البطولة. بدأت قرى الوادي الاثنتى عشرة تتحدث عنهم. الانتصارات كلها بهدف واحد لكنها كافية لكي يتراجع ديبورتيفو بيلغرانو، البطل الدائم الذي لعب له باديني وكونستانتي غاونا وتاتا كارديليس، للمركز الثاني بفارق نقطة واحدة. أصبح إستريبيا بولار مثار الحديث في المدارس والحافلات والميادين، لكن لم يتخيل أحد أنهم سينهون الخريف باثنتين وعشرين نقطة، مقابل إحدى وعشرين نقطة لفريقنا.

كانت الملاعب تمتلئ عن آخرها أملًا في مشاهدتهم يخسرون ولو لمرة واحدة. كانوا في بطء الحمير وثقل خزانات الملابس، لكنهم اعتادوا مراقبة خصومهم رجلًا لرجل وإصدار حشرجة أشبه بقِبَاع الخنازير من أنوفهم إذا فقدوا الكرة. كان مدربهم يرتدي دائمًا بذلة سوداء ولديه شارب صغير منمق وجبهة دائرية وتجد دائمًا عقب لفافة مطفأة في فمه. يركض بجانب خط التماس ملوحًا بعصاه الخيزرانية كلما مر لاعبوه بجانبه. كان الجمهور يتسلى بالأمر، أما نحن -من كنا نلعب أيام السبت لصغر سنّنا- فلم نجد تفسيرًا لكيفية فوزهم بالمباريات إذا كانوا بهذا السوء.

كانوا يوجهون ويستقبلون الضربات بكل إخلاص وحماس، لتنتهي المباراة بهدف نظيف ويستند كل منهم على الآخر للخروج من الملعب وسط ثناء المشجعين ليلحقوهم بزجاجات النبيذ البارد فوق الأرض الترابية. يحتفلون ليلًا في ماخور سانتا آنا ولتيثيا السمينة، التي اشتكت دائما من التهامهم لبقايا الدجاج الموجودة في الثلاجة. كانوا أحد مصادر الجذب وسُمح لهم في القرية بكل شيء. يجمعهم العجائز من الحانات حينما يفرطون في الشرب ويثيرون المشاكل، فيما يهدي الباعة الألعاب والحلوى لأطفالهم، بل وإن رفيقاتهم كن يسمحن لهم بمداعبات ما فوق الركبة في دور السينما. لم يتعامل معهم أحد بجدية خارج قريتهم، حتى حينما فازوا على أتلتيكو سان مارتين بهدفين.

وسط حالة النشوة -كما يحدث دائمًا- خسروا في ملعب باردا ديل ميديو وبعد انتهاء الدور الأول تنازلوا عن الصدارة بعدما ردهم ديبورتيفو بلجرانو لوضعهم بسبعة أهداف. حينها اعتقدنا جميعا أن الأمور بدأت تعود لمجراها الطبيعي، لكنهم فازوا في يوم الأحد التالي بهدف نظيف واستمروا في ابتهالاتهم المجتهدة وانتصاراتهم القبيحة. حينما حل الربيع كانوا على بعد نقطة واحدة فقط من البطل. كانت المباراة الأخيرة تاريخية بسبب ركلة الجزاء. امتلأ الملعب عن آخره وأسطح المنازل أيضًا. كان الجميع ينتظر من ديبورتيفو بيلغرانو تكرار سباعية الدور الأول. كان يوما منعشًا مشمسًا وبدأت ثمار التفاح تتلون على الأشجار. جلب إستريبا بولار معه أكثر من 500 مشجع استولوا على مدرج كامل عنوة واضطر رجال الإطفاء لإخراج خراطيمهم لإجبارهم على الصمت. إرمينيو سيلفا هو الحكم الذي احتسب ركلة الجزاء. كان مريضًا بالصرع ويبيع تذاكر السحوبات الخاصة بأصحاب الأرض، لذا كان الجميع يدرك أنه خاطر بعمله حينما وصلت المباراة للدقيقة الأربعين من الشوط الثاني دون احتساب ركلة جزاء تكسر التعادل بهدف لمثله، رغمًا عن كل «غطس» وسقطات وقفزات لاعبي ديبورتيفو بلجرانو في منطقة إستريبا بولار. التعادل كان يضمن لأصحاب الأرض التتويج وإرمينيو يرغب في الحفاظ على احترامه لنفسه وعدم احتساب مخالفة دون وجود خرق حقيقي للائحة، لكن في الدقيقة الثانية والأربعين فُغرت أفواهنا حينما سدد الجناح الأيسر لإستريبا بولار ركلة حرة بعيدة وضعتهم في المقدمة بهدفين لواحد. حينها فكر إرمينيو سيلفا بالفعل في وظيفته وأطال المباراة حتى دخل باديني للمنطقة فأطلق صافرته بمجرد اقتراب أحد المدافعين منه. حينها فقط أطلق صافرة حادة ومصطنعة واحتسب ركلة جزاء. في ذلك الزمان لم تكن نقطة التسديد محددة ببقعة بيضاء، بل يجب عد اثنتي عشرة خطوة. لم يتمكن إرمينيو سيلفا حتى من الإمساك بالكرة لأن كولو ريفيرو

الظهير الأيمن لإستريبا بولار طرحه أرضًا بصفعة على أنفه. كان الشجار طويلًا لدرجة أن الليل خيم دون إخلاء الملعب أو حتى إفاقة إرمينيو سيلفا. أمر مفوض الشرطة -والمصباح مُضاء بين يديه- بإلغاء المباراة وإطلاق الرصاص في الهواء. فرضت القيادة العسكرية في هذه الليلة حالة الطوارئ، أو شيئًا من هذا القبيل، بل وأمرت بتسيير قطار لطرد أي شخص قد تبدو على ملامحه أنه ليس من أهل القرية.

قضت محكمة الدوري، التي اجتمعت يوم الثلاثاء، بأنه تنقص عشرون ثانية في المباراة بداية من تنفيذ ركلة الجزاء -ذلك النزال الفردي بين المسدد كونستانتي غاونا والحارس دياث «القط»- على أن تلعب يوم الأحد التالي على نفس الملعب خلف الأبواب المغلقة. بهذه الطريقة استغرقت ركلة الجزاء أسبوعًا لتصبح الأطول عبر التاريخ، إلا إذا ما كان لدى أحدهم أنباء أخرى تقول عكس هذا. تغيبنا يوم الأحد عن المدرسة وذهبنا للقرية المجاورة بدافع الفضول. كان النادي مُغلقًا بينما اجتمع كل الرجال في الملعب القائم بين جدران مغطاة بالقش. شكلوا صفًا طويلًا لتسديد ركلات الجزاء على دياث «القط» بينما يحاول المدرب ذو البذلة السوداء والجبهة الدائرية إقناعهم بأن هذه هي أفضل طريقة لتدريب الحارس. في النهاية كانوا جميعًا سددوا وتمكن «القط» من التصدي لكرات بعضهم لأنهم ركلوها بصنادل وأحذية الشارع. كان هناك جندي قصير وصامت يقف في الصف. سددها ببيادته العسكرية لينتزع الشبكة تقريبًا. حينما حل المساء عادوا للقرية وفتحوا النادي وبدأوا في لعب الورق. لم يتحدث دياث طوال الليلة وشعره الأبيض الخشن معقود للخلف حتى قال بعد العشاء، واضعًا عود أسنان في فمه:

- كونستانتي يسدّد ركلات الجزاء دائمًا على اليمين.

أجابه رئيس النادي:

- دائمًا.

- لكنّه يدرك أنّني أعلم هذا.

- في هذه الحالة، قل على الدنيا السلام.

أجابه «القطّ»:

- ولكن أنا أعلم أنه يدرك هذا.

قال أحد الجالسين على الطاولة:

- حسنا اقفز نحو اليسار وينتهي الأمر.

أجابه «القط» دياث قبل أن ينهض عن الطاولة ليتوجّه لفراشه:

- لا. هو يعلم أنّني أعلم أنه يدرك هذا.

حينما شاهده رئيس النادي يخرج مفكّرًا بينما يسير بتؤدة قال:

- «القطّ» يزداد غرابة بمرور الوقت.

لم يذهب للمران يوم الثلاثاء ولا الأربعاء أيضًا. حينما عثروا عليه يوم الخميس وجدوه يسير على قضبان القطار ويتحدّث مع نفسه بينما يتبعه كلب بذيل مبتور. سأله عامل ورشة الدراجات بشغف «هل ستتصدّى لها؟»، فأجابه متسائلًا «لا أعرف. أيّ فارق سيصنعه الأمر؟».

- سنتوج أبطالًا يا «قطّ». سنضرب شواذ بيلغرانو على مؤخراتهم.

أجابه قبلما يُصفر للكلب لكي يعود لمنزله:

- أنا سأتوج حينما تقع شقراء آل فيريرا في غرامي.

كانت شقراء آل فيريرا تعمل في محل الخردوات يوم الجمعة حينما دخل العمدة حاملًا باقة من الزهور بابتسامة عريضة مثل صندل مفتوح.

- إنّها من «القط دياث» وحتى يوم الاثنين سيكون رفيقك العاطفي.

- يا له من رجل مسكين.

قالتها وهي تقطّب جبينها دون النظر حتى للزهور التي وصلت من مدينة نيوكين مع حافلة العاشرة والنصف.

ذهبا معا في المساء للسينما وأثناء الاستراحة خرج «القط» للتدخين في البهو تاركا شقراء آل فيريرا وحيدة أسفل الإضاءة الخافتة وحقيبتها فوق تنورتها، بينما تقرأ برنامج الحفل مئة مرة دون رفع بصرها. طلب «القط» دياث يوم السبت استعارة دراجتين وذهبا للتنزه على ضفاف النهر. حينما حل المساء رغب في تقبيلها لكنها أشاحت بوجهها وقالت له إن هذا -رُبما- يحدث في الحفل الراقص ليلة الأحد بعد تصديه لركلة الجزاء، فسألها:

- وكيف سأعرف؟

- كيف ستعرف ماذا؟

- إذا كان يجب عليَّ الارتماء على هذا الجانب أو ذاك.

أمسكته شقراء آل فيريرا من يده وذهبت به إلى حيث تركا الدراجتين وقالت:

- في هذه الحياة لا يُعرف أبدا من يخدع من.

- وإذا لم أتصدَّ لها؟

- سيعني هذا الأمر أنك لا تحبني.

أنهت الشقراء الحديث بهذه العبارة وعادا إلى القرية.

خرجت من النادي، في أحد ركلة الجزاء، عشرون شاحنة محملة بالبشر لكن الشرطة أوقفتهم عند مدخل القرية واضطروا للبقاء على أحد جانبي

الطريق لينتظروا أسفل وضح النهار. في ذلك الزمان والمكان، لم تكن هناك إذاعات أو طريقة لمعرفة ما الذي يدور داخل ملعب مُغلق، لدرجة أن أنصار إستربيا بولار شكلوا شبكة بريد بين الملعب والطريق. صعد عامل ورشة الدراجات فوق سطح يُرى منه مرمى «القط» دياث ومن موقعه كان يقص ما يحدث على الفتى الذي بقي بجوار السور والذي كان ينقل بدوره ما يحدث لآخر على بعد عشرين مترًا وبهذه الصورة كانت تصل كل التفاصيل لأنصار إستربيا بولار. خرج الفريقان في الثالثة ظهرًا إلى الملعب بأطقم كاملة كأنهما سيخوضان مباراة فعلية. ارتدى إرمينيو سيلفا زيه الأسود. باهت اللون لكنه كان نظيفًا، وحينما اجتمع الكل في منتصف الملعب توجه مباشرة إلى كولو ريفيرو الذي صفعه يوم الأحد الماضي وطرده من الملعب. لم تكن البطاقات الحمراء ابتكرت بعد وأشار إرمينيو بيده المرتعشة التي تتعلق منها الصافرة نحو بوابة النفق. أخرجت الشرطة كولو، الذي كان يرغب في البقاء لمشاهدة ركلة الجزاء وتوجه الحكم حينها نحو المرمى واضعا الكرة بين يده وفخذه وعد اثنتي عشرة خطوة ثم وضعها. كان «القط» دياث قد صفف شعره بالصمغ لذا لمعت رأسه كوعاء من الألومونيوم. نحن شاهدنا الأمر من وراء السور المتداعي الذي يحيط بالملعب، من خلف المرمى تحديدًا. حينما وقف كونستانتي غاونا عند الخط الجيري وهو يفرك يديه العاريتين، بدأنا في الرهان على الجهة التي سيسدد فيها.

انسدت الحركة المرورية على الطريق وأصبح الوادي بأكمله معلقًا بهذه اللحظة، فقد مرت عشر سنوات على آخر مرة خسر فيها ديبورتيفو بيلغرانو البطولة. كانت الشرطة هي الأخرى ترغب في معرفة ما سيحدث، لهذا تركوا سلسلة المُعلّقين التي امتدت لأكثر من ثلاثة كيلومترات لتصل الأخبار من فم إلى آخر دون فاصل بينها بالكاد وسط الأنفاس المضطربة. تمكن إرمينيو سيلفا في الثالثة والنصف من إخراج قيادات الناديين والمدربين وقوى القرية

الحية من الملعب وبعدها اقترب كونستانتي غاونا لتعديل وضعية الكرة. كان رشيقًا ذا عضلات بارزة وحاجبين كثين كأنهما يقطعان وجهه لنصفين. سبق وسدد هذه الركلة -كما قص لاحقا- لمرات عديدة لدرجة تسمح له بلعبها في كل لحظات حياته سواء كان نائمًا أم يقظًا.

في الرابعة إلا ربع وقف إرمينيو سيلفا في منتصف الطريق بين المرمى والكرة. وضع الصافرة في فمه وأطلقها بكل قوة. كان في قمة التوتر والشمس قد لحفت قفاه حينما طارت الكرة نحو المرمى. شعر الحكم أن عينيه تهتزان في محجريهما وسقط على ظهره بينما يسيل لعابه من فمه. تقدم دياث خطوة للأمام وارتمى نحو اليمين. خرجت الكرة تلتف في الهواء نحو منتصف المرمى على ارتفاع متوسط وخمن كونستانتي غاونا على الفور أن «القط» دياث سيلحقها في الوقت المناسب بساقه ليشتتها جانبًا. فكر «القط» في الحفل الراقص ليلًا، في المجد المسائي وفي أن أحدًا سيركض ليطيح بالكرة لركنية لأنها بقت تتقافز داخل المنطقة. كان ميرابيلي «القصير» هو أول الواصلين وشتتها نحو الخارج، نحو السياج الحديدي ولكن الحكم إرمينيو سيلفا لم يتمكن من رؤيته لأنه كان على الأرض يتلوى من نوبة الصرع. حينما ركض كل فريق إستريبا بولار نحو «القطّ دياث»، انطلق حامل الراية نحو إرمينيو سيلفيا رافعًا إياها ومن وراء الحائط المتداعي الذي نجلس خلفه سمعناه يهتف «ليس صحيحًا. ليس صحيحًا». طار النبأ بغبطة من فم إلى فم: تصدّي «القطّ» وإغماء الحكم، وعلى الطريق فتح الكل زجاجات النبيذ وبدأوا في الاحتفال، حتى وصلت عبارة «ليس صحيحًا» بين لعثمة ألسن الُرسل الذين اكتست وجوههم علامات الاندهاش.

لم يحصل أحد على رد نهائي حتى نهض إرمينيو سيلفا واقفًا على قدميه بوجه مُمتقع من هول النوبة. كان أول ما سأله هو «ما الذي حدث؟» وحينما

قصوا عليه، أمر بإعادة ركلة الجزاء لأنه لم يكن حاضرًا للحظة اهتزاز الشباك واللائحة تقول إنه لا يمكن اللعب في ظل إغماء الحكم. حينها أبعد «القط» دياث من كانوا يرغبون في ضرب بائع سحوبات ديبورتيفو بيلغرانو وأخبره بأنه يرغب في إنهاء المسألة، فهذه الليلة أمامه موعد ووعد، ثم توجه مجددًا إلى أسفل المرمى. يبدو إن ثقة كونستانتي غاونا قد اهتزت، لأنه عرض على باديني تسديد الركلة ثم توجه بعدها بنفسه نحو الكرة، بينما كان حكم الراية يساعد إرمينيو سيلفا على الوقوف ثابتًا. سُمعت أبواق الاحتفال من الخارج وبدأ لاعبو إسترييا بولار في الانسحاب من الملعب محاطين بالشرطة.

سُدّدت الكرة نحو اليسار وارتمى «القط» دياث على نفس الجانب بأناقة وثقة لم يتحّل بها بتاتًا بعدها. نظر كونستانتي غاونا للسماء ثم انفجر باكيًا. قفزنا من فوق السور المتداعي وتوجهنا للنظر لدياث عن قرب. كان العجوز الضحم ينظر إلى الكرة بين يديه كما لو أنه أمسك بكنز ثمين. بعدها بعامين، حينما بات هو حطامًا وأصبحت أنا شابًا وقحًا، وجدته على بعد اثنتي عشرة خطوة. رأيته ضخمًا متأهّبًا يقف على أصابع قدميه، ويفتح أصابع يديه الطويلة. كان يرتدي في يده خاتم الزواج، ليس من شقراء آل فيريرا بل شقيقة كولو ريفيرو، والتي كانت هندية وعجوز مثله. تجنبت النظر في عينيه وتظاهرت أنني سأسدد باليمنى ثم وضعتها باليسرى على ارتفاع منخفض، مقتنعًا بأنه لن يلحق بها لأنه بات متخشبًا بل ومُثقلًا بالمجد. حينما ذهبت لأخذ الكرة من داخل المرمى، كان «القط» دياث ينهض مثل كلب ضُرب للتو بالعصا قائلًا:

- حسنا يا فتى. يومًا ما حينما تصبح عجوزًا، ستسير مغرّدًا هنا وهناك بأنك سجّلت هدفا في «القط» دياث، لكن حينها لن يتذكّرني أحد.



مونتيس في باحة منزله

(إدواردو ساتشيري)

يلقي إريبيرتو مونتيس نظرة على المطبخ المفكك الخاوي كأنه يبحث عن إشارة أخيرة قد تردعه عن قرار الانتحار. لم يجدها أو ربما رفض إخضاع إصراره الصلب للغاية للمراجعات المؤسفة والمتأخرة، لهذا يجر خطواته نحو غرفة الطعام ويُخرج مسدسه من الدرج الأخير بمكتبة التلفاز. يسير مجددًا عبر منزله ويخرج للباحة من الباب الخلفي. يعتقد أن إنهاء الأمر في الخارج سيكون أفضل، ففي الداخل سيدوي صوت الطلقة في منازل الجيران مثل انفجار أنبوب غاز. لا يرغب مونتيس في إفساد قيلولة أحدهم.

ستتضاعف الخسارة في الداخل، فعلى الرغم من أن المنزل أشبه بالأنقاض مع بقع الرطوبة المنتشرة على الجدران والسقف وقطع الأثاث المهملة، إلا أن إضفاء مشهد انتحار مُفزع عليه سيصبح تخطيًا للحدود، لذا من الأفضل أن يتم الأمر في الخارج.

يجرّ مقعدين من البلاستيك حتى ذلك المربّع التُرابي الذي كان يوما ما بستانًا لوالدته، لكنه استحال الآن إلى أرض بائرة، ليثبتهما في الأرض جيدًا. يترك سلاحه على المقعد الأيمن قبل أن يلقي بنفسه على الأيسر وفي ظهره يقبع سور الجيرة المشترك الذي لم يُجصص بعد، بينما ينظر إلى الباحة.

تكتسي السماء بلون رمادي. إنها تلك الدرجة التي لا تهدد بهطول الأمطار، بل بالبقاء فقط من أجل زيادة عتمة الأشياء. يتساءل مونتيس إذا كان مهتمًا بمعرفة المعنى الذي يكمن خلف هذه الأجواء، لكنه يقرر في النهاية أن الأمر لا يعنيه. لا يوجد شيء مهم في كل هذا. يفكر في المسألة وينظر نحو المسدس. يشعر بقدر من الاندهاش البسيط بعدما تبينت شكوكه: إنه مايزال يفكر. كان قد افترض العكس، أي أنه حينما سيشرع في تدوير خطة تصفية ذاته، فسيتحرك بإيقاع مخدر غير مبال، كإنسان آلي، بل إن وعيه سيتراجع بالكامل ليترك مساحة ممتدة ومستوية تملؤها رغبة عمياء واحدة وهي الضغط على الزناد، لكن الأمر لم يكن هكذا، لأنه مايزال يفكر.

يغرد عصفور في أجواء قيلولة الأحد الرمادية. مايزال يدرك واقع الأصوات. هذه السيارة على سبيل المثال التي تسرع بعد عبور الملف. لا بد وأن كاتم الصوت بها مثقوب، لهذا تصدر تلك الفرقعة بعد تعديل التعشيقة من الثاني إلى الثالث. يحرك شفتيه لكن ما يرتسم على وجهه ضعيف للغاية ليحتسب كبسمة.

لحظة حرجة مثل هذه وهو يبدد جانبًا من وعيه للعب دور الميكانيكي الخبير! حسنا فهناك إذن لمحة تتبقى لديه من خمسة عشر عامًا قضاها في إدارة الورشة. نعم ولا! يمكن قول هذا. صحيح أنه كان ميكانيكيًا، لكن بنفس الطريقة التي كان بها كثير من الأشياء التي لم يكنها. يلمس بأطراف أصابعه كعب السلاح كنتيجة طبيعية لما كان ينسجه بخياله. ابنٌ على سبيل المثال. كان ابنًا لهذا المنزل. لم يعد كذلك بالمناسبة. ليس لديه أحد يُصبح ابنًا له. يقول مونتيس في داخله إن هذا الأمر لحسن حظه، خاصة في ظل وجود أب كهذا وأم كهذه. لا لا.. المهم أنه لم يعد ابنًا. ربما تكون هذه هي الميزة الوحيدة لعيش طفولة مرعبة: نوع من الحنين للماضي الذي تقل معه المعاناة. ذات مرة

بدا لمونتيس طريفًا -حينما كانت هناك أشياء ماتزال تبدو له طريفة- الاستماع لأولئك البشر الذين يستدعون فردوس الطفولة المفقود بدموع وأنوف سائلة. بالنسبة لمونتيس لم يعن له هذا الأمر شيئًا. النضج كان يعني بالنسبة له وقبل أي شيء الابتعاد عن رعب الطفولة، الابتعاد عن أن يكون طفلًا بهذه الشاكلة.. أن يكون طفلًا هنا، في هذا المنزل وبين هذه الجدران. كان النضج بالنسبة له بمثابة منفذ ضيق، بل سباق محموم للتقدم على صيرورة الزمن نفسه والتحرر. يا للأسف على كل شيء! يا للأسف على الركض من أجل لا شيء، لينتهي الأمر في باحة المنزل نفسه والمسدس على المقعد المجاور وقرار الانتحار مساء هذا الأحد.

يتذكر مونتيس أنه قرأ ذات مرة عن مدى وحشية ليالي الأحد على المحبطين. شيء عن زيادة جذرية في أعداد المنتحرين، عن أسوأ لحظات الأسبوع. لم يشعر مونتيس أبدًا بالراحة للدخول في الإحصائيات الجماعية، لهذا يشعر بالبهجة لأنه قرر عدم انتظار تسحب الليل الماكر، وبحركة مليئة بالطاقة، كأنه يبدد كل تردده، أمسك بسلاحه وتفحص، في حركتين، الخزانة الدائرية للتيقن من أنها محشوة. ارتدت الخزانة لمكانها بصدى تردد في سكون ساعة القيلولة بشكل مثالي. مثالي تقريبًا لقول الحقيقة. كان هذا ما لاحظه مونتيس بنوع من الضيق.

يسمع من بعيد شيئًا أشبه بضوضاء. صوت متردد له إيقاعه، شيء أشبه بالمعدن أو ربما هو صوت بشري. لا يقدر على تمييزه. تهب نسمة خفيفة ومفاجئة وتحرك الهواء حول مونتيس لتهز شعره. هو طويل ومتشابك ومبعثر. ليس قذرًا لكنه ليس مهندمًا. يجب أن يكون قد مرّ أسبوع على أخر مرة صففه فيها. يتذكر بشكل مفاجئ خوفه المأساوي إبان مراهقته من الإصابة بالصلع، ليس لأي سبب قد يتعلق بالنواحي الجمالية، بل المرارة

التي كانت تصيبه حينما يشعر أو يرى في ذاته أي وجه شبه يجمعه بوالده. لم يحدث هذا. يبلغ عمر مونتيس ثلاثة وأربعين عامًا، وعلى الرغم من أنه لا يمتلك الكثير، إلا أنّ لديه وفرة في الشعر. هو شعر كثيف مائل للرمادي تهزّه نسمات الهواء المفاجئة.

إنه صوت الراديو. تلك الضوضاء المعدنية التي تضايقه. يصل صوت الراديو جليًا بفضل نسمة الهواء. هي كرة القدم. أحد الجيران يستمع لمباريات مساء الأحد بصوت منخفض بعض الشيء، كي لا يزعج النائمين، أو من ينفذون تحركات دقيقة ومؤسفة قبل انتحار وشيك. يحدث مونتيس نفسه بهذا الأمر ساخرًا. تنقل الرياح أثير البث الإذاعي لمباريات الأحد. يُميز بوضوح الأصوات الثلاثة التي لا يمكن تجنّبها، فها هم المعلق والمحلل والمذيع، وبين الحين والآخر تتداخل أصوات أخرى؛ تلك القادمة من بقية الملاعب أو الأستوديوهات الرئيسية. يدرك مونتيس هذا لأنه من ضمن الذكريات التي يحملها مدفونة داخل جسده، فكما كان ابنًا وكما كان ميكانيكيًا، كان أيضا مشجعًا لفترة طويلة وبحماس كبير. كان هذا في الفترة التي كان فيها العيش، على أقل تقدير، يؤرقه. عاش مسألة التشجيع كهروب متوحش للابتعاد عن أي إرث أبوي. كان والده يولي أهمية ضئيلة لكرة القدم، واصفًا إياها بأنها حُمى الحمقى وشغف الجهلة. منذ فترة طويلة وفي الاجتماعات العائلية، حينما لم يتركوا له خيارًا، كان يعتبر نفسه مناصرًا معتدلًا لبوكا جونيورز، وربما لهذا السبب فإن مونتيس لم يكن مشجّعًا فاترا بل شغوفا، لراسينغ وليس بوكا.

كان مونتيس في حقبة المراهقة على استعداد لدفع كل مدخراته لكي يصبح والده أقل برودًا، ليمنحه فرصة الاشتباك معه في نقاش مشجعين يواجه كل منهما الآخر ويتنمران ويمزحان -ولم لا؟- ليتبادلا الكره، إلا أنه لم يمنحه حتى هذه الرغبة. لم تجر الأمور بالصورة التي كان مونتيس

يأمل حدوثها في هذا الصدد. راسينغ من ضمن الفرق التي تلعب الآن. هو واحد من ضمن الفرق التي تلعب بينما يُجهز هو هذه الأغراض في باحته من أجل الانتحار. لا يعرف مونتيس أسماء اللاعبين لأنه توقّف منذ فترة طويلة عن التشجيع. تقريبًا كل الأسماء إن صح التعبير مجهولة بالنسبة له، لكن بما أن المعلق يتحدث عن مباراة كلاسيكو مُغلقة لا يمكن لأي من غريمي مقاطعة أبيانيدا الأبديين التقدم فيها، يفهم مونتيس أن الفريقين هما راسينغ وإندبنديتي. يتساءل، بما أنه على وشك الانتحار بالرصاص -وبينما يخوض الفريق الذي أحبه أكثر مبارياته الكلاسيكية كلاسيكية- إذا كانت هذه الفكرة تعني شيئًا بالنسبة له، ويتوصل إلى أن الإجابة هي النفي. الأمر موجود بداخله لكن لا معنى له. لا يوجد شيء مهم أو شيء يرتبط بشيء. لا يشعر بأنه في حالة جيدة للبحث عن رموز مخبأة خلف أي أمر، لأنه كما كان مشجعًا لراسينغ، كان ابنًا وميكانيكيًا، بل وكان أيضًا والدًا وزوجًا. كان هذا منذ وقت أقل. لا يهم في الوقت الحالي أي من هذه الأشياء. يخبر نفسه بعزاء ساخر بأنه على أي حال سيصبح عدمًا في غضون دقيقتين. هو عدم كامل ومتكامل، لذا فإذا كان هناك شيء داخل مونتيس يصر على الحفاظ على كينونته، فمن الأفضل أن يسرع في إلقاء الوداع لأن هذا الشيء، وأي شيء، على وشك أن يتعرض لتصفية شاملة.

يرفع مسدسه ويلصق الفوهة بصدغه. هل سيكون الأمر جيدًا بهذه الصورة؟ أفقيًا؟ أم من الأفضل أن يطلق الرصاص على نفسه بزاوية صاعدة لكي تخرج الطلقة نحو الأعلى باتجاه الجزء العلوي من الجمجمة؟ تهبّ نسمة أكثر قوّة ويشعر مونتيس بالبرد. إنّ الجسد البشري مثير للفضول: تسري قشعريرة في جسده بسبب الرياح لكنه حينما ألصق فوهة سلاحه برأسه منذ عشر ثوان لم يتأثر إطلاقًا. يا له من جسد غبي لا يقدر على تمييز مكان الخطر

الحقيقي! حسنًا.. يفكّر مونتيس في الأمر: يبدو أنه وجسده يتشابهان كثيرًا في مسألة الغباء.

يتواصل صوت الراديو جليًا بفضل النسمة التي تصيبه بقشعريرة في جسده. يجهل مونتيس إذا كان راسينغ يهاجم أم يدافع، لأن عدم معرفته بألقاب اللاعبين لا تمكنه من استخدامها كمرجعية. لأي فريق يلعب (فورلان) هذا؟ لم يذهب للملعب منذ سنوات ولا يتذكر حتى ما هي المباراة الأخيرة التي حضرها. هكذا كانت صيغة موت الحب الضخم الذي شعر به ذات مرة، شأنه شأن بقية أشكال الحب الأخرى. يجلس بهدوء لدرجة أن عصفورًا صغيرًا يهبط لينقر النجيل بالقرب من قدمه اليمنى. شعر دائمًا بالحزن من فشله في عقد صداقات مع الطيور. كان مونتيس في طفولته يشعر بأن الطيور تعامله بشكل ظالم. لم يلق عليها أبدًا أي حجارة أو يجهز لها خدعة، بل على النقيض: فكم من مرة اقترب منها بابتسامة ساذجة ويدين مبسوطتين في نغمة سلام؟ لم تصدقه الطيور أبدًا. كانت تهرب دائمًا، سواء عاجلًا أم آجلًا، في رحلة طيران مذعورة لتتركه وحيدًا. يهز مونتيس قدمه اليمنى قليلا لإفزاع العصفور. يختفي العصفور بعد رفرفة جناحيه. يرى مونتيس أن الوضع هكذا أفضل، أن يطرده ويشعر أنه هو صاحب القرار في إنهاء هذه المحاكاة الكاذبة لوجود صُحبة مشتركة. لهذا السبب -أو بدون أي سبب- يعيد بصره نحو المسدس. لا يتذكر أنه تركه على المقعد المجاور. حسنا لا يهم! مد يده وعاد ليقبض عليه.

كانت مباراته الأخيرة في ملعب الثيليندرو[1]، مساء أحد أيام الأحد وساد التعادل السلبي أمام أرختنينوس جونيورز. هذه كانت آخر مباراة

---

1. المسمى الذي يطلقه أنصار فريق راسينغ على ملعبهم واسمه الرسمي «استاد الرئيس خوان دومينغو بيرون».

حضرها في الملعب. لم يذهب بعدها أبدًا. أربعة عشر أو خمسة عشر عامًا. لا يهم هذا، الطريقة ذاتها التي لا يهم بها إن كان روتشا هذا يحرس مرمى إندبندينتي أو أن من يحمي عرين راسينغ يدعى كامبانجولو. هناك أحد لاعبي راسينغ يدعي لوسيشبور. كيف له أن يُدعى لوسيشبور؟ هذا الاسم يبدو كأحد أنواع الجبن السويسري أكثر من كونه اسم لاعب كرة قدم! ينقطع هذيانه لأن التعليق الإذاعي يظهر فيه امتداد تلك الـ«واو» الحادة والمستمرة. «جوووول» لإندبندينتي. يتحقق مونتيس من أمر: فورلان لا يلعب لراسينغ وروحه لا تزال تتسع لحزن جديد. الحياة مثيرة للاشمئزاز. ليس مونتيس في وضع يسمح له بالسعادة من أي شيء، لكن أي شيء قادر على إصابته بالألم، مثل حماقة خسارة آخر كلاسيكو يعاصره. الحياة بهذه الطريقة ليست عملًا مربحًا، لهذا من الأفضل أن ينتحر وينهي الأمر. يُمسك السلاح بيده اليمنى للمرة الثالثة أو الرابعة منذ خروجه للباحة. يعود العصفور لكنه لا يتجرأ على الهبوط على النجيل. يمكث فوق سور الجيرة ويغرد.

يلاحظ مونتيس أن تغريد العصفور يذوب في الصمت. والراديو؟ هدأت الرياح ولا يسمعه لهذا السبب؟ لا. لا تزال النسمة تهب لكن صوت الإذاعة اختفى. ربما يكون جاره من مشجعي راسينغ وانتهى به الأمر مُحطمًا جهازه على الحائط، أو أنه ربما دخل به إلى منزله أسفل ذراعه، بل وربما -يسخر مونتيس من نفسه- يوجد منتحر آخر أقل ميلًا للمُلهيات نفذ رغبته الأخيرة، دون مواصلة الشرود مثله. حسنًا.. هذا الأمر بخصوص وجود منتحرين اثنين داخل نفس المربع السكني يبدو غير قابل للتصديق، فهو- مونتيس- يكفي ويزيد. من الأرجح أن الآخر قد ذهب. هذه الوحدة المطلقة أفضل، ففي النهاية يبدو أن الوحدة هي كل شيء.

لايزال العصفور باقيًا في مكانه بكل تأكيد. ربما لديه حدس يقول إن

النهاية قد اقتربت ولا يرغب في تفويتها. ربما العصافير قادرة على الشعور بهذا الفضول الوخيم والسقيم. ولم لا؟ يصوب مونتيس سلاحه نحوه ويتساءل إذا ما كان سينطلق طائرًا، لكن الطائر يمكث في مكانه. يتظاهر مونتيس بأنه سينتصب واقفًا وفي هذه اللحظة يهرب العصفور طائرًا. أحمق! لا يخشى من سلاح قد يحوله إلى أشلاء لكنه يرتعب من رجل يُعدل وضعيته على مقعد يجلس عليه منذ نصف ساعة. جسده نفسه أحمق هو الآخر لأنه تأثر بنسيم المساء وليس بفوهة سلاح ملتصقة بصدغه الأيمن.

صفر- صفر مع أرختنتينوس. كانت مباراته الأخيرة غالبًا في مايو وفي مساء مشمس. هذا أمر لا شك فيه، لأنه كان يجلس في المدرجات الجانبية والجماهير على يساره والمقصورة خلفه ويصنع من يده غمامة لكي يتمكن من الرؤية. صفر- صفر في مباراة مرعبة. لماذا يتذكر الأمر بهذه الصورة؛ إذا ما كان متيقنًا أن الأمر لا يهمه بأي شكل ملعون؟ يجب إنهاء المسألة وفورًا. لكن لماذا لا ينهيها؟ لماذا يظل حيًا حتى الآن؟ ينظر مونتيس إلى معصمه الأيسر لكنه يتذكر فورًا أنّه كان قد نزع ساعته، كأحد الشعائر التي قادته إلى هذا المقعد وهذه الباحة. خلع الساعة قبل غسل يديه. تركها فوق حوض دورة المياه. لماذا تذكرها الآن؟ لأي سبب نظر إلى الساعة في ذلك التوقيت؟ يندهش مونتيس من سخافة اندفاعه، لكن أمانته تُحتم عليه الاعتراف بأنه فعل هذا لاحتساب الوقت المتبقي على نهاية المباراة. إذا كان هدف إندبنديتني جاء قبل النهاية بأقل من ربع ساعة؛ فستكون هذه نهاية النهايات بالنسبة لمونتيس، كأن شيئًا مثل هذا قد يهم في تلك اللحظة المفصلية. هل راسينغ أشبه باستعارة عن حياته؟ التواجد من أجل المعاناة أو الوجود من أجل الانتقال بشكل مستمر من خيبة أمل إلى خيبة أمل جديدة. يمزح مونتيس مع نفسه بالتفكير في أنهما مرتبطان معًا -هو وراسينغ- فقط من أجل الآمال

التي لا تتم ومن أجل الانهيار. يتذكر أنه سمع العام الماضي شيئًا عن وجود إفلاس. لم يُعر الأمر انتباهًا حينها لكن يُمكنه تخيل الموضوع. ربما يكون النادي قد أفلس مثلما حدث لمونتيس نفسه منذ فترة. يبدو أن راسينغ لا يزال حيًا بفضل معجزة. حسنا.. هنا تنتهي أوجه التشابه بينهما لأن مونتيس ليس حيًا بفضل معجزة، بل لأنه متردد ولأنه لم يتخذ منذ وقت طويل القرار الذي اتخذه مؤخرًا في هذا المساء ولأنه لا يُفكر في الخضوع لاقتراعات بالية. ليظل راسنيج حيًا -إذا كان يرغب- أما مونتيس فلا. والقول بأنّ راسينغ «مايزال حيًّا» في الحقيقة يجب مراجعته قليلًا، لأنه مع مرور أكثر من ثلاثين عاما دون التتويج بالبطولة...

يتوقف مونتيس مستاءً. من وضع هذه الكلمات الساخرة في رأسه؟ إلى أي دابة غريبة قد استحال؟ هل وصلت به عداوة نفسه للدرجة التي تدفعه لإجراء مثل هذا التشريح لواحدة من أكبر قصص الحب التي شغلت فترة طويلة من حياته؟ حسنا.. هو بالفعل عدو نفسه، فهناك سبب ما يجعله يضع مسدسًا على ركبته. تخيم عليه فجأة ذكرى جديدة: مونتيس ذو العشر سنوات على رصيف منزله. هذا المنزل. المنزل ذاته. مونتيس ممسكا بكيسي وسائد، واحد في كل يد. مونتيس الطفل وهو يقفز. مونتيس وهو يهتف. يصرخ نحو المنزل ونحو الشارع. «هيا يا بطل». يهتف مونتيس ذو السبع سنوات ممسكا بكيسين في يديه، أحدهما أبيض والآخر أزرق[1].

الآن وفي الباحة. يبكي مونتيس. يبكي وحدته وهجرانه وسعادته الهاربة كفتى وحيد. يبكي فشله المستمر ومعيشته المروية بالألم والسخرية الدائمة. يبكي هذه الحياة التي ستنتهي مرة واحدة وإلى الأبد لأنه فاض به الكيل ولا يقدر على تحمل المزيد، ولأنه لا يتبقى في جسده وعلى جلده مكان وحيد

1. ألوان زي وشعار نادي راسينغ الأرجنتيني.

قادر على مواصلة تكديس المعاناة، ولكي تزداد الآلام -أو لكي تتضاعف السخرية- يعود صوت الراديو. يتساءل مونتيس لأي سبب ملعون قد عاد في الدقيقة الثانية والأربعين. لا يزال راسينغ يخسر مباراة الكلاسيكو بهدف نظيف. يتساءل مونتيس لأي سبب قد يستمع، لأي سبب قد يتعلق بمثل هذا الموضوع، في الدقيقة الثالثة والأربعين، أو لأي سبب قد يتعلق سمعه بظهير إندبندينتي الذي يؤخر اللعب حتى ينقضي الوقت. يتألم مونتيس أكثر بعدما اكتشف في الدقيقة الرابعة والأربعين ومع جملة هجومية لم تفض إلى شيء لصالح راسنيج، أن خسارة الأخير لا تزال تضايقه. يعيد مونتيس للمرة الخامسة أو السادسة المسدس إلى المقعد المجاور لأنه يحتاج ليديه فارغتين لسد مسامعه جيدًا، لكي يضغط بكل قوة على أذنيه ويستمع بهذه الطريقة فقط للضوضاء التي يُحدثها دمه أثناء سريانه في باطن يديه الملتصقتين بجمجمته، لكي يستمع لصوت أربطته وعظامه وعضلاته وهي تضغط على مسامعه، كما فعل أكثر من مرة حينما كان طفلًا وحينما كان كبيرًا، لكي لا ينصت إلى الأصوات التي آلمته طوال حياته، في هذا المنزل في سبيل المثال وفي نفس تلك الباحة. يعود صوت الراديو في الدقيقة الخامسة والأربعين لمونتيس الذي يتساءل لماذا يضع يديه بهذه الطريقة على مسامعه؟ ولماذا لا يمد يده اليمنى نحو السلاح ويلصق الفوهة في صدغه ويضغط على الزناد لتنتهي المسألة وتُكتب النهاية وكفى لكل شيء؟! كفى للمعاناة وكفى لاستمراريتها. ماتت كل الأشياء الجميلة وعلى الأقل فإنه مع الانتحار ستنقضي الأمور السيّئة أيضًا.

يخفف ضغط يديه لمدة ثانية بالكاد ثم يزيده مرة أخرى لكبح كل الأصوات مجددًا، لكن عبارة غير كاملة تتسلل لمسامعه. مجرد كلمات قليلة. «تمريرة علوية من فيتالي». كان هذا هو ما وصل إلى مسامعه. تمريرة علوية من فيتالي بحثا عن لوسيشبور هذا، الذي يمتلك اسما أشبه بالجبن السويسري. يدرك مونتيس أثناء جلوسه، وذلك السلاح بجواره، في الباحة أسفل السماء

الرمادية القذرة أنه -حتى ولو كان رجلًا بلا جدوى أو كان عارًا على ذاته- فإنه لن يقتل نفسه الآن لأنه ينتظر شيئًا ما. مايزال مونتيس يحلم بأن شيئًا ما سيحدث، لأنه على الرغم من أنه لا ينتظر السعادة أو استعادة كل ما فقده طوال حياته، فإنه يدرك أن أمرًا ما ينتظره. ينتظر مونتيس فقط أن يتعادل راسينغ. لا يمكن له الضغط على الزناد دون معرفة ما الذي سيحدث مع راسينغ وما الذي سيحدث لتمريرة فيتالي العلوية التي تبحث عن لوسشيبور، لأنه على الرغم من سخافة المسألة لا يمكنه تفادي التفكير في هذا الأمر: الرحيل بهذه الطريقة سيعد خيانة، أو الانسحاب من العالم في الوقت الذي يخسر راسينغ فيه مباراة الكلاسيكو. فجأة تبدو الأمور مربكة بصورة أكبر، لأنه إذا لم ينتحر الآن، فمتى سينتحر فعلا؟ لا يعرف ولأنه لا يعرف يشعر بالاستياء وهو تعهد مع ذاته بأنه اكتفى من هذا الشعور، لكن شيئًا بداخله يحدّثه عما إذا كان سيخفف من ضغط أصابعه ويستمع أم لا، وعن أنه إذا خسر راسينغ فليذهب كل شيء للجحيم سينتحر وتنتهي كل الأمور، ولكن إذا لم يسخر راسينغ فماذا؟ حسنًا.. لا شيء لكن ربما يكون لهذا الأمر معنى. سيقول مونتيس لنفسه إنه أحمق، لأنه إذا ما تعادل راسينغ لن يتغير شيء. لن ينصلح شيء. ولن يعيد له هذا التعادل كل ما خسره، لكن المُزحة الكبرى أن الأمر يهمه. حتى وإن كان لن يحل أي مشكلة فإن الأمر يهمه، وإذا كان يهمه فهذا يعني أن هناك شيئًا ما ينتظر، وإذا كان هناك شيء ما ينتظر، فيجب على مونتيس البقاء وإرجاع السلاح والمقعدين. يرتعش مونتيس، على الرغم من أنه في تلك اللحظة لم يكن يرتعش أمام هاوية الموت السوداء. يرتعش مونتيس لسبب مختلف وحزين، لكنه أكثر حياة، أكثر حياة بكثير من الموت. يرتعش بينما يخفف من ضغط يديه على مسامعه، يرتعش وهو يسمتع لصوت الراديو الذي يأتي له أخيرًا.. بالنتيجة.



مراقبة الطيور
(روبرتو فونتاناروسا)

يفتح المرء بابه ويخرج للشارع بينما يستعر جحيم داخل أحشائه. تمرّ فترة قيلولة الأحد في الخارج بصمت وسكون كأنّ شيئًا لا يحدث، ولا يحدث شيء يا أخي! لا يحدث شيء. فهي مجرّد مباراة أخرى، مجرّد مباراة بين آلاف المباريات التي لعبها فريقا روساريو[1] العريقين. أيتذكّر أحدهم أو يفكّر آخر كيف انتهت المباراة الأولى في عام 1875؟ أو حتّى المباراة الثانية؟ لا يعرف المرء مثل هذه الأمور ولا يتذكّرها. إنها مشاعر لحظية، عابرة، حادّة، بل إنها تميل للهروب، ألم عميق أو فرحة تغشي البصيرة، لكن مع اليوم التالي يرحل كل شيء. يختفي مثل الحصبة، دون أن يترك آثارًا مادية أو مرئية. لا يوجد أحد في الملعب بكلّ تأكيد. الـ(باركي)[2] شبه فارغ وستخرج صحيفة ما لتقول غدًا إن جمهورا قليلا حضر المباراة، أو إن الموسم المغاير للخصمين الأبديين والتوقعات بلعب مباراة سيّئة قد تنتهي بتعادل جديد كانا بلا شك سببًا في عزوف الجماهير. لا توجد أهمية لهذه المباراة. مع الخسارة، ستسود حالة من الغليان الحارق لفترة. حالة ممزوجة بتهكمات في غير محلها وربما

---

1. مدينة أرجنتينية تشتهر بولعها الشديد بكرة القدم وهي مسقط رأس نجم الكرة الأرجنتينية ونادي برشلونة الإسبانية ليونيل ميسي.

2. الاسم الذي يُعرف به ملعب فريق نيويلز أولد بويز الأرجنتيني.

بعض النظرات الوقحة لا أكثر ولا أقل، لكنها ستنتهي بالتعادل. تتبقى خمس وأربعون دقيقة تقريبًا، إذا كان الشوط الثاني قد بدأ. خمس وأربعون دقيقة ولكن.. كيف يمكن أن يتأخر مرور خمس وأربعين دقيقة فقط بهذه الصورة؟ كيف تتحول إلى حالة أبدية لا نهاية لها؟ السر يرتبط بعدم النظر للساعة، بل عدم النظر إليها أبدًا، لأنه حينما يُقدم المرء على هذا بغتة في انعكاس طبيعي ومفهوم من حيوان متمدن، يجد فجأة أنه قد مرت أربعون أو ثلاث وأربعون دقيقة ولا يتبقى شيء. دقيقتان بالكاد. تمران كتنهد، كوقت تافه، كديباجة بائسة تسبق إشارة الحكم المتغطرسة حينما يرفع يده اليمنى ويظهر للاعبين والمدرجات والعالم بأكمله أنه سيضيف دقيقتين فقط، وأنه لا يهتم مطلقا بضياع ثمان دقائق بعد مصادمات ومشاحنات وأنه مستعد لإنهاء الكلاسيكو في أقرب وقت ممكن، بنفس الهدوء الذي بدأ به المباراة دون مشكلات كبرى أو حالات طرد ظالمة. هكذا تسير الأمور، لكن أسوأ شيء هو أول عشرين دقيقة في الشوط الثاني. هذا هو الشر بعينه إذا ما فكر المرء جيدًا. فحينها لاتزال رغبة الفريقين في الحصول على نقطتين إضافيتين قائمة، وبالأخص صاحب الأرض. اللعنة! سينطلق ليهاجم بشكل إجباري لكونه صاحب الضيافة ولاعبونا حمقى دائمًا بالدرجة الكافية لفقد تركيزهم في أول عشر دقائق! يدخلون الملعب وهم نائمون. لا يفرضون رقابة جيدة وتهتز شباكهم بأهداف معتوهة بعد اصطدام الكرة بأجسادهم. أهداف حمقاء.. ما هذا؟ ما هذا؟ إنه صوت بوق قوي! اهتزت الشباك! أحدهم يحتفل! إذا ما سُمع صوت بوق آخر فلا مجال للشكوك، وحينها ستُقام الاحتفالات.. لم يحدث شيء وعاد الصمت.

يسير المرء ويلحظ دقًا مكتومًا. هكذا على هيئة «بوم بوم» تتصاعد جائرة بينما يختلج أحد جانبي صدره من الداخل وينعقد فمه. كيف تتأخر خمس

وأربعون دقيقة في المرور هكذا بحق الجحيم؟ إذا ذهب المرء مثلا لتناول الطعام أو فنجان من القهوة وجلس هناك يتحدّث ويسرح ببصره بين الناس، تائهًا غير مشغول البال، ثمّ ينظر إلى ساعته، فسيجد أنّ أكثر من ساعة قد مرّت، فكيف يستقيم إذن هذا الفارق في كثافة الزمن؟ الأمر أكثر من هذا؛ منذ فترة قليلة، لنقل أمس حتى لا نذهب بعيدًا، كان المرء يلعب بعساكره البلاستيكية في باحة منزله والآن وفجأة وبلا هوادة وصل إلى هذا العمر وتساقط شعر رأسه. كان منذ ساعات تحديدًا يجتمع مع أصدقاء الثانوية احتفالًا بنهاية العام الخامس. يشد على يد بوديستا ويمزح مع كاريلي وفجأة، في ظرف ثانية، أصبح هنا يتجول في شوارع الحي كطريد، كمتسول، كهارب من العدالة، يحاول تجاهل هذا الكلاسيكو الداعر أيًا كانت نتيجته ولو لمرة واحدة في عمره. أي نعم.. أيًّا كانت النتيجة! سواء فوز أو انتصار تعادل أو هزيمة، بل حتى تلك الأخيرة، لأن الخسارة حينما تُقبل، حينما تُثبت أوتادها، تغزو الجسد كدواء مر، لكنه مهدئ ومخدر. ما يقوض المرء من الداخل هو القلق. أسبوعان بل ثلاثة بل أربعة ينتظر فيها المرء اليوم الموعود. إنها جولة الثأر السابعة والأحكام الدائمة التي لا تقبل الاستئناف. تلك الكرة التي تتشكل داخل المعدة مع كل التعليقات التي تسبقها: مع مواجهة بيليث وعند مقارعة فيرو وفي مواجهة بوكا، حينما يقترب موعد الكلاسيكو. حفل المدينة.. حقًا؟ فليذهب حفل المدينة مع أمهاتكم المومسات للجحيم! سعيد هو ذلك الكلب الذي يعبر الشارع، تُسمع حتى أصوات خطواته المكتومة فوق البلاط، ليعكس صمت ساعة القيلولة. لا يعرف شيئًا عن كرة القدم. لا يعرف شيئًا عن الكلاسيكو. لا تهمه النتيجة بتاتًا. والآن ما هذا؟ أحدهم يصرخ. نعم هناك صرخة! من بيت قريب خرجت تلك الصرخة. هل هو رجل أم امرأة؟ إذا كانت امرأة فمن الممكن ألا يكون شيئًا قد حدث. ربما تُعنف ابنها. إذا كان رجلًا فربما هو هدف، لكن هناك نساء متعصبات بصورة فظيعة أيضًا،

بل وأيضًا هن الأسوأ بالأشياء التي يصرخن بها للاعبين في الملعب. إنه منزل متواضع، وبالتالي ربما يكون هدفا لثنترال. هذا الحي من معاقل ثنترال، لكن الآن الأمور كلها مختلطة. سابقا كان أنصار ثنترال من العامة ونيويلز أولد بويز من الأوليغاركية. يرى المرء الآن أثرياء يشجعون «لوس كاناياس»[1] وفلاحين لفحت الشمس أقفيتهم يناصرون «لوس ليبروسوس»[2]، بل والكثير من الأطفال يرتدون القميص الملون بالأسود والأحمر. لا يوجد إذن ما قد يؤكد أن صراخ السرور هذا يأتي من أحد أنصار ثنترال. لم يتكرر على أي حال. ينظر المرء لمحيطه كأحد السكان الأصليين القدامى. يتشمم الهواء ويُطقطق أذنيه ويدير رأسه بحثا عن أي مؤشرات في الأجواء. لا يمكن المعاناة بمثل هذه الطريقة، ربما الذهاب للملعب أفضل. يجلس المرء هناك في قلب المكان، في قلب الحدث نفسه كما يُقال، منغمسا وسط الحشود ليرى ما يحدث دون ضرورة لتخمين ما يقصونه، لكن يجب الذهاب مبكرًا حينما يبدأ الحجز. الوقوف والجلوس ثم الوقوف والجلوس، هكذا مرارًا وتكرارًا مع كل فرصة تهديفية حتى يقف الجميع للأبد مع نهاية المباراة. يتطلب الأمر -اللعنة- تدريبًا أكثر من اللاعبين أنفسهم. هي مهمة ثقيلة أيضًا بين الجموع المُتعرقة أسفل شمس الصيف القاسية. تتضمن مشاهدة عرض المجذومين المتدثرين بأعلام عملاقة يتقافزون ويهتفون كشياطين في المدرج المقابل، لأنه لا يمكن أن تذهب للملعب وتخاطر بالجلوس بجانب الأعداء، فبعدها تأتي

---

1. «لوس كاناياس» هو لقب فريق ثنترال ويعني «الأنذال». يرجع سبب إطلاق هذه التسمية على الفريق لعام 1920 حينما ظهر مقترح للعب مباراة ودية بين ثنترال وغريمه نيويلز أولد بويز لكي يخصص عائدها لصالح مرضى الجذام، لكن ثنترال رفض العرض ليظل هذا الاسم مصاحبًا له بسبب هذه الواقعة.

2. «لوس ليبروسوس» هو لقب فريق نيويلز أولد بويز ويعني «المجذومون». يرجع سبب إطلاق هذه التسمية على الفريق لعام 1920 أيضًا حينما ظهر مقترح لعب المباراة الخيرية مع ثنترال ليوافق نيويلز أولد بويز ويظل هذا المسمى مرتبطًا به منذ ذلك الحين.

الحقيقة، تلك الأخرى، وهي أنهم قد يلسعون مؤخرتك حينما تتواجد خارج أرضك سواء في لابومبونيرا أو غاسومترو[1] أو المونومنتال. هكذا جرت الأمور تاريخيًا كما أن العودة دائمًا شاقة، لكن أسوأ شيء هو المذياع. إنه أقبح بكثير من الذهاب للملعب. هو أشبه بالشجار مع شخص في غرفة مظلمة. يتولى المعلقون أمام المستمعين، بل وأمام المُعلنين قبل أي شيء آخر، مسؤولية إكساب طابع مأساوي للعرض. هذا الحفل الحقيقي لكرة القدم في روساريو، لهذا تخرج التسديدات دائمًا بعد أن تحف بالقائم وتكتسي التصديات بصفات إعجازية وتنتهي الهجمات في العمق برائحة هدف مهما اختلفت صورتها. يجب الاسترشاد حينها بتفجر هزيم رعد المدرجات، هناك، في الخلفية. تلك الهمهمة الغوغائية كخلفية لصوت المذيع. يسمع المرء صراخ «أوووه» وهو يتحول إلى «آآآه»، قبل أن يتمكن المعلق حتى من الصراخ قائلًا إن الكرة توجهت مثل الصاروخ نحو المرمى. يتفهم بالفعل أن الحظ أنقذنا أو أننا أهدرنا فرصة لا تُعوض. يستمع المرء لذلك الانفجار البعيد، بينما مازال المعلق يتحدث عن عرضية على وشك الإرسال، ليفهم أن لاعبهم الضخم قفز وأسكنها في شباكك. يرى المرء في الملعب على الأقل أين يركض الجناح وإلى أين ذهبت الكرة والمسافة الحقيقية بين مكان اللعبة والمرمى، وإن كان المذياع يتيح لك الاستماع لمباراة أخرى وانتظار انتقال الميكروفون لروساريو. مباراة ريفر وسان لورينزو على سبيل المثال التي ستنقل في كل لحظة المشاعر الحية بملعب (باركي اندبندثيا)، في نسخة جديدة لواحدة من أعرق المباريات في كرتنا، لكن الأمور في الراديو دائما ما تكون أسوأ والقلب أعزل أمام سيف النبأ المميت. سابقًا على الأقل ومثلا مع فيورافانتي –فارس الإذاعة الرياضية–

1. «لا بومبونيرا» هو أحد أشهر ملاعب الأرجنتين والاستاد الرسمي لفريق بوكا جونيورز أما «غاسومترو» فهو اسم الملعب القديم لفريق سان لورنثو.

كان أحدهم يقول «انتبه يا فيورافانتي». «انتبه يا فيورافانتي!». كان المرء يتشبث حينها بوسائده -إذا كان مستلقيًا- ليلتف بجسده فوق الفراش وهو يعض على الملاءة. ينتظر كأحمق، بل كخروف، الضربة النهائية البارعة، الضربة التي ستقطع الوريد. ربما يكون النداء قادمًا من مكان آخر، لنقل مثلا من بلاتينسي في (مانويلا بدراثا إي كرامر)[1] أو من ملعب أتلانتا المبهرج للإعلان عن هدف سجله ظهير أيسر مغمور. كان المرء أحيانا قبلها -بل قبلها بثانية- يلحظ عقب ذلك الإعلان المبهم الصادر بجُبن، هزيمًا قصيرًا ومختلفًا من الجمهور، بل من جمهور ما، يبدو كصراخ أصحاب الأرض الحاد أكثر من كونه هتافًا مكتومًا للضيوف، وفوق هذا كان فيورافانتي يؤخر ربط الأحداث ويعلق بدقة وتفان كيف يجهز فتية القمصان الزرقاء القرمزية الحائط، السياج، الحائل، جدار الاحتواء.. ولكن هذا الإعلان، أو عبارة «انتبه يا فيورافانتي» كان يجهز الروح ويقي النفس ويعد المرء إما لاستقبال أقسى الآلام أو فرحة مغشية، على نقيض ما يحدث الآن حينما يقتحم أحدهم، عديم الإحساس، البث بكل تبجح وفظاظة ووحشية صارخا «هدف لصالح بوكا». لتذهب هكذا أنت لتسبح في الخراء. يجلس المرء مشلولًا، مرتعشًا مصفوعًا، بينما يفكر في أنه داخل هذه الكلمات ربما تغير معنى الحياة ومحور حركة الكون ومعنى وجودنا على هذه الأرض، لهذا السبب -من أجل حب البقاء ربما- يُمكن أن يتخذ المرء قراره بعدم رغبته في معرفة شيء عن المباراة نهائيًا. لا يرغب في رؤيتها أو سماعها أو حتى معرفة نتيجتها حتى موعد صافرة النهاية. لماذا؟ لأن المرء يعرف أن أي معاناة لها حدودها، أن قلبه المنهك لن يتمكن من تحمل المسألة، أن البث الإذاعي المُضني سينضم إلى توتره الشخصي ليصل لحدود لا تطاق وأنه يفضل، فوق كل هذا، معرفة النتيجة النهائية، كتصادم صلب،

1. اسم الملعب القديم لفريق بلاتينسي الأرجنتيني.

كصفعة قاسية، كضربة باردة. لكن الحبس داخل خزانة الملابس أو غرفة صغيرة مزودة بشرفة قد يصبح مجرد هراء، فالبث الإذاعي الناعم والمقلق قد يتسرب كسائل من بين الجدران. تعرف أن جارك معتاد على الانفجار في خوار مزلزل مع كل هدف وأنه هناك أيضا قنابل الصوت القادمة من بعيد و.. الأبواق. هي السينما! السينما هي الحل، ولكن في المقاعد شبه المهجورة لقيلولة الأحد، ستجد في الصفوف الخلفية جبانًا آخر يحمل مذياعًا ملتصقًا بأذنه. يراه المرء، بحساسيته كحيوان من شحم ولحم، من بين الظلال ومنذ هذه اللحظة يفترض أن شارون ستون قد تتعرى ألف ومئة مرة وأن مايكل دوغلاس قد يستعد لما هو قادم متكئًا على الباب لعدة مرات، ولكن أيضًا أنه سيجلس على وقع هذا الهمس المنخفض السريع المتذبذب -كالجمر المتقد- والذي بمجرد سماعه سيدرك أنه قادم من مذياع ابن الألف عاهرة الجالس في الخلف وأنه كان قادرًا على اختيار سينما أخرى ليحتمي بين جدرانها. لهذا يتواجد المرء الآن في الشارع. حاول قبلها مشاهدة التلفاز وكان الأمر سيان. تناول القهوة ولف ودار في مطبخه ولكن الزمن توقف في منزله، مثل ذلك الزمان الذي صممه بيوي كاساريس[1] في روايته (اختراع موريل). بعدها وقع انفجار واضح لا تشوبه شائبه. قنبلة صوتية. هذا هدف بلا أدنى شك. نهض من مقعده ولف ودار أكثر من مرة حول الطاولة، حبيسا لهياجه الجهنمي.

كان المذياع المطفأ والصامت ينتظره في المطبخ. ربما يكون هدفًا لثنترال والمرء هنا يعاني مثل الأحمق لأقصى درجة! وإذا كان هدفا لنيويلز فيا له من حظ سيّئ . كان اليأس -وهو يعلم هذا- قد اكتسحه من قمة رأسه لأخمص قدميه. اضطر للركض نحو المذياع وشغله. كان يلتقط برنامجًا موسيقيًا لا يبالي بالمشاكل المفصلية للمجتمع. أدار بجنون قرص المذياع الدائري. سمع

1. كاتب أرجنتيني شهير ويعتبر من أعلام أدب الفانتازيا والخيال العلمي.

دعاية صارخة وملتفة. هذا هو! قال أحدهم «ها نحن نذهب لمدخل النفق» ومن خلفه همهمة الجماهير. لم يكن هناك أي استثارة في صوت المعلقين. لا وجود للاندهاش أو المبالغة. «التعادل أمر جيد. حتى الآن». كانت هذه هي إجابة الآخر. هي الاستراحة والنتيجة ماتزال تعادلًا سلبيًا. أحد الحمقى منزوعو العقل فجر تلك القنبلة لإزعاج الناس في قيلولتهم في اعتداء على جيرانه الأبرياء. أغلق المذياع بغضب ناجم عن صدمة الضعف التي ضربته. خمس وأربعون دقيقة لا أكثر ولا أقل على نهاية العذاب.

هذا أمر لا يمكن تحمله في الداخل. يكتسح الأدرينالين الجسد كواحدة من تلك القطارات الملونة التي تصعد وتهبط، مُشيطنة، على قضبانها الأفعوانية. الخروج كان واجبًا. التمشية وفعل شيء ما. ربما مرت عشرون دقيقة من الشوط الثاني ورضي الفريقان بالتعادل. عدم المخاطرة والحفاظ على القوام والعناية بالدفاع أفضل من أي شيء. النقطة جيدة بالنسبة لهما. لا وجود لمنتصر ومهزوم وستمسي المدينة هادئة. سيسر الجميع. تمر سيارة مسرعة. سائقها يُقطب جبينه. قد يكون مشجعًا آخرا لثنترال يستمع للنتيجة المقلقة! هذا صحيح. يبدو للمرء أنه شاهد حذاءً صغيرًا لونه مزيج بين الأزرق والأصفر يتدلى مثل البندول من المرآة الصغيرة. يتردد صوت بوق عدة مرات! قد يكون بداية لاحتفال أو ربما إعلانًا قاتلًا عن وقوع حادث.. ينبح أحد الكلاب! ربما ذعر من قفزة صاحبه المغتبط، مشجع نيويلز.. يدوي صوت محرك دراجة نارية! أم هي ألعاب نارية؟ هل اهتزت الشباك؟ هل هي فرحة بعيدة أم نيران شخصية؟ يستعيد المرء فجأة تلك الغريزة البدائية والحيوانية التي يحاولون دائمًا، وبلا جدوى، ربطنا بها مع أسلافنا القدامى. يبدأ في مسح الإشارات القادمة من قمم الأشجار وتخمين الدوافع وراء تصرفات الحيوانات والتنقيب عن أجوبة في إشارات الطبيعة وطريقة تحليق

الطيور. يصل من خلف نافذة سلكية مغلقة هتاف المعلق مشوشًا. يسرع المرء في خطواته لكن الصوت يلاحقه كصاروخ مزود برأس ذكي. أي انفعال غامض تغلف به هذا الصوت؟ حماس ونشوة مذيع أمام رعشة الانتصار؟ أم قلة الحيلة الرتيبة والبائسة أمام وضاعة تعادل جديد؟ المرء مثل الرادار. إنه هوائي، بل أحد الأيائل الضعيفة التي ترفع وجهها الرطب بين الأدغال، العرّاف الذي يُخمن القدر في قراءة حاذقة لقطع الحصى. يتذكر بلا شك آخر مساء خسر فيه -بطريقة كارثية- مباراة الكلاسيكو، وذلك الصباح الذي استبق الحدث ونبحت فيه الكلاب بجنون، وتوقفت فيه الطيور عن التغريد وتصرفت فيه القطط بغرابة وعجائبية لتنقض على فضلاتها بينما يسيل لعابها. يحسب المرء أنه مرت ثلاثون دقيقة. نصف ساعة. ليستمر كل شيء هكذا، في هدوء ضئيل ولا يتغير. انفجار آخر وفرقعة أخرى! لتتوقفوا عن هذا يا معاتيه! جعلوه يركض ذات مرة وكانت كذبة. فليفجروا ويفرقعوا كيفما اشتهوا. يفعلون هذا ليتغوط المرء على نفسه لا أكثر ولا أقل. يعرف أنه لو تأكّد كونه هدفا لشترال، فإنه سيصيح وهو وحيد في الشارع كديك حبش أحمق. سيقفز ويصرخ. نعم يا سيدي! إنه سيل من المشاعر الخانقة، المضغوطة، الموجودة هناك، في فم الحنجرة، وتنتظر الهروب. تسير سيارة ببطء. ينظر له السائق ويتوجه ناحيته. إنه ماريو «الأسمر»، ما الذي يرغب فيه هذا الأحمق؟ لماذا يهدئ من قيادته ولماذا ينظر له؟ يخرج ماريو رأسه من النافذة ويهزها مبتسما مع تكشيرة حزينة.

- يا لنا من حمقى يا أخي!

يشق خنجر بارد المرء من صدره حتى ما بين ساقيه قبل أن يسأل:

- ماذا حدث؟ هل نخسر؟

- بهدف واحد.

- ليس باليد حيلة.

يقولها -متفلسفًا- بكل تأكيد، كأنه لا يعبأ بالأمر، كأنه خرج للتمشية لرغبته في التفكير بهدوء حول مصير الإنسان في الألفية المقبلة. يسرع ماريو بسيارته ويرحل. يشعر المرء بأنه استحال ركامًا وحطامًا. قسمه فأس غاشم إلى نصفين. يكررها:

- ليس باليد حيلة. اللعنة! ليس باليد حيلة!

سيشاهد في التلفاز غدًا وبعد غد وطوال الأسبوع هذا الهدف الداعر، مع احتفالات وقفزات أنصار نيويلز التي لا تنتهي بينما يحتفل لاعبوهم، وهذا إذا ما انتهى الأمر بهدف واحد، لأن ثنترال سيقامر بكل شيء ويسعى للتعادل ليخسر بأربعة. قُل إنه يتبقى القليل و.. على المرء تحمل مزاح ماريني وغطرسة وصفاقة فيجا، الألف نكتة سيّئة التي تنبت مثل الفطريات عقب كل هزيمة. نكتة «هل تعرف ما الذي يقولونه لثنترال؟». يجب أن يضع المرء نفسه في فراشه ولا يخرج قبل مرور عشرين يومًا. هذا ما يجب فعله واللعنة على الأم الساقطة التي أنجبتهم! لأي سبب يرتدي المرء هذا القميص العفن، القميص الأبيض بدب الباندا المطبوع عليه، ذلك الذي صاحبه في ثلاثة انتصارات؟ لأي سبب أحمق يرتديه؟ لم يعد الأمر يساعدهم، هكذا وبوضوح، لم يعد الأمر يساعدهم. وبعد كل شيء ما هي علاقة المرء بالفريق؟ هل يلعب؟ أحقًا يدخل المرء ويلعب؟ هم أحد عشر فتى من أصحاب الشهرة المتوسطة لا أكثر ولا أقل. فقط هذا. توجد أمور أكثر أهمية في الحياة. إذا كانت أم أحدهم تموت في هذه اللحظة فالكلاسيكو لن يمنحها سوى القليل -أو لا شيء- من الاهتمام. هي مباراة كلاسيكو لن تدخل التاريخ. واحدة بين كل تلك التي لُعبت. كم دقيقة مرت؟ يتبقى القليل على صافرة النهاية بكل تأكيد. يبدو الآن أن أمرًا ما حدث بالفعل. هي فرقعة أخرى، مجرد ملمح يسمح -على الأقل- بالتعلق

بوهم لحظي. حتى ولو كان هدفًا جديدا لنيويلز، فاسمح لي أن أخبرك، بأن هدفين بلا رد ليس حفلًا للأهداف. وقع انفجار آخر. فرقعة جديدة لقنبلة صوت! وها هو آخر وآخر! انتهت المباراة. لا مجال للشكوك. لقد انتهى الكلاسيكو وفازوا علينا واللعنة على الأم ذات السّمعة السيّئة التي أنجبتهم. حسنًا.. زال كل شيء. يوجد ما هو أسوأ، لكننا مانزال -على أي حال ووفقا للإحصائيات- في مركز متقدم. ازداد المساء عتمة وخيم الضباب. ليتها تمطر ويفسد كل شيء ولا يخرج أحد للشارع. يخرج فتى من منزله ويعقبه آخر. يهتف الأول عاريا:

- هيا يا ثنترال..

ينير وميض كالبرق المرء من داخله. يجف حلقه ويتمكن من السؤال:

- هل انتهت؟

يجيبه الفتى:

- هدف لمثله. تعادل ثنترال في الوقت القاتل.

يسير المرء الآن مخدرًا بالقصور الذاتي، كأنه آلة. ثنترال في الوقت القاتل؟ يا للعجب! ثنترال في الوقت القاتل! لا يصرخ ولا يصنع أي إشارة، بل لا يرفع حتى يده. ينفجر الهتاف داخله كأنه قنبلة أعماق. هيا يا «كاناياس»! تبدو كذبة. ظن المرء أنه سيقفز مغتبطًا ليتعلق بسياج أو أنه سيصعد لشجرة كأحد القرود أو سيتسلق الشُرفات نحو سطح ما، لكن لا. الأمر لا يستحق هذا، فبعد كل شيء لم يكن الأمر فظيعًا على أي حال. ربما لم يكن الأمر بهذه الأهمية، لكن خليطًا من الإعياء والدفء والسلام الداخلي الذي لا ينضب يكتسحه من الداخل بود. ها هو المنزل يقترب. يشعر بالجوع ويرغب في رؤية والدته والتواجد مع أصدقائه ومداعبة رؤوس الأطفال الذين يلعبون على

الرصيف. هم مستقبل الأمة. انقشعت غيوم المساء الذي بات منعشًا وها هي الشمس تظهر. يتوقف قليلًا قبل الدخول وفتح الباب لتبادل عبارات مع جارته. يسألها عن الأزهار التي ترويها وعن الحجم المذهل الذي وصل له نبات اللبلاب المتسلق. يتفهم فجأة أن هذه العجوز المستفزة وسيّئة المعشر ليست شريرة للغاية، بل على النقيض، هي لطيفة. يلج في النهاية للداخل ويذهب نحو المذياع ليستمع بالتفصيل للتعليقات الأخيرة. يتبول ويغسل يديه ثم ينظر للمرآة. أصبح لديه مئة شعرة بيضاء على جانبي رأسه. يرى أيضًا تجعيدتين جديدتين غائرتين في جبهته. هالاته السوداء ازدادت قتامة. قفز عمر المرء خمس سنوات مجددًا كما يحدث دائما، فقط مع كل كلاسيكو. هي مجرد مباراة لكرة القدم بكل بساطة..

أعتقد يا عزيزتي أنّ ابنك أفسد الأمر
(خورخى فالدانو)

خوان أنطونيو فيلبا رجل هادئ الطباع، لكنه قرر ضمان النوم في الليلة التي سبقت المباراة بتناول نصف قرص منوم لمداواة شعوره بالقلق، ولم يكن يبالغ.

استيقظ، بحكم العادة في السابعة صباحًا، وشعر بدغدغة فورية تُخبره بأن اليوم هو الأحد -يوم كرة القدم- لذا قرر البقاء لبعض الوقت على فراشه للتفكير في المباراة. استغرق عدة دقائق تصدى خلالها في مخيلته لركلات جزاء متطابقة. كان هذا هو حلمه المفضل وهاجسه المعتاد: يتسيد التعادل السلبي الموقف. تتبقى دقيقة واحدة وتُحتسب ركلة جزاء ضد فريقه. يُطبق الصمت على المكان، تتسع الأعين، يحتضن الكرة بينما يطير في الهواء بحدس دقيق قبل أن يسقط على الأرض، يملؤه شعور بأنه المالك المستحق لهذا التصفيق، والمسؤول عن الكارثة الصغرى التي تضرب مشاعر مئات المشجعين وفرض التعادل السلبي.

تخيل الأمر نفسه أحيانًا وفريقه متقدم بهدف، لكن هذه القصة لم ترق له كثيرًا، فحينها سيتقاسم المجد مع زميله الذي هز الشباك. كانت ابتسامة حمقاء ترتسم على وجه خوان أنطونيو فيلبا العامل بشركة (فابريكاس أونيداس) وحارس سبورتيفو أتلتيكو كلوب، كلما تخيل التصدي لركلات

الجزاء داخل رأسه، لكنه لم يُدرك هذا. تذكر الوقت بذلك القلق الذي يُميز الفلاحين ليقفز من فراشه ويتجه نحو الباب. كان يرجو ألا تمطر، ففي يوم السادس عشر من سبتمبر 1964 كان الربيع قد استبق موعده بخمسة أيام.

كان صباحًا مثاليًا. تلك الشمس التي تدعو للحياة ذكرته بمرض والده -كان ليقول هذا- لكنه سيمر لزيارته لاحقًا لجعله ينسى ولو لهنيهة الحزن الناجم عن خسارة مباراة الكلاسيكو.

دخل مطبخه المتواضع لتناول الشاي -كأحد عادات يوم الأحد- دون أن تخرج المباراة من رأسه. نظر طويلًا للملصق أماديو كاريثو الذي علقه منذ عدة سنوات على الحائط. كان مشجعًا دائمًا لريفر بليت على الرغم من أنه لم يشاهده يلعب أبدًا، فبوينوس أيرس تقع على بعد كيلومترات كثيرة وأوراق مالية أكثر، لكنه كان يُقدس مسيرة الفريق العاصمي وحارسه الأسطوري عبر المذياع ومجلة الـ(غرافيكو)، ولأن الإعجاب يعني أن تجد نفسك في شخص ما، فإن فيلبا شعر كأنه «كاريثو القرية». كان يحاكي حركاته بل وإنه حصل على قبعة بنقوش مربعة تشبه تلك التي كان حارس ريفر يرتديها للوقاية من الشمس.

- الأستاذ العظيم.

تمتم فيلبا بهذه العبارة أمام صورة أماديو في اللحظة ذاتها التي دخلت فيها زوجته بعينين نائمتين للمطبخ.

- أتتحدّث مع نفسك؟

- لا، بل كنت أفكّر.

استقبل قبلة مرثيديس الشابة والودودة وتحدثا معا عن أشياء تخُصهما لفترة طويلة، حتى استمعا معا لجوني لومبارد وهو يعلن عن المباراة:

«يلتقي سبورتيفو وأرختينو دي لاس باريخاس في الخامسة من مساء اليوم من أجل لقب الدوري في أكثر مباراة مرتقبة هذا العام على الملعب البلدي».

أشعر هذا الصوت المُفعم بالحماس الصادر من سيارة تسير ببطء -والذي تعاظم بفعل مكبري صوت فوق سقفها- فيلبا بأهميته وبقشعريرة في جسده. كانت ماتزال تتبقى خمس مباريات على نهاية البطولة بينما قسم الفريقان القرية: أرختينو بقميصه السماوي وسبورتيفو بقميصه ذي اللونين الأخضر والأحمر. كانا يتقاسمان صدارة دوري كانيادا لكرة القدم، وهذا المساء سيلعبان من أجل الشرف والثأر لتحديد إلى من سيذهب اللقب مرة واحدة وللأبد. لم يكن هناك حديث منذ أسبوع سوى هذا. تدور استمارات المراهنات وتزداد المزحات ثقلًا، والأكثر تعصبًا كانوا قد وصلوا بالفعل لمرحلة تبادل اللكمات. بات جليًا أن المباراة التي ستُلعب هي أهم كلاسيكو في القرية خلال الفترة الأخيرة. سألته ميرثيديس:

- كيف الحال في المصنع؟

- تعرفين بالفعل أن الفتية أصابوني هذا الأسبوع بالجنون.

قص خوان أنطونيو بفخر على زوجته، ضمن أشياء أخرى، كيف ربت المالك على ظهره قبل أن يخبره:

- يوم الأحد ستحرسنا جيدًا، أليس كذلك؟

فيلبا رجل طيب، عمره ستة وعشرين عاما، متزوج منذ فترة ليست بالبعيدة، لديه طفل عمره شهور، متطلباته بسيطة، محبوب وذو شعبية. كان من فئة الرجال الذين بامتلاكهم القليل لا يحتاجون للمزيد. ارتدى ملابس يوم الأحد وتفقد حقيبته الرياضية. تشمم بحب ودون ضوضاء غرفة ابنه

النائم وودع زوجته ببساطة. تلقى نصائح والده الكروية بصبر أثناء جلوسه على الفراش الذي يرقد عليه الأخير في مصح سان خوان للتعافي من جراحة في المعدة.. تذكرا ذلك اليوم حينما ذهبا للصيد. كان عمر خوان أنطونيو عشرة أعوام وركض فجأة ليقفز بكامل جسده على حيوان قِواع كان والده قد صوب بندقيته القديمة نحوه وعلى وشك الإطلاق. هرب القواع وتلقى مشروع الحارس غير الحكيم، الذي كان يرتمي على أي شيء، علقة لن ينساها أبدًا. بدأوا حينها في إطلاق لقب «القط» عليه.

لم يوافق والده، الذي كان يعشق سبورتيفو بنفس قدر كرهه لأرختنينو، بتاتًا على أن يصبح ابنه حارس مرمى، ليس فقط لأنه كان يُفزع حيوانات القواع، بل لاعتقاده الدائم بأن الحراس بهم شيء من الحماقة، لكنه أحب ابنه الوحيد كثيرًا ليتنازل عن أحكامه المسبقة، بل وانتهى الأمر به يشاهد مبارياته من خلف المرمى، وإن كانت هتافاته التي ضايقه بها أكثر من تلك الداعمة. على فراش المصح، كان السيد خيسوس آلاديو فيلبا يشعر بأنه في حالة أفضل، لكن عدم قدرته على مشاهدة كلاسيكو القرية تُغضبه. سيتوجب عليه الرضا بفتح نوافذ غرفته لتفسير الهتافات القادمة من الملعب، فمن على بعد مئتي متر كان قادرًا على تدقيق السمع والتعرف على الفرص الخطرة، الفريق الذي يسيطر، وبلا شك، هوية الفريق الذي تمكن من التسجيل، فخمسة وثلاثون عامًا من مشاهدة سبورتيفو علمته الكثير. كان على زوجته المسكينة أن تتحمل في صمت الرواية التقريبية التي يصنعها السيد خيسوس لكل لعبة.

توجه خوان أنطونيو نحو مقر النادي مصحوبا بتوصية أبوية أخيرة:

- اكتسحوهم بخمسة أهداف لكي لا يفتحوا أفواههم مجددًا.

عاد في الطريق لنسج ركلات الجزاء مرة أخرى داخل رأسه. كان يرتمي دائمًا نحو اليمين ليلتقط الكرة المُسددة على ارتفاع متوسط بين يديه. سمع ذات

يوم تلك المقولة «الأمل هو حلم اليقظة». ترددت داخله. عثر في مقر النادي على أناس أكثر من أي وقت مضى وأجواء هائجة. كانت الأيدي توقفه من كتفيه كفراشات متوحشة بينما يجيب بالابتسام على تلك التعليقات المعتادة:

«لا تقلق لن يقتربوا منك اليوم..».

«في الخامسة تغلق شبابيك التذاكر. أليس كذلك؟».

«على من فازوا هؤلاء الـ..؟».

وصل لأجواء المطعم الهادئة وحيا زملاءه، أغلبهم من القرية ومدن قريبة. هؤلاء لم يُبصرهم منذ يوم الأحد الماضي. هم أناس طيبون، لكنه كان يحسد قدرة أرختتينو على تأهيل لاعبين من أبناء القرية.

«الإيطالي» بيراتسي كان يفسر الأمر جيدا:

- أبناء القرية يلعبون من أجل القميص، وأبناء الخارج يلعبون من أجل الفضة.

لكن هكذا سارت الأمور دائمًا وفي الحقيقة لم تكن هناك «فضة» كثيرة. تناولوا لحمًا مشويًا وسلطة، وبعدها أعلن «الساحر» ميراج، مدرب الفريق وأحد لاعبيه السابقين، عن التشكيل وقال حماقاته المعتادة بنبرته المعهودة كأنه من اخترع كرة القدم. لم يقبله آل فيلبا -الولد وابنه- مطلقًا لأنه لم يشجع بتاتًا الكرة المحلية، وكلما كان اللاعبون من مناطق أبعد، كلما زاد سروره، بل إنه كان يلعب بدون جناحين بخلاف أخطائه التكتيكية الكثيرة. اعتاد الثنائي دائما على تذكر اليوم الذي حياه مونتويا «الأسمر» في وسط حانة فيكتوريا هاتفًا:

- كيف حالك يا «دبرياج»؟

أجابه المدرب بدون فطنة:

- «دبرياج»؟ لماذا؟

ليرد «الأسمر»:

- لأن قدمك تزل دائمًا قبل تسقيط الغيارات.

انفجر الجميع في الضحك. كم عانى ميراج حينها!

قرر اللاعبون التوجه للملعب في أربع سيارات شخصية تخص إداريين في لجنة كرة القدم. خرجوا من الباب الخلفي لكي لا يتركوا فرصة أمام ثقلاء الظل. بدأوا في تنفس أجواء المباراة داخل غرفة الملابس. كانت رائحة كرة القدم تفوح هناك في الداخل. اقترب موعد اللقاء وتعاظم الصخب في الخارج. ارتدوا ملابسهم في توتر ودلك كل منهم الآخر ونفذوا تدريبات الإحماء كأنها شعائر دينية. هز «القط» فيلبا في أحد الأركان ذراعيه فقط، وكان بين الفينة والأخرى يضرب الهواء بقبضته مثل الملاكمين. ارتدى واقي الساق وبنطالًا قصيرًا مُبطنًا عند الفخذين لامتصاص صدمة السقطات. لم يكن يستخدم القفازات ولم يتفهم أبدا كيفية التصدي بها. إذا ما سأله أحد، تعلم الرد عليه بعبارة طالما أحب تكرارها:

- القفازات تنزع مني الإحساس.

قولب الحديد الذي يعمل فيه طوال الأسبوع يدين قويتين وكان يحب ملمس الكرة بين أصابعه. التف الفريق في دائرة كما اعتاد ووضع الكل أيديهم على يديّ القائد قبل ترديد هتاف الحرب ثلاث مرات لاكتساب الثقة والشعور بقدر أكبر من الاتحاد. أحيانا كان يبث هذا الأمر الرعب في قلوب لاعبي الخصم الموجودين بالغرفة المجاورة. توجهوا نحو النفق على وقع موسيقى الكعوب الجلدية وهي تدب على الأرضية، حذرين من ألا ينزلقوا على السطح الإسمنتي. حينما ظهرت رؤوسهم، انفجر النصف الأحمر-

الأخضر من الملعب. كان أنصار الفريق السماوي يحتلون الجانب المعاكس منه وحيّوا لاعبيهم بعدها بثلاث دقائق. كانت القرية بأكملها هناك. هو يوم عظيم، من تلك الأيام التي تترك القرية تتحدث عنه لمدة أسابيع، رايات وزينة ومفرقعات وعصى خشبية طويلة وهتافات. لم يكن ينقص أي شيء. كانت عظة الحكم مقتضبة. قال لقائدي الفريقين في وسط الملعب قبل القرعة:

- العبوا واصمتوا.

عظّمت الهتافات والمشاعر القوية بصورة ما من أبعاد الكرة الفقيرة التي قُدمت في الشوط الأول. كان كل فريق يسعى لاستغلال أي هفوة من الآخر، لكن دون أن يهفو أي منهما. خشي كل منهما الآخر ولعبا بتوتر، وهذا الأمر بعد مُعالجته كرويا تنتج عنه مباراة تغيب عنها الدقة والمتعة. أصاب السيد خيسوس إيلاديو فيلبا حينما لخص، من المصح، الشوط الأول لزوجته بعبارة:

- مباراة سيّئة يا عزيزتي. لم يخلقوا حتى فرصًا للتهديف.

كان اللعب سيّئًا. هذا صحيح، لكن غمرته الجدية. اكتست التدخلات بالقوة وتبادل اللاعبون كلمات قاسية. بدا الشوط الثاني أكثر انفتاحًا، لكن لم يصل أي من الفريقين للمنطقة سوى مرات قليلة. أهدر كل منهما فرصة ما ربما، لكنها لم تأت كثمار هجمات منظمة، بل من كرات ارتدت بالصدفة من مدافعين أو أخطاء ارتكبتها السيقان المنهكة، لكن لا يجب أن يرحل أحد عن كلاسيكو القرية قبل انتهاء المباراة. هكذا حذر السيد خيسوس زوجته قبل ربع ساعة من النهاية، فـ«كل شيء وارد».

ارتدى خوان أنطونيو قبعته خلال الشوط الثاني، فالشمس كانت منخفضة وأشعتها تضرب من الأمام. كان قد تعامل مع الفرص القليلة

التي لاحت ضده ببراعة، باستثناء تلك الكرة الساقطة التي أبعدها من فوق العارضة بالارتماء للخلف. هو تصدٍّ حسن المظهر أكثر من كونه صعبًا. كان يوجه أوامره من الخلف ويشجع زملاءه ولم يفقد تركيزه في أي لحظة، لكن حتى تلك اللعبة التي لم ينسها كل من كانوا هناك، فإن المباراة لم تسمح له بالتألق.

كانت تتبقى أربع دقائق على نهاية المباراة، حينما شتت «الأمريكي» سانتوني، المتسرع دائمًا، الكرة لركنية دون سبب، في اللحظة التي كان أقل الناس اهتمامًا ينظرون فيها لساعاتهم آملين في انتهاء الأمر سريعًا. يتحدث السكارى بمفردهم ويتشبث الأكثر تعصبًا بالسياج الذي قارب على السقوط. لُعبت الركنية بقوة وتردد «القط» فيلبا -يجب قول كل شيء- في الخروج، بل توقف في منتصف الطريق. كل ما احتاجه «الدب» أنتونيو، مدافع أرختنتينو كان الوثب لتوجيه رأسية قوية نحو الزاوية المعاكسة. لم يكن طول «القزم» ثاراتى يسمح له بمراقبة أحد في الألعاب الهوائية، لذا كان مسؤولًا عن حماية القائم الأول في الركنيات. أدرك عبر غريزته أنه سيعجز عن الوصول برأسه لهذه الكرة وأبعدها بيده.. ركلة جزاء!!

أشعلت المسألة حماسة غير المبالين وتسمر الأنصار المتعصبون بل وإن السكيرين توقفوا عن الحديث مع أنفسهم. انطلقت الاحتفالات في الجانب السماوي من الملعب بينما انتظرت جماهير سبورتيفو في جمود وصمت يد العون من جانب آلهة كرة القدم. كل ما كان يحدث قارب كثيرًا مُخيلة خوان أنطونيو فيلبا. هبط قرص الشمس، على الجانب الآخر من الملعب، خلف أشجار السرو، بينما نزع فيلبا الواقف عند منتصف خط المرمى قبعته بثقة وألقى بها داخله. شعر بانتعاش يبعث على السرور في رأسه المُتعرقة، وربما لهذا أحس بإيمان الأبطال، فيما وقف نيبفا غليظ الشفتين على بعد أحد عشر

مترًا أمام الكرة. تبادلا نظرة هاربة، نصف متواطئة ونصف قاتلة. ثنى فيلبا ركبتيه بعض الشيء وسمع صافرة الحكم بينما انصب تركيز عينيه على الكرة. كان قد اتخذ قراره بالفعل وحينما ركل غليظ الشفتين الكرة، كان فيلبا بالفعل قد ارتمى نحو اتجاه الحلم، على الجانب الأيمن. عانق الكرة في الهواء وقبل أن يسقط على الأرض، شعر بأكبر سعادة في الحياة تغزوه بسرعة البرق.

كان نصف الملعب الملون بالأحمر والأخضر هو الذي يحتفل حاليًا وهو يرفع هتافًا واحدًا «فيلبا... فيلبا... فيلبا». أنا لا أعرف ما الذي حدث له حينها، لأنه طوال خمسة وعشرين عامًا لم يتمكن أحد من الحديث معه بخصوص الأمر دون شعوره بالضيق، لكن أعتقد أن هذه الهتافات أربكته ودفعته نحو أكثر دروب حياته سخافة. الأمر الوحيد الحقيقي أنه نهض من على الأرض-كإله- ولرغبته في إطالة هذه اللحظة الساحرة ارتكب ذلك الخطأ بالذهاب لجلب قبعته من داخل المرمى... والكرة أسفل ذراعه!

شك الحكم للحظات قبل احتساب الهدف وتأخر الملعب كاملًا في وضع الأيدي فوق الرؤوس، بين ضحكات سماوية منتشية وبكاء مذهول بالأخضر والأحمر. أربكت موسيقى الهمهمات الغريبة والمختلفة التي طفت في الأجواء السيد خيسوس آلاديو فيلبا الذي عانى مع ضربة الجزاء «يجب الاعتراف بأنها كانت صحيحة، يا عزيزتي» وسعد كثيرًا بالتصدي لها، لكنه شعر عبر حدسه بأن أمرًا ما قد وقع، وبأقل درجة من الأمل في أن يكون مخطئًا، نظر لزوجته الموقرة وقال لها بقلق وحزن:

- عزيزتي.. أعتقد أن ابنك قد أفسد الأمر.



سيكستو فيغاتسا

(روبرتو فونتاناروسا)

سأتذكر دائما سيكستو فيغاتسا كمثال على اللاعب الريفي الذي صقله العمل بين الحقول. وصل إلى روساريو ثنترال قادما من ميرفي بمقاطعة سانتا فيه. أذهل انطواؤه وسكونه حتى الجهاز الفني المتمرس المعتاد على مواجهة الفتية القرويين. بدا الأمر كأن الأشقاء الأكبر لسيكستو -وهو أصغر أفراد عائلته- كانوا قد انتزعوا منه قدرته على الكلام بالطريقة ذاتها التي ربما حرموه بها من ألعابه ذات مرة. كان الأمر على هذه الشاكلة -كما أتذكر- لدرجة أن زملاءه وجب عليهم، بنفاد صبر، انتظار تسجيله هدفًا لسماع صوته وحتى يملأ حلقه بالصراخ أمام المشجعين. كان طويلًا وضخمًا وأسمر. دُبغ جلده بفعل شمس الريف التي كانت شاهدة على نشأته. يومًا ما رأيته وهو يبدل ثيابه في غرفة الملابس (حينها كان لايزال يُسمح لي بدخولها) وتأثرت من العلامات الموجودة على جسده وهيئة المساحات الفاتحة والجرداء التي لم تكوها شمس ميرفي -حيث كان يحرث الأرض ويلقي الحبوب للدواجن- والعرض الشاسع الذي غطاه قميصه الداخلي (فانلة الحمالات كما ستُعرف لاحقا بمصطلحها الشعبي)، وعلامة قبعة الرأس الواضحة والجلية على جبهته، وتلك الموجودة على معصمه عند سوار ساعته المعدني من ماركة «ألبا».

أدهشتني أيضًا العلامة التي تركتها سلسلة ذهبية رفيعة كان يعلقها في عنقه الضخم، والدائرة الشاحبة الموجودة في منتصف صدره الواسع حيث اعتاد أن يضع ميدالية سان أفيخنيو دي لوس تولدوس، قديسه الحامي. كانت كل هذه الأمور تعكس صورة لشخص كسول بطيء الحركة، بل وربما كيان جامد تمامًا ترك فرصة لملك النجوم لاستخدام أشعته في تحديد حواف زينته. هذه الصورة كانت تتغير -طالما كانت الرغبة قائمة- إلى أخرى مُعاكسة، تلك التي كان عليها على أرض الملعب، حيث أثبت أنه لاعب دائم الحركة يروي بعرقه كل أركان البساط الأخضر، لكن صدقًا أكثر ما أدهشني فيه -في سيكستو فيغاتسا- كانت براءته وسذاجته الجلية وسلامة نيته في اللحظات الحرجة.

انتقل إلى ثنترال، على سبيل المثال، متباهيًا بدبلومة كروية بين يديه الضخمتين غير المتناسقتين (هو خُلق في النهاية للتعبير عن نفسه بقدميه فوق أي شيء). هي شهادة تحصل عليها من مدرسة صغيرة لكرة القدم في مسقط رأسه. قال إنه تسلمها عقب خمس سنوات من الدراسة المُكثفة. لا توجد حاجة لتوضيح أن الجهاز الفني للنادي رفض لفافة الورق هذه التي فاحت منها رائحة الثوم قليلا وحاول إخضاعه لاختبار مهارة على البساط الأخضر، فهذا هو المكان الوحيد الذي يكشف الحقيقة، كما سبق وقال النجم الأوروغوائي الخالد روبرتو ماتوساس. بذلوا مجهودًا كبيرًا مع هذا الفتى القادم من ميرفي لإقناعه بقبول الاختبار، لأنه كان يكرر بلا كلل أو ملل أنهم أخبروه في المدرسة الصغيرة أن تقديم هذه الدبلومة وحدها يتيح له بكل سهولة ونعومة الالتحاق بأي فريق بالدرجة الأولى. قَبِل الخضوع للاختبار في النهاية وتخطاه دون مشكلات تذكر، ليؤكد بصورة كبيرة كل التوقعات الممتازة التي استبقت وصوله. كان فيغاتسا ذو السبعة عشر عامًا -ولإكمال الصورة الريفية لشخصية هذا الفتى- من ناحية أخرى يرتعب

بصورة كبيرة من العشوائية الحضرية لمدينة روساريو، هذا ونحن نتحدث عن روساريو الماضي، الهادئة والصامتة، وليس ذلك الوحش الإسمنتي الذي بتنا نعرفه جميعًا اليوم.

كان مجرد تفكير فيغاتسا في ضرورة الخروج من السكن والتوجه لمُهاتفة مسقط رأسه ومواجهة قطارات (الترولي) المرعبة يملؤه بالنفور والتوتر. اصطحبته أكثر من مرة نحو الميناء لإصراره على تأمل سفن الشحن التي ترفع العلم الليبيري، لكنه في الطريق كان يقف كطفل مرعوب أمام مرور (الترولي) السريع. لم يُبين ذعره علانية، لكنه اعترف لي ذات ليلة عقب مباراة مع تشاكاريتا أن قطارات (الترولي) كانت تطارده في كوابيسه ليستيقظ لاحقًا غارقًا في عرقه، بل أتذكر أنه ذات يوم اضطررت لإمساكه من يده بالقرب من ميدان سانتا روسا بعدما أيقظت طريقة تصرفه الخائف والمتردد داخلي شفقة كبيرة.

نصبه أنصار روساريو ثنترال سريعًا كأحد معبوديهم المميزين، رغمًا عن كل شيء، رغمًا عن شخصيته المنغلقة البعيدة عن تفجر المشاعر، وذلك لتفانيه الصادق في كل نزال وجهده الذي لا يمكن قياسه داخل الملعب. قوي وفخم ومتناسق، كلها صفات تنطبق على عوده الصلب. لم يكن هنا شيء يُشير إلى أن المصير يحتفظ له بنهاية غادرة ويجهز له المكيدة التي وقع فيها، ربما بسبب سذاجته أو عدم قدرته على توقع الأمور. شعرت دائمًا بالحزن -هذا صحيح- لأنني لم أحذره في الوقت المناسب، حينما شهدت بداية هذه الأحداث بالصدفة، لأن تلك المباراة كانت ربما من آخر المواجهات التي سُمح لي فيها بدخول غرفة ملابس «لوس كاناياس» قبل صافرة البداية، وهناك شاهدت وأنصتُّ للحوار بين فيغاتسا والدكتور وودورد، طبيب النادي في تلك الفترة.

اسمحوا لي بتوضيح السبب وراء منعي من دخول غرفة ملابس النادي بموجب تعليمات واضحة من الإدارة، وإن كنت آمل ألا يطيل هذا بغير فائدة السرد المناسب للقصة التي أحكيها. لم أكن أبدا صحفيًا رياضيًا ممن يُطلق عليهم بصورة خاطئة «المُجادلين»، أولئك الذين هم في أغلب الأحول سيّئو التربية ويخلطون بين الميكروفون والأسلحة. حافظت دائمًا على مسار معين لتصرفاتي وأخلاقي المهنية التي رسمت حدودًا للثقة منعتني من سب وإهانة أي عضو -سواء كان مهمًا أم لا- بأي مجلس إدارة والإفلات بعدها من العقاب. لم ألجأ أبدًا، في ظل سعيي للبقاء، لأسلوب الطعن اللاذع الرخيص أو درب الفضائح للإبقاء على مساحتي محفوظة في الإذاعة، لكن ما حدث هو صدفة تعيسة، ففي تلك المباراة التي أتحدث عنها خسر ثنترال بسبعة أهداف لواحد، بعد ثمان وعشرين مباراة لم يعرف فيها طعم الهزيمة. كان هناك بعض سيّئي النية الذين نسبوا هذا الانهيار (وله أسبابه الفنية والتكتيكية) لمجرد تواجدي العرضي داخل غرفة الملابس، بل وإرجاع كل ما جرى إلى فرضية كوني «نحسًا» على الفريق، تلك الكلمة السيّئة الكريهة القادرة على تمييز وتهميش حياة رجل طيب. تصادف الحادث أيضًا وبكل مرارة مع إصابة أحد اللاعبين الذين حاورتهم قبل دخول الملعب بكسر ثلاثي في عظام الشظية والقصبة مع تبقي خمس دقائق فقط على بداية المباراة، في مأساة لا تقبل التفسير بشتى الطرق.

تذكر بعدها بعض سيّئي النية، الذين لا يغيبون أبدا عن المشهد، أنني تنبأت للاعب المنكوب ليلة مليئة بالمجد والهتافات بل وتسجيل هدفين على الأقل لصالح فريقه. أسقط خليط هذه المصائب المؤذية -بجانب ما حدث مع سيكستو فيغاتسا- لعنة على شخصي، وبداية من تلك اللحظة أغلق باب غرفة الفريق في وجهي. المهم هو ما حدث في تلك الليلة الحزينة

لمواجهة فريق تيغري. كنت أغطي استعدادات المباراة وأجري المقابلات التقليدية، شاهدت الـ«غرينغو»[1] (اللقب الذي أُطلق على فيغاتسا ويوضح مدى ذكاء اللاعبين في اختيار أسمائهم) بينما يمارس تمارين الإحماء مع بقية زملائه. كان وجهه وأنفه شديدي الحمرة أكثر من أي وقت مضى وخشيت (أقسم أن هذا هو ما فكرت فيه حينها)، أن يكون الفتى قد سقط بين براثن الكحوليات المُرعبة. عرفته كأكثر فتى يعتني بصحته في العالم، لكن حجم وتنوع الإغراءات التي قد يتعرض لها رجل شاب في مدينة روساريو معروف، فهي لم تكتسب في وقت ما سمعتها التي لا تقبل الشك كعاصمة الدعارة العالمية من فراغ، لكن شعرت بالهدوء سريعًا، فما يعاني منه فيغاتسا كان مجرد برد لّون وجهه المستدير كإيطالي قادم من الشمال. شاهدت حينها كيف اقترب منه الطبيب وودورد ليقترح عليه شيئًا ما بحماس. لاحظت، من موقع البث، كيف تردد سيكستو طويلا لقبول هذا العرض، ورأيت كيف أظهر له الطبيب عبوة صغيرة تحتوي على سائل شبه شفاف بينما أمسك في يده الأخرى بحقنة وإبرتها المعدنية.

ربما امتنعت عن الاقتراب من مكان وجودهما لانشغالي بإعداد تقرير عن أحد اللاعبين أصحاب الأرض وكان تركه في وسط الحديث ليعد انعدامًا للذوق، ربما هذا الأمر مجرد عُذر أرغب عبره في التقليل من حجم ذنبي. شاهدت بطرف عيني كيف اصطحب الطبيب سيكستو خلف ساتر وظلا مختفيين هناك لفترة. أتذكر أنني لم أحافظ على تركيزي في التقرير، لدرجة أنني سألت ضيفي كم هدفًا يتوقع تسجيله في تلك الليلة، رغمًا عن كونه حارس الفريق. كان هذا أمرًا استغله أحدهم ورفعه كراية حينما جاءت

---

1. مصطلح شائع في دول أمريكا اللاتينية للإشارة لمواطني الولايات المتحدة بإيحاء سيّئ، لكنه يستخدم أيضًا بشكل طبيعي للإشارة لكل من كان أشقر.

اللحظة التي صُنفت فيها أحد عملاء الفأل السيّئ ، لكن لا يجب نسيان أنه تلقى سبعة أهداف في ذلك المساء بسبب عجزه.

فكرت للحظة في ترك كل شيء والركض إلى حيث وُجدَ فيغاتسا لسؤاله بخصوص المشهد المربك مع الطبيب، لكن أوقفتني رغبتي في عدم إثارة أي لغط منحرف (وأعني بمنحرف ما تعنيه الكلمة) عن علاقاتي بالفتى القادم بميرفي، لأن أحدهم سبق ورآنا فيما مضى نمسك بأيدي بعضنا بمحيط ساحة سانتا روسا. يا لحماقة الإنسان أحيانا! كنت واثقًا بشكل واضح وجَلي من طبيعة علاقتي مع صانع الألعاب الأشقر وربما وجب علي مواجهة الموقف بعفوية وحسم، لكن الخوف المنطقي من الرأي العام كبح جماحي، يا للتناقض القاسي! فأنا نفسي كنت واحدًا ممن يتلاعبون بهذا الرأي بكل تأكيد.

رجوت أن تكون المسألة برمتها مجرد فهم خاطئ نجم عن تخمين سيّئ تسلل لذهني الذي لم يكن تلك اللحظة في رشده، لكن الاهتمام المجنون بالسبق الرياضي داخل إطار المهنية الكافرة سبق وعلمني الشك في كل شيء وفي الجميع. قدم فيغاتسا في الشوط الأول من تلك المباراة، المؤجلة من جولة سابقة، أداءً رائعًا على الرغم من النتيجة المعاكسة. ركض والتحم وقدم بتفان صفات الشجاعة والرجولة المعروفة عنه. لم ألحظ من كابينة البث شيئًا غريبًا في تصرفاته، أن يتقدم للأمام ويتراجع للخلف بسرعة قاطرة، أو أن يركض خلف أي منافس يمر بجانبه، أو أن يساعد أي زميل في أزمة لم يكن أمرًا غريبًا عليه، فهذا المستوى وتلك التضحيات هي التي زرعت حبه في قلوب جماهير الفريق المتحمسة، لكن ربما.. ربما ذلك البريق الزائد في بياض عينيه الذي أمكن ملاحظته من المدرجات، هو الذي أقلقني للحظة، لكن لمجرد لحظة، بل وإنه حتى هذا الأمر أمكن إرجاعه للبرد الذي شكا منه.

حينما بدأ الشوط الثاني، لم ألق بالًا لهذا البريق الفسفوري. ظهرت في

السماء بغتة بعض الغيوم الكثيفة، لكن الأمر لم يتعد كونه مجرد تهديد بعاصفة، وبعد مرور عشر دقائق عاد القمر ليلقي ضوءه على النهر القريب والملعب. كان الإعصار الحقيقي يضرب المستطيل الأخضر، لأن لاعبي الفريق الضيف هزوا حينها شباك أصحاب الأرض أربع مرات، وبدأت رؤية تصرفات سيكستو فيغاتسا الغريبة. لا حاجة لقول إنني كنت أتابع تطوره على أرض الملعب بعناية بحُكم الصداقة التي جمعتنا وأيضا لقلقي الواضح مما شاهدته في غرف الملابس. لاحظت أنه كان مرتبكًا، بصورة أكثر من تلك التي قد يبدو عليها لاعب يخسر بحفل من الأهداف. يتنفس بصعوبة ويرسم بذراعيه إشارات غريبة وعجيبة لم يفهمها أحد. كان يهز رأسه كأنه يحاول التخلص من ألم متكرر. تركت كابينة التعليق مهرولًا وهبطت وتسللت إلى غرف الملابس، ومن هناك توجهت نحو النفق، ومن نهايته إلى مشارف الملعب، ومن هناك شاهدت من موقعي شبه الخفي التحول المفزع الذي حدث حينها. كانت عيناه تدوران في محجريهما وبدأ في إخراج لعاب أبيض وكثيف، تهدجت أنفاسه وظل يدور حول نفسه كأنه في دوامة، أصابه مكروه وأذى مهول بلا أدنى شك. لاحظ الحكم سريعًا حالته الغريبة وبدأ يتابعه بنظراته مثلي. تدخل فيغاتسا بشكل متوحش ضد أحد لاعبي الخصم ومكث ساقطا على النجيل. حينما اعتدل بعض الشيء انقبض وجهه بصورة مرعبة. نما حاجبيه بشكل هائل وسالفيه أيضًا، بينما تكاثف شعر قفاه القصير المائل للحمرة وأصبح أكثر طولًا وجموحًا. تراجع أفراد الجهاز الطبي، الذين كانوا قد ركضوا ناحيته خوفًا من تعرضه لإصابة خطيرة، مفزوعين وهو الأمر ذاته الذي فعله الحكم. غطى فيغاتسا، بعدما وقف، وجهه بيديه، يديه المكسوتين بالشعر كقرد.

توقفت المباراة وأحاطت به مجموعة كبيرة من الرجال، لكن فتى ميرفي

عثر على طريقه فجأة بين خصومه وزملائه المذهولين وانطلق يثب كحيوان بلا وجهة نحو أحد جانبي الملعب. ارتفع صراخ الفزع من المدرجات بينما مر فيغاتسا بالقرب مني -على بعد عشرة أمتار- وبدأ في تسلق السياج الحديدي، إلا أن كلبي شرطة ضخمين كانا داخل الملعب انقضا عليه بنية قتل لا رجعة فيها، لكن فيغاتسا قفز من علو وفي غمضة عين اتخذ من لافتة إعلانية ثنائية الوجه تقع بالقرب من الراية التي تُحدد منتصف الملعب ملجأً له. حينها شاهدنا الطبيب وودورد يركض ومعه عدد من اللاعبين والحكم بعد استفاقتهم من هول الصدمة الأولى، بينما كان الكلبان يسعيان للإفلات مجددًا من يد رجال الشرطة للفتك بهذه الطريدة، لكن مدرب أصحاب الأرض كان من عثر على حل لهذه اللحظة الصعبة.

انتفض من على مقعده وأخبر الحكم بأن فيغاتسا لن يُكمل المباراة واستؤنف اللعب فورًا وتناسى الجمهور الحادث الغريب المرعب. تمكن رجال الشرطة من إبعاد الكلاب عن المأوى المرتجل الذي اختفى داخله فتى ميرفي. كانت هناك فرصة وحيدة لتذكره حينما ارتفع من أسفل مأوى اللافتة الإعلانية عواء حيوان جريح يفطر القلوب، لكن هذا العويل المُبكي مر دون أن يلحظه أحد، فقد أضاعه صياح زميلي روبرتو رينا حينما سجل الضيوف هدفهم الرابع. لم أتمكن من دخول غرفة الملابس لأسباب يعرفها الجميع، فاللعنة تقع على أي فأل نحس مفترض كالصاعقة، لكن علمت أن اختبار المنشطات (المتواضع حينها) الذي خضع له فيغاتسا لم يُسفر عن شيء. علمت أيضا أن الفتى لم يخضع للاختبار بموجب القرعة كما يحدث، بل أن أحد مراقبي الاتحاد الأرجنتيني لكرة القدم اعتبر إجراء الفحص -نظرًا لغرابة تصرفات الفتى- يُعد أمرًا واجبًا. بعدها بيوم أخبرني أحد أقاربي، الذي جاء بحثا عن سيكستو في مقر إقامة اللاعبين بالنادي حيث احتجزوه، بالتفسير

النهائي، فالفتى هو الابن الذكر السابع لوالديه ويُعرف أن هذه الحالة ملائمة لكي يتحول الإنسان لذئب وقام قمر الجمعة المكتمل ببقية الأمر. على أي حال (واسمحوا لي أن أصر)، لازلت أشتبه في الطبيب وودود الذي وُجهت له تهمة حمقاء لتشتيت الانتباه لأنه لم يرصد في الفحص الطبي هذا المرض الغريب عند فيغاتسا. لست من محبي الإيمان بهذه الأساطير الريفية، ولا أقبل تحت أي ظرف أن يطلق على رجل وصف «الفأل السيّئ» أو «النحس» لتزامن تواجده مع مجموعة من النتائج السلبية والبائسة.



عالم بدون كرة

(غوستابو لومباردي)

يمر اليوم 450 عامًا على آخر مرة كانت فيها الأرجنتين بطلًا للعالم. أعلم أنه لم يُعد أحد يهتم بكرة القدم، بل وإن الكثيرين لا يعرفون ماهيتها، لكن هذه الرياضة القديمة دائمًا ما أثارت انتباهي. سمعت عنها حينما أجريت دراساتي العليا بفضل أستاذ مُوقر كان يُدرسها لي في تلك الفترة. لا توجد حاجة لأقول إنني لم أمارسها. لم أمسك بتاتًا بكرة قدم بين يديّ، فالمساحة المادية المطلوبة للعبها اليوم باتت مستحيلة.. على الأقل في كوكب الأرض.

تسمح لي نهاية عام 2463 المُعقد باللعب بدقة مع الأربعة قرون ونصف قرن التي مرت منذ تاريخ 29 يونيو 1986 البعيد، ففي ذلك اليوم، وفي دولة تدعى المكسيك (بعدما تحققت من الإحداثيات فهمت أن هذا البلد مُحي بعد «الفيضان الكبير»)، نجح شعب من جنوب الكوكب في التتويج بلقب «أفضل فريق لكرة القدم». إذا كان هدفي هو استقصاء طريقة عيش هؤلاء السكان القدامى لكوكب الأرض، فإيماني بأن تحليل أبعاد المساحة التي كانت تحتلها هذه الرياضة في حياتهم، يعد أمرًا لا غنى عنه.

تفهمت بمرور الوقت أن دراسة العلاقة بين الكرة والطبيعة البشرية قد تسمح لي بطرح إشكالية هذه الفترة من التاريخ بصورة شيقة كافية، دون خسارة الدقة المطلوبة في النتائج النهائية. تمخض بحثي عن نقطتين

هامتين: أ) مستوى تطابق البشر مع أبطالها كان مرتفعًا بشكل مبالغ. ب) حجم المستوى البدني والذهني المخصص لهذه الرياضة يعكس معدلات تتخطى الحدود.

لهذا السبب بشكل أو بآخر، اخترت ذلك الشعب الجنوبي من أجل تحقيقي، فعلاقته بكرة القدم كانت مهولة بطريقة تعكس الملامح الرئيسية التي اهتممت بدراستها بكل وضوح. لقب بطل العالم في كرة القدم كان أكثر من مجرد جائزة، بل هو تجسيد للسيطرة والتفوق على البقية، شهادة تمنح حق المطالبة بالتمجيد والمجد. بدأت من هذه النقطة مسار بحثي بالعودة إلى عام 1986، حينما حققت الأرجنتين آخر لقب رسمي لها، وانتقلت بعدها سريعًا إلى اللحظة الحاسمة بعد اثنين وثلاثين عاما حينما توجت بثالث بطولاتها، ذلك اللقب الذي سيُطلق حالة من النشوة بين جموع الشعب إلى أن يُحرم منها. هو لقب يقف منتصبًا، لا أكثر ولا أقل، في اللحظة التي يعتبرها المؤرخون نهاية رياضة كرة القدم.

***

كان ليونيل ميسي هو أول حالة معروفة للتحولات الجينية. لم تكن الحالة الوحيدة، لكنها رمزت فعليًا للنهاية، ليس فقط لأنها الأولى، بل لكل ما مثلته. كان ميسي يُعد حينها أفضل لاعب في الكوكب. اتخذه آلاف الأطفال في كل أنحاء العالم كنموذج يجب الاقتداء به، بل حلم يجب الوصول إليه. كان ميسي صورة مُجسدة لكرة القدم، بل نوعًا من الكرة يُحاكي -وربما- يتخطى الواقع الافتراضي. كان صورة لكرة القدم التي تبتكرها المُخيلة. استمتع الكل بمهاراته، حتى حينما لم يتمكن أحد من تفسير القدرة البدنية لهذا البشري الصغير. لم يتجرأ أحد بتاتًا على تخيل أن الأمر مجرد خدعة أو

تدخل في معطيات الطبيعة. كانت كل أوجه تحسنه عامًا تلو الأخر تُنسب إلى مبدأ التطور الطبيعي والتدريب القوي.

بعد بطولة المكسيك عام 1986، تعاقبت احباطات شعب يجد هويته في كرة القدم مثل الأرجنتينيين واحدة تلو الأخرى، فبخلاف العقاب الدائم الذي تعرض له هؤلاء الرجال بالابتعاد عن منصات التتويج في كل المسابقات، جاء غياب رمز يشعرون معه بتطابق الهوية بل والحماية، ليولد فراغًا كبيرًا داخلهم، لم يكن الطبيب «ث.س. رابيلدو» مجرد رجل طموح مغرور بلا حرج، بل أيضا أحد رواد مجال علوم الجينات، لذا بات المرشح المثالي لترؤس ذلك المشروع الذي طرأت فكرته منذ فترة طويلة: «بناء رمز جديد». لم يكن الهدف النهائي يقتصر على تحويله إلى أفضل لاعب في الكوكب، بل الذهاب بالأرجنتين لأعلى علو. كان الأمر وشيكًا في مونديال 2014 قبل أربع سنوات من نجاحهم الأخير، لكنهم اكتفوا بالمركز الثاني، حتى 2018 حينها تحول الحلم إلى حقيقة.

بدأ المشروع في 1997، بعيدًا عن العاصمة (كانت تدعى بوينوس آيرس)، لتجنب لفت انتباه وسائل الإعلام الكبرى. لم يستغرق البحث المبدئي للطبيب رابيلدو وقتًا طويلًا وانتهى بتجنيد عشرين طفلًا تقل أعمارهم عن عشر سنوات. كان يرى أن هذه هي الفئة العمرية المناسبة لكي تنجح العملية. تولى رجال أعمال مرتبطون بكرة القدم مسؤولية الاتصال بآباء الصغار. أغروا عائلاتهم هكذا بوعود الذهاب بأبنائهم للعب في أكبر أندية العالم. امتلكت دول قليلة على مستوى العالم في تلك الفترة التكنولوجيا اللازمة للمضي قدما في هذه الدراسة الطبية المتبكرة، لهذا وبذريعة مشوار النجومية، رحل الأطفال لعدة مدن أوروبية لبدء عملية «التطوير الجيني»، كما كان يسميها الطبيب. كان علاجًا بدائيًا بصورة كبيرة، لكنه ثوري بالنسبة

لتلك اللحظة. ارتكز بصورة أساسية على معالجة الصفيحة المُحركة، تلك الطبقة الواقعة بين العُصبونات الحركية والأنسجة العضلية، لتحسين نقل السيال العصبي وبالتالي تحرير الناقلات العصبية نحو الغشاء ما بعد التشابكي للخلية العضلية، والذي لامتلاكه مستقبلات تتعرف على هذه الإشارة تولد ردًا معينًا متطورًا، أو بكلمات أخرى: زيادة السرعة وتحسين رد الفعل.

حينما اكتشفت هيئات الرقابة هذه التغيرات البيوميكانيكية، تفجرت الأزمة. كان أول ما فعله الاتحاد الدولي هو إلغاء لقب الأرجنتين الثالث، مع حرمانها فورًا من عضويتها واستبعادها من كل أشكال البطولات الرسمية. على الرغم من الأمر الآن يبدو مستحيلًا، إلا أن هؤلاء السكان كانوا يعشقون الرياضة ويعيشون على كرة القدم، ومع تفهم هذا فقط يمكن إدراك أنهم عانوا من انهيار قومي حقيقي بعدما انكشف المستور.

كان أول ما انقض عليهم هو عنصر المفاجأة، لكنه بدأ يزول ببطء ليترك مساحة لغضب منطقي ناجم عن شعور الخداع، ليس خداع المنافسين (وهو أمر كان مقبولًا بشكل غريب في تلك الفترة)، بل خداعهم لأحلامهم بأيد قريبة. شاهدوا انعكاس الخداع في أعين أبنائهم، هؤلاء الصغار الذين خانهم قدوتهم. اكتست البانوراما الأرجنتينية بمشهد الدمار. مرات قليلة في التاريخ، كان شيئا غير الحرب المتسبب في مثل هذا المشهد. انفصلت الكرة رويدًا رويدًا عن الحياة اليومية لهؤلاء السكان وتبخر معها الاهتمام بهذا النشاط، وعلى الرغم من أن مركز الأزمة كان في ذلك البلد الجنوبي، إلا أن الكارثة امتدت لتشمل الكوكب بأكمله. استمرت الأبحاث وظهرت حالات أكثر: البرتغال، ألمانيا، البرازيل... كان لدى كل الدول تقريبًا أحد اللاعبين الذي تعرض للتلاعب الجيني. تداخلت حدود الطموح ولم تعد القيم الرياضية قائمة، بعد أن دمرها جشع السوق.

وفي محاولة بائسة لإنقاذ المجال، ظهر التجار الذين استحوذوا لفترة صغيرة على اللعبة المنهارة وحولوها إلى أحد العروض، لا، بل مجرد عرض يخلو من أي أشكال الرقابة. كان أمرًا سوقيًا ومنحطًا، ونهاية لم تستحقها هذه اللعبة.

***

كانت الكرة رمزًا لحقبة، بل عنصرًا هاما داخل الحياة البسيطة والأساسية في تلك الفترة، أبطالها نماذج يرغب الشباب في نسخها، مثلما حدث ذات مرة، منذ فترة أكثر بعدا في الزمن، مع محاربي المعارك القديمة. هؤلاء الأبطال الأسطوريون الذين مثلوا الروح القومية للشعوب، حل لاعبو كرة القدم مكانهم في بداية القرن الحادي والعشرين. لم تعد تتبقى سوى آثار قليلة من هذه الرياضة على كوكب الأرض. يقولون إن بعض السكان التائهين المنسيين الذين يعيشون في «الملاحات الشرقية» مازالوا يمارسونها، كشعيرة قديمة لكي لا ينسوا كيف كانت حياتهم ذات مرة.

***

أكتب هذه السطور الأخيرة في تقريري وأنا في طريقي نحو هذه الأراضي الشرقية المنسية. يجب أن أذهب إلى هناك، بل أنا مجبر على هذا. توجد قوة لا يمكنني تحديد ماهيتها تجذبني بشكل لا يمكن مقاومته. أسافر منتويا العثور على هؤلاء الرجال الذين يبقون على هذا الاتصال ذي الخصوصية الكبيرة مع الماضي عبر كرة مصنوعة من الجلد، فخلال هذا الاستقصاء تغيرت طريقة رؤيتي للعالم.

تحول الفضول البسيط الذي امتلكته في البداية لشيء أكثر تعقيدًا.

استشعرت طريقة تفكيري الصلبة -التى لانت الآن- خللًا في الاتزان، له طابع ممتع أكثر من كونه يبعث على الضيق. إنه أمر خطير. أعلم هذا، لكنه جديد بالنسبة لي. هو شعور لم أختبره مُسبقًا وليست لدي أي نية للتوقف.

بدأت الاتصال مع إحساس بدائي.. عتيق. عدت لأشعر، لا، بل لأهتز من الداخل مثل أسلافي والفضل في هذا يعود لكرة القدم، لهذا سأبحث عنها لأنقذها من النسيان، قبل انقراضها بالكامل، وكي تنتشلني من هذا الواقع الأليم.



مصادر القصص:

1. «الحب الأول» لأوسبالدو سوريانو من مجموعة «حكايات السنوات السعيدة» الصادرة عام 1993 عن دار «سود أمريكانا».

2. «الحياة التي نظنها» لإدواردو ساتشيري من مجموعة «الحياة التي نظنها» الصادرة عام 2014 عن دار «ألفاجوارا».

3. «مذكرات جناح أيمن» لروبرتو فونتاناروسا من مجموعة «العالم عاش مُخطئًا» الصادرة عام 1983 عن دار «دي لا فلور».

4. «نعم لمارادونا.. لا لغالتييري» لأوسبالدو سوريانو من مجموعة مختارات «حراس مرمى وسحرة وهدافون» الصادرة عام 2014 عن دار «سييكس بارال».

5. «حكاية عامل غرف» لروبرتو فونتاناروسا من مجموعة «كرة قدم خالصة» الصادرة عام 2000 عن دار «دي لا فلور».

6. «عجوز ينهض واقفًا» لإدواردو ساتشيري من مجموعة «عجوز ينهض واقفًا» الصادرة عام 2012 عن «بونتو دي ليكتورا».

7. «الحكم غاياردو بيريث» لأوسبالدو سوريانو من مجموعة مختارات «حراس مرمى وسحرة وهدافون» الصادرة عام 2014 عن دار «سييكس بارال».

8. «مقصية مزدوجة» لإدواردو ساتشيري من مجموعة «في انتظار تيتو وقصص كروية أخرى» الصادرة عام 2012 عن دار «بونتو دي ليكتوارا».

9. «كانسينو المجنون» لروبرتو فونتاناروسا من مجموعة «سأخبرك بالمزيد» الصادرة عام 2000 عن دار «دي لا فلور».

10. «أطول ركلة جزاء في العالم» لأوسبالدو سوريانو من مجموعة مختارات «حراس مرمى وسحرة وهدافون» الصادرة عام 2014 عن دار «سيبكس بارال».

11. «مونتيس في باحة منزله» لإدواردو ساتشيري من مجموعة «عجوز ينهض واقفًا» الصادرة عام 2012 عن «بونتو دي ليكتورا».

12. «مراقبة الطيور» لروبرتو فونتاناروسا من مجموعة «مائدة الفرسان» الصادرة عام 1995 عن دار «دي لا فلور».

13. «أعتقد يا عزيزتي أن ابنك أفسد الأمر» لأسطورة ريال مدريد خورخى فالدانو من مجموعة مختارات «وحكت كرة القدم قصة» الصادرة عام 2007 عن دار «ألفاجوارا».

14. «سيكستو فيغاتسا» لروبرتو فونتاناروسا من مجموعة «مائدة الفرسان» الصادرة عام 1995 عن دار «دي لا فلور».

15. «عالم بدون كرة» لغوستابو لومباردي من مجموعة «كرة من ورق» الصادرة عام 2016 عن دار «بلانيتا أرخنتينا».



محمد الفولي: قاص ومترجم وصحفي مصري، مواليد القاهرة عام 1987، حصل على درجة الليسانس في اللغة الإسبانية وأدبها من جامعة القاهرة. يعمل حاليًا محررًا بالقسم العربي بوكالة الأنباء الإسبانية. صدرت له ترجمة كتاب «الشرق يبدأ في القاهرة» للكاتب الكولومبي إكتور آباد فاسيولينسي وينصبُّ اهتمامه الأساسي على المزج بين الكتابة الرياضية والأدب.

صدر عن



لوثيانو بيرنيكي

أغرب الحكايات في تاريخ المونديال

ترجمة: محمد الفولي

A TALE OF A PROP MAN

A SELECTION OF ARGENTINIAN FOOTBALL LITERATURE

حكاية عامل غرف

مختارات من أدب كرة القدم الأرجنتيني

تستند هذه المجموعة المختارة من القصص، بصورة كبيرة، على أعمال ثلاثة أدباء: الراحل أوسبالدو سوريانو وله سبع روايات ومثلها من المجموعات القصصية، وتحمل اسمه جائزة أدبية في الأرجنتين، وإدواردو ساتشيري، الفائز بجائزة (ألفاجوارا) الروائية العريقة في عام 2016، والكاتب والرسام الساخر الراحل روبرتو فونتاناروسا الذي ألف خمس عشرة مجموعة قصصية بخلاف مشاركاته الكتابية في مجالي السينما والتليفزيون.

وتتنوع القصص التي يقدمها هذا الثلاثي، وقصص أخرى، بين تجاربهم الشخصية مع الساحرة المستديرة، التي تعكس مشاهد وأفكارًا عن الحياة الأرجنتينية، أو قصصًا خيالية صرفة منغمسة في تجارب واقعية وحياتية ترتبط بكرة القدم، أو حكايات يبدو للوهلة الأولى أنها تنتمي للواقع، قبل أن تنقل القارئ بغتة إلى عالم الفانتازيا.

محمد الفولي

ISBN: 978-1-988483-75-7

9 781988 483757

